اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية
قسم اللغة العربية

قصار حِكَم الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

قصار حِكَم الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

دراسة تحليليّة

دراسة تحليليّة

رسالة تقدمت بها

ميثاق هاشم حسين عليّ الميّاحيّ

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ الدكتورة
بشرى محمد طه البشير

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م



﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

صدق الله العظيم

(البقرة: ٢٦٩)

الإهداء

يا إمامي ٠٠٠

بك أوصانا نبينا

ورضيناك وصياً وأمينا

وحملنا العهد آلاف السنينا

يا سراجاً ٠٠٠ في دروب السائرينا

وملاذاً ٠٠٠ آمناً ٠٠٠ للتائهينا

كنتَ خير الخلق بعد المصطفى علِماً ودينا

فتبعناك إماماً ٠٠٠ قائداً ٠٠٠ فتحاً مبينا

سيدي ٠٠٠

أنت عليٌّ في قلوبِ أَلمُتقينا

دونك الإسلام لا يُعرف دينا

فإليك أولاً أهدي هذا الجهد المتواضع ٠٠

وإلى:

ينبوعيّ الحب والحنان اللذين جفا مبكرين دون أن يشاركاني فرحة النجاح ٠٠٠ أبي وأمي.

وإلى الساطعين في سمائي دوماً ٠٠٠ أخـــــــويّ:

الدكتور محمد و علي

وإلى أخواتي الحبيبات .

المحتويات



الحمد لمن لا يكون الحمد إلاّ له، والصلاة على خيرة خلقه، وخاتم أنبيائه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلّم .

وبعد ...

إنّ التاريخ الفكريّ والأدبيّ مليء بالأسماء اللامعة والكبيرة، التي أثْرَتْ المكتبة العربية والعالمية بالعلم والمعرفة وهو تراث نعتزّ به جميعًا ونفخر، ولكنّ هنالك أسماء تحتاج إلى وقفة، إذ إنّها تشكّل منعطفاً في مسيرة أي باحث أو قارئ... وإذ توقفت أمام هذا الصرح العملاق فقد كانت الخطوة الأولى في عملي أصعب خطواتي، وهي مرحلة اختيار موضوعٍ للبحث، إذ تخبّطتُ بين عروضٍ شتى، بعضها كان إمّا مطروحًا سابقاً وإمّا بعيدًا عن هوى نفسي ورغبتي، وانتهت حيرتي . والحمد لله . حين أسعفني أستاذي الدكتور (طالب عويد الشمريّ) ـ مشكورًا . بموضوعٍ قيّمٍ يستحق البحث والعناء وهو (قصار حكم الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة تحليلية)، ولا أُخفي ما كنت فيه من الخوف والرهبة أن ألج موضوعًا كهذا؛ لأنّه يتناول نتاجًا مهمًا صدر عن شخصية استثنائية يحتاج البحث فيها إلى جهود استثنائية فكانت الكتابة تحدّيًا كبيرًا قررت اقتحام ميدانه للأسباب الآتية :

١- أهمية (الحكمة) في نتاج الفكر العربي، فالحكمة مكونٌ مهم من مكونات التراث العربي، إذ هي خلاصة تجربة الإنسان العربي عقلاً وأخلاقًا وأعراقًا وبيئةً ومزاجًا، فضلاً عن أنّ هذا المكون والنتاج الفكريّ قد قُدّم تقديمًا وصُنع صناعة فنية مُتقنة ألفاظًا وتراكيبًا وصورًا وإيقاعًا، مما صيّره مؤهلاً للدراسة والتحليل العلميّ للوقوف على مواطن إبداعه وبواطن معانيه .

٢- سحر البيان في نصوص الإمام عليّ (عليه السلام) وكلماته الحكيمة، إذ إنّه وظّف اللغة إلى أقصى درجات الإبداع والجمال والكمال . بلا تكلّف . فكأنّها تخرج منقادة لأفكاره ومقاصده الغنية المتنوعة التي تجلّت فيها البلاغة في إبداعها وفنيتها وصورها الجميلة ... والمعاني الجليلة الصائبة التي تمثّل أسمى مراحل

الإدراك العقليّ والفكريّ، وعلى الرغم من هذه السمات التي توسّمت بها حكمه (عليه السلام) القصيرة؛ إلا أنّها لم يُسلّط عليها الضوء بصورة كافية في دراسة علمية مستقلة .

٣- إعجابي بهذه الشخصية التي تشكّل رمزًا مهمًا من رموزنا الإسلامية والتاريخية والأدبية، فهو بطل كل المواقف والأزمنة، كونه الفارس الشجاع، والحاكم العادل، والقائد المتميز، والعالم الفيلسوف، والأديب بالفطرة، وجزءًا من الوفاء لعظماء هذه الأمة الذين كانوا وما زالوا مفاصلها القوية الأمينة، فما بحثوا عن الجاه والشُهرة، وإنّما كانوا عطاءً دائمًا، ولاسيما الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

واقتضت خطة الدراسة تقسيمها على أربعة فصول يتصدّرها تمهيد بأربعة أقسام، ضمّ القسم الأول منه التعريف بـ(الحكمة لغة واصطلاحاً)، والقسم الثاني: الحديث عن (الحكمة في العصر الجاهليّ وعصر صدر الإسلام)، والقسم الثالث: الحديث عن (الحكمة عند الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام))، أمّا القسم الرابع: فتمّ الحديث فيه عن (قصار الحكم عند الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) مفهومًا مُستقلاً).

أمّا فصول الرسالة فجاءت على النحو الآتي:

الفصل الأول: اختصّ بدراسة (المستوى القصديّ) إذ اشتمل على ثلاثة مباحث موزعة بالشكل الآتي :

(المقصد الدينيّ ، المقصد الاجتماعيّ ، المقصد الإنسانيّ) .

أما الفصل الثاني فقد عني بدراسة (المستوى الصوتيّ)، وهو على أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول: (السجع)، وفي الثاني: (التكرار)، وفي المبحث الثالث: (الجناس)، وفي الرابع: (ردّ الإعجاز على الصدور) .

وتناول الفصل الثالث: (المستوى التركيبيّ) وقد اشتمل بدوره على أربعة مباحث، تناول الأول منها الحديث عن: (التركيب الخبريّ)، والثاني عن: (التركيب الإنشائيّ)، والمبحث الثالث عني بـ(التركيب الشرطيّ)، أما الرابع فقد تناولت فيه أبرز الأساليب التركيبية التي اشتملت عليها حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة .

وكان الفصل الرابع (المستوى التصويريّ)، وجاء هو الآخر مقسمًا على أربعة مباحث: رصد الأول منها (الصورة التشبيهيّة)، والثاني: (الصورة الاستعاريّة)، والثالث: (الصورة الكنائيّة)، والرابع: (الصورة الضديّة) .

وقد حاولت من خلال التقسيمات المتقدّمة للبحث الوقوف على الدوافع الكامنة وراء جمالية حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، وذلك من خلال استنطاق النصّ، للوقوف على سماته الفكرية والفنية والإبداعية .

وانتهت الدراسة إلى خاتمة، وقفت فيها على أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع وملخّص الدراسة باللغة الانكليزية.

وختاماً...

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في واحدة من إبداعات حكمه القصيرة: ((إذا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنْ المُكَافَأةِ، فَلْيَطُلْ لِسَانُك بِالشُّكْر))، فأتقدم بالشكر البالغ والتقدير العميق إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة (بشرى محمد طه البشير) على ما بَذَلَتْهُ من جهد ورعاية وتوجيه كان له الأثر الفاعل في إتمام هذا البحث، فجزاها الله عني خير الجزاء وأوفاه .

وشكر يسبقه الانحناء والتواضع إلى أستاذي الدكتور (طالب عويد الشمريّ) الذي سدّد خطواتي الأولى وفتح أمامي الطريق للخوض في هذا الميدان الشريف فبارك الله له في رزقه وعلمه أجرًا مستديمًا، وجزاه ثواب الدنيا والآخرة .

وشكر وامتنان إلى أستاذي الدكتور (صادق حسين المالكيّ) لما ارفد به البحث من مساعدات كثيرة ونصائح قيمة لا املك إلا الشكر والامتنان له عليها .

وشكر وتقدير إلى أستاذي الدكتور (فلاح حسن) الذي قدّم إليّ نسخة فريدة من كتاب (غُرر الحِكَم ودُرر الكَلِم)، وهو احد الكتب المهمة المعتمدة في هذا البحث .

وشكر وتقدير إلى الدكتورة (إسراء خليل فياض) لنصائحها وملاحظاتها السديدة.

وشكر أوجهه إلى الأخ الزميل (أحمد عيسى)، والزملاء (مهند وسمير وفراس ونجاح وحنان وانتظار) والعزيزة (رواء راتب) وإلى كل من مدّ إليّ يد العون وساعدني في إتمام بحثي هذا وإخراجه إلى نور العلم والمعرفة .

والشكر الجزيل ... للأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة، على جهودهم المبذولة في قراءة هذا البحث، وتقويمه بنصائحهم وملاحظاتهم القيّمة السديدة .

ولا أقول بعد هذا سوى أنّي بذلتُ الكثير من الجهد في كتابة بحثي المتواضع هذا، فكان استهلاكًا بدنيًا وعقليًا وماديًا . وهو أيسرها . جزءًا من الوفاء لحبيب الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) راجية منه أن يعذرني إنْ قصّرتُ سهوًا لا عمدًا .

وآخر دعواتي أن الحمد لله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلتُ وإليه أُنيب .

أولاً: الحكمة لغة واصطلاحاً:

أ- الحكمة لغة: المنع، فالحُكْم منع من الظلم، والحكمة هذا قياسها؛ لأنّها تمنع من الجهل، والمحكّم هو المجرّب المنسوب إلى الحكمة[1]، وجاء في لسان العرب بأنّها "معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم"[2]، و"الحَكَمَة وزان قصبة الدابّة سميت بذلك لأنّها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق الحكمة لأنّها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال"[3]، وجاءت الحكمة بمعنى "العدل، والقرآن، والإنجيل"[4].

نظرة سريعة إلى معاني الحكمة تبيّن لنا أنّها تحمل معنى المنع، فالمعرفة والعدل والعلم والحلم صفات تمنع صاحبها من الخطأ والظلم والجهل والغضب، والنبوة منع من هذه الأشياء مجتمعة، أما القرآن والإنجيل فهي كتب سماويّة، جاءت رحمة للعباد ولمنعهم من الوقوع في الشرك، وارتكاب المعاصي والآثام .

ب- الحكمة اصطلاحًا: عُرِفَتْ الحكمة منذ عهود قديمة، إلاّ أنّها لم تستقر اصطلاحًا إلاّ في عصور لاحقة، وبالنظر لارتباط الحكمة بالفلسفة بعلاقة جدليّة بدتْ ملامحها واضحة في هذه العصور، فقد أولاها الفلاسفة عنايتهم فعرّفوها بتعريفات عدّة منها:

---

١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل . بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م: مادة (حكم) .

٢) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر . بيروت، (د.ط) مادة (حكم) .

٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي المقريّ الفيوميّ(ت٧٧٠هـ)، (د.ط)، المطبعة الميمنية . مصر، ١٣٢٥م: ٧٢ .

٤) القاموس المحيط: مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادي(ت٨١٧هـ)، ط٢، مصطفى البابي الحلبي واولاده . القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م: مادة (حكم) .

هي علم الأشياء الكلية بحقائقها واستعمال ما يجب استعماله من الحقائق كما عرفها الكنديّ (ت٢٦١هـ)، إذ هي عنده إحدى أقسام الفضائل الإنسانية الكائنة في النفس وهي: (الحكمة، والنجدة[١]، والعفة)، والحكمة هي فضيلة القوة النطقية[٢].

والحكمة عند الفارابيّ (ت٣٣٩هـ) هي "معرفة الوجود الحقّ، والحكيم هو من عنده هذه المعرفة"[٣]. ويبدو أنّ الحكمةَ عنده قائمة على المعرفة التي بدونها لا تتحقق الحكمة .

أمّا ابن سينا (ت٤٢٨هـ) فيرى في الحكمة "استكمال النفس الإنسانية بتصوّر الأمور والتصديق بالحقائق النظريّة والعمليّة على قدر الطاقة البشريّة"[٤]، وقد انقسمت الحكمة عنده إلى قسم نظريّ، وقسم عمليّ، أما عناية القسم النظريّ فهي حصول الاعتماد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلّق وجودها بفعل الإنسان، ويكون المقصود فيها حصول رأي فقط، مثل علم التوحيد، وعلم الهيئة، وأما القسم العمليّ فالمقصود فيه حصول رأي لأجل عمل مثل: علم الأخلاق، فغاية النظريّ هو الحق، وعناية العمليّ هو الخير[٥]، ومن الواضح أنّ الحكمة عند ابن سينا مرتبطة بالشريعة الإلهيّة، وقائمة على استكمال النفس البشرية.

---

١) استعمل الكنديّ كلمة النجدة بدلاً من كلمة الشجاعة، ينظر: رسائل الكنديّ الفلسفية: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ(ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد عبد الهادي، ط٢، مطبعة حسّان . القاهرة، (د.ت): ١٢٧ .

٢) ينظر: رسائل الكندي الفلسفية: ١٢٧ .

٣) التعليقات: أبو نصر محمد بن محمد الفارابيّ(ت٣٣٩هـ)، تحقيق: جعفر آل ياسين، ط١، دار المناهل . بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ١٣ .

٤) عيون الحكمة: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا(ت٤٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط٢، دار القلم . بيروت، ١٩٨٠م: ١٦ .

٥) ينظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرزاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م: ٥٨ ، والمدخل إلى الفلسفة: فتح الله خليف، (د.ط)، دار الجامعات المصرية . الإسكندرية،١٩٨٢م: ١٢ .

ويرى ابن رشد (ت٥٩٥هـ) أنّ الحكمة قائمة في مطلقها على المعرفة إذ يرى في الحكمة "إنّها ليست أكثر من معرفة أسباب الشيء"[١]. وهي عند الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ) "علم يبحث عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظريّ غير آليّ"[٢].

وعُرِّفَتْ الحكمة أيضًا على أنّها "العلم بأعيان الموجودات، سواء كانت الموجودات إلهيّة أي واقعة بقدرة الباري سبحانه، أو موجودات إنسانيّة أي واقعة بقدرتنا واختيارنا"[٣].

وإذا ما تركنا المرجعيات العقلية الفلسفية في تعاملها مع الحكمة، وانتقلنا صوب الرؤية الإنسانية الجمعية العربيّة نجد أنّ الحكمة قد تكون هي "عصارة خبرة في الحياة وفَهْم لأسرارها يُدبّجها ذهن ذكيّ فطن"[٤]، لقد ارتبطت الحكمة إذن هنا بالخبرة والذكاء، ولكنّ الذكاء اللماح، والخبرة الواسعة قد لا يكفيان في جعل الإنسان حكيمًا؛ ولذلك عُرّفتْ الحكمة على أنّها "الكلام القائم على العلم والموجّه إلى الصواب والسداد في القول والعمل"[٥]، وهي بذلك لا تقتصر على أحدهما من دون الآخر.

ومهما اختلفت العبارات في صياغاتها اللغويّة في بيان معنى (الحكمة) فهي توشك أن تكون متقاربة المضمون، فالحكمة كما يتضح لنا من كلّ ما تقدّم، كلمة شاملة لمعانٍ متعددة تدور في إطار العلم النافع، والمعرفة الكاملة، والعمل المتقن الناضج، وهي إحدى الفضائل الإنسانية، لأنّ هدفها الارتقاء بالنفس البشرية عن الوقوع في منزلقات المساوئ، والخطايا، والعيوب، وتهذيب النفس، وإصلاح المجتمع .

١) مناهج الأدلة في عقائد الملّة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت٥٩٥هـ)، تحقيق: محمود قاسم، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م: ١٤٥ .

٢) التعريفات، الشريف الجرجانيّ(ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان . بيروت، ١٩٨٥م: ٩٦ .

٣) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي(ت١٢٠٩هـ)، (د.ط)، إيران، ١٤٢٦هـ: ١/ ٦٩ .

٤) الأمثال العربية القديمة والعصر الجاهليّ: محمد توفيق، ط١، دار النفائس . بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٤٨ .

٥) الحكم والأمثال: حنا الفاخوري، دار المعارف، (د.ط)، (د.ت): ٨ .

وحين التأمل والنظر نجد أنّ المدلول الاصطلاحي للحكمة . وإن كان أكثر اتساعًا وشمولاً . جاء مستندًا إلى المدلول اللغويّ، فكلاهما يجعل المعرفة والعلم والحلم والعمل أصلاً من أصول الحكمة؛ وبهذا تكون الحكمة مزيجًا من العلم القائم على الإدراك والمعرفة والعمل القائم على الالتزام الأخلاقيّ الذي يعدّ موجّهًا فعَّالاً نحو السلوك الحكيم .

وبهذا يكون الحكيم هو الشخص الذي يجمع الفضيلة، والعلم، والمعرفة، والعمل بكلّ ذلك .

ثانياً: الحكمة في العصر الجاهليّ وعصر صدر الإسلام:

لم تكن الحكمة من الألفاظ الغريبة على مجتمع عصر ما قبل الإسلام، إذ وردت الحكمة (لفظًا ومضمونًا) في أقوال العرب، وأحاديثهم، وأشعارهم منذ هذا العصر فـ"الباحث عن الحكم الجاهليّة يجد أنها تزدهر في موردين رئيسين هما: الشعر والنثر"[1]، ولم يخلُ هذا العصر ممن عُرِفَ بالحكمة إذ عُدّ (أكثم بن صيفي التميميّ، وعامر بن الظرب العدوانيّ) من حكماء العرب[2]، وما يهمنا هنا هو الوقوف على دلالة هذه اللفظة في هذين العصرين.

إنّ المدلول المعرفيّ لأية لفظة يخضع في تطوره لعاملين مهمين هما: (البيئة والعصر)، والحكمة من الألفاظ التي أخذت تسير في هذا الاتجاه بصورة واضحة جلية.

لقد عُرِّفت الحكمة لدى العرب في الجاهلية على أنّها" الخبرة المحددة التي تصورها عبارة قصيرة"[3]، فهي نابعة عن الخبرة الشخصية والمرتبطة بموقف معين

---

١) الأمثال العربية القديمة والعصر الجاهليّ: ١٥٠ .

٢) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربيّ: حنّا الفاخوري، ط٢، دار ذوي القربى، ١٤٢٤هـ: ١١٤ .

٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، وكامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان . بيروت، ١٩٨٤م: ١٥٣ .

أو حادثة معينة[١]، وهي لا تخرج عن إطارِ كونها "تعبر عن خبرات الحياة . أو بعضها على الأقل . مباشرة في صيغة تجريدية"[٢]، وهذا يعني أنّ الحِكم في هذا العصر وليدة التجربة الذاتيّة، والرؤية الخاصة المرتبطة بثقافة الإنسان العربيّ وحياته المحدودة في عصر ما قبل الإسلام، وهذا ما أشار إليه شوقي ضيف معللاً بساطة الحكمة ومحدوديتها عند حكماء عصر ما قبل الإسلام؛ بأنّها ناتجة عن المعرفة الأوليّة القائمة على التجربة الناقصة التي فرضتها عليهم الحياة البدويّة الفطرية الساذجة[٣]، مما جعل حِكم هذا العصر "خالية من البحث والتعليل تمثّل في تفككها وبعدها عن ربط النتائج بالمقدمات تفكيرًا فطريًا لا يرتفع إلى مقام العلم والفلسفة"[٤].

وحينما جاء الإسلام بمفاهيمه وقيمه التي تختلف في محتواها وفحواها عمّا اعتاد عليه العرب في الجاهليّة، أخذ مفهوم الحكمة يرتبط بدلالات جديدة نابعة عن طبيعة العصر ومتغيراته الحضاريّة والدينيّة، فالإسلام دين العقل والفكر والمنطق[٥]، فقد حفّز العقل البشريّ على البحث والاستدلال والاستنباط، وفتح مدارك العقول على النقاش والتحليل والبحث عن أسباب الوجود والحياة، فأخذت دلالة اللفظة تتأثر بالفكر الإسلاميّ الجديد بعامة، والقرآن الكريم بخاصة، بما يحمله من قيم روحية ومعرفية عالية، فجاءت حِكم هذا العصر "مرتبطة بدلالة فلسفية مستوحاة من روح القرآن والدين الإسلاميّ الحنيف"[٦]، إذ أصبحت الحكمة في هذا العصر تُطلق على

---

١) ينظر: الحكمة في الشعر العربيّ قبل الإسلام: إبراهيم علي شكر، ط١، مطبعة الطيف . بغداد، ٢٠٠٨م: ٣٩ .

٢) الأمثال العربية القديمة: رودولف زلهايم، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط٣، مؤسسة الرسالة . بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ٣٢ .

٣) ينظر: تاريخ الأدب العربيّ: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف . مصر، ١٩٦٠م: ١/٨٥

٤) دراسات في تاريخ الفلسفة العربيّة الإسلاميّة وآثار رجالها: عبدة الشمالي، ط٥، دار صادر . بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ٨٧ .

٥) ينظر: موسوعة العقائد الإسلاميّة في الكتاب والسنة: محمد الرشيهريّ، بمساعدة رضا برنجكار، وعبد الهادي المسعوديّ، تعريب: خليل العاصي، ط١ ، دار الحديث . قم، ١٤٢٥هـ: ١/١٥٧ .

٦) الحكمة في الشعر العربي قبل الإسلام: ٣٥ .

"طائفة من العلوم العقلية التي تبحث عن حقيقة الأشياء المحسوسة التي يدركها العقل بالنظر"[1]، وأصبح القرآن الكريم المنبع الأول والرافد الأساس للحكمة لدى المسلمين، وظهرت لفظة الحكمة في القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة، تحمل دلالات ومعانٍ إسلاميّة متماشية مع البيئة الإسلاميّة الجديدة .

فـ(الحكيم) جاء اسمًا من أسماء الله سبحانه وتعالى، وجاءت هذه اللفظة أيضًا في القرآن الكريم على أوجه دلاليّة عدة منها:

١- العالم الذي ليس في كلامه لغو، ولا في فعله لعب كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة/٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٣٠).

٢- وصف للكتاب أي القرآن كقوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس/١) .

٣- المُحكم فيه البيان بالحلال والحرام، كقوله تعالى: ﴿يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يس/٢) .

٤- الكائن، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان/٤)[2].

وقامت لفظة (الحكمة) في القرآن الكريم على معانٍ عدة منها:

١- الحلال والحرام، كقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة/١٢٩).

٢- النبوة، كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء/٥٤).

٣- الزبور، كقوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة/ ٢٥١).

٤- القرآن، كقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل/١٢٥)[1].

---

١) القاموس الإسلاميّ: أحمد عطية الله، ط١، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م: ٢/١٢٧ .

٢) ينظر: وجوه القرآن: أبو عبد الرحمن إسماعيل بن محمد النيسابوريّ(ت٤٣١هـ)، تحقيق: نجف عرشي، ط١، مشهد، ١٤٢٢هـ: ١٩٢ .

ومن معاني (الحكمة) في القرآن الكريم "علم القرآن ناسخه ومنسوخه وحكمه ومتشابهه ...، الإصابة في القول والفعل، علم الدين، المعرفة بالله تعالى، خشية الله ..."[٢].

أما لفظة (الحُكْم) فكانت في القرآن الكريم على وجوه عدة منها:

١- التفهّم، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ (آل عمران/٧٩)، وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا﴾ (الأنبياء/٧٩).

٢- القضاء، كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة/٤٩) .

٣- الرجم، كقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة/٤٣)[٣].

ولم تخلُ أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مفردة الحكمة، فجاءت على معانٍ عدة، نذكر منها على سبيل المثال: عن ابن عباس (رض) قال: ضمَّني النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى صدره وقال: (اللّهمّ علِّمْهُ الحِكْمَة)[٤].

والحكمة: الإصابة في غير النبوة، وفُسّرت بالقرآن، وقيل الفَهْم عن الله[٥]. وعن أبيّ بن كعب عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (إنّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَة)[٦].

أي أن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السفه[١].

---

١) ينظر: وجوه القرآن: ١٩٣ .

٢) مجمع البيان لعلوم القرآن: أبو الفضل بن الحسن الطبرسيّ(ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الهدى . إيران، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٢/٢٤٣ .

٣) ينظر: وجوه القرآن: ١٩٤ .

٤) الجامع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محيي الدين الخطيب وآخرون، (د.ط)، المطبعة السلفية . القاهرة، ١٤٠٠ه: ٣/٣٣ .

٥) ينظر: فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محيي الدين الخطيب، دار المعرفة . بيروت، (د.ط) (د.ت): ١/١٧٠ .

٦) سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينيّ(ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار الفكر، (د.ت): ١/٥٩ .

ومن هنا نرى أن مصطلح الحكمة . في هذا العصر . أخذ يحمل دلالات معرفية ودينية، ناتجة عن تطور هذه اللفظة دينيًّا، وحضاريًّا، وفكريًّا، حتى أنّ بعض الفلاسفة العرب استعمل مصطلح الحكمة رديفًا لكلمة الفلسفة(٢)، وجعل بعضهم العلم الإلهيّ أحد أقسام الحكمة النظريّة(٣)، فجاءت حِكَم هذا العصر مرتبطة بالفكر الإسلاميّ الذي أعطى هذه المفردة شحنة كبيرة من الإمداد الفكريّ والعقائديّ، لم تكن موجودة في عصر ما قبل الإسلام، وهذا ما جعل العصر الإسلاميّ يمثّل بداية استقرار الحكمة مفهومًا معرفيًّا ناضجًا وواضحًا .

هذا الأمر اكسب الحكمة قيمة عظمى تفوق أية قيمة، إذ جعلها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هدف المؤمن الذي يبحث عنه، ومن دونها لا يستطيع أن يضع الأمور في نصابها إذ يقول: "الحِكْمَةُ ضَالةُ المُؤْمِنِ، فَحيثُ وَجَدَها فَهو أحقُّ بِهَا"(٤).

فكانت حِكَم هذا العصر متماشية مع روح الإسلام ومصطبغة بصبغته، متمثّلة بما جاء به القرآن الكريم، وما ورد في أقوال وأفعال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وشخصيات الإسلام المهمة ولاسيما الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهذا ما سأبيّنه في الفقرة اللاحقة من هذا التمهيد .

ثالثاً: الحكمة عند الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام):

اقترن اسم كثير من شخصيات التاريخ على مرّ العصور والأجيال بالحكمة "والحكمة بما هي نظرٌ نافذ، وعقل محيط، وحسّ أصيل، وقوة على الحصر والاستنباط والإيجاز، ثمّ جهد دائب على ذلك جميعًا، إنّما هي من آثار الإمام عليّ

---

١) ينظر: فتح الباري: ١٠/٥٤٠ .

٢) ينظر: كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، فصل موافقة الشريعة لمناهج الفلسفة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت٥٩٥هـ)، تقديم: البيرنصري نادر ، ط٢، دار المشرق . بيروت، (د.ت): ٣٣ .

٣) ينظر: المدخل إلى الفلسفة: ١٣ .

٤) سنن الترمذيّ، محمد بن عيسى الترمذيّ السلميّ(ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، (د.ت): ٥/٥١ .

(عليه السلام) فإنّ له في ذلك ما يجعل له مركزًا جليلاً بين حكماء التاريخ"[١]، ولكي أتناول الحكمة عند الإمام عليّ (عليه السلام) بشموليّة، وعمق، ودقّة، لا بدّ من الوقوف أولاً على العوامل البيئيّة، والصفات الشخصيّة، التي تفرّد بها الإمام عليّ (عليه السلام)، وبذلك يكون فهمنا للحكمة عنده (عليه السلام) قائمًا على أسس علميّة ثابتة .

وسأقتصر في ذلك على الملامح الرئيسة التي كان لها الأثر البالغ في جعل الحكمة تفيض على لسانه (عليه السلام) وتتمثّل هذه الملامح في:

١- **الولادة المميزة:** كانت الولادة المباركة للإمام عليّ (عليه السلام) في بيت الله تعالى[٢]، فقد وُلد الإمام عليّ (عليه السلام) في جوف الكعبة، ولم يُولد في هذا المكان قبله ولا بعده إنسان، وهي ميزة انفرد بها الإمام عليّ (عليه السلام) عن سائر البشر إجلالاً له، ولا شكّ في أنّها أسهمت في إثراء شخصيته، وهو أيضًا "أول هاشميّ من أبوينِ هاشميينِ، فاجتمعت له خلاصة الصفات التي اشتهرت بها هذه الأسرة الكريمة، وهي في جملتها النبل، والأيد، والشجاعة، والذكاء"[٣].

٢- **ملازمته للرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم):** لقد أتيح للإمام عليّ (عليه السلام) ما لم يتح لأحد سواه، فقد فتح عينيه على نور الإسلام وفضائله متمثلة بشخصية الرسول الأعظم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي تولّى تربيته ورعايته وتوجيهه منذ صغره[٤]، وبقي الإمام عليّ (عليه السلام) ملازمًا

---

١) عليّ صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، ط١، دار المهدي ـ بيروت، ٢٠٠٤م: ٨٤

٢) ينظر: الأنوار العلويّة والأسرار المرتضوية: جعفر النقديّ، ط٢، المطبعة الحيدرية ـ النجف، (د.ت): ٣٠ .

٣) عبقرية الإمام عليّ: عباس محمود العقاد، دار التربية ـ بغداد، ٢٠٠١م: ١٣ .

٤) لقد أخذ الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليًّا من أبيه وهو صغير، في سنة أصاب قريش قحطًا، وأخذ حمزة (رض) جعفرًا (رض) وأخذ العباس (رض) طالبًا (رض) ليكفّوا أباهم مؤونتهم، ويخففوا عنه ثقلهم، ينظر: مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهانيّ(ت٣٥٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، ط٤، مؤسسة الأعلى ـ بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م : ٤١ .

له (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتى وفاته، إذ يقول: "ولقد كنتُ أتَّبعُهُ اتِّباعَ الفصيلِ أثَرَ أمِّهِ، يرفعُ لي في كلِّ يومٍ من أخلاقِهِ عَلَمًا ويأمُرُني بالاقتداءِ بهِ، ولقد كانَ يُجاورُ في كلِّ سنةٍ بِحِرَاءَ فأراهُ ولا يراهُ غيري، ولم يَجْمعُ بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلامِ غيرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وخديجةَ وأنا ثالثُهما، أرى نورَ الوحيِ والرسالةِ، و أشَمُّ ريحَ النبوَّةِ"[1].

وكان لهذه النشأة أثرها البالغ في شخصيّته (عليه السلام)، إذ إنّ "أكثر من ثلاثين عامًا لنشأة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) تحت وهج الأنوار المحمدية تعني ما تعني من اصطفاء الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) اصطفاءً معرفيًّا، وكذلك تعني ما تعني من استقبال عليّ بن أبي طالب لذلك الاصطفاء بروح الفكر والمعرفة"[2]، فقد أفرغ الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) معرفته النبويّة، وأفكاره، وثمار تجربته المدهشة، في آذان عليّ ورأسه[3]، فنشأ (عليه السلام) كله "علم ومعرفة، فقه وحكمة، فصاحة وبلاغة"[4]، وقد أشار الرسول الكريم بصورة صريحة إلى خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعلم، تمثّلت في قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): "أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها"[5]، والأحاديث في ذلك كثيرة[6]، وهو كلامٌ يتناسب مع قول الإمام عليّ (عليه السلام): "علَّمنِي رسولُ اللهِ ألفَ بابٍ مِنَ العلمِ يَنفتِحُ منْ كُلِّ بابٍ ألفُ بابٍ"[7]،

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م: ١٣٩/١٣ .

٢) عليّ سلطة الحق: عزيز السيد جاسم، تحقيق وتعليق: صادق جعفر الروازق، ط١، الغدير للطباعة والنشر . قُم، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ١٠٧ .

٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٨ .

٤) ملامح من عبقرية الإمام عليّ(عليه السلام): مهدي محبوبة، ط٢ ، مطبعة الإرشاد . بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م: ١٤ .

٥) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ، ط٢، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م: ١٣٧/٣ .

٦) ينظر: الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية: ٧٨ .

٧) المصدر نفسه: ٢٦ .

الـذي يُعـدّ تفسـيرًا منطقيًّـا لإحاطـة الإمـام (عليـه السـلام) بسـائر العلـوم العقليـة والغيبية[1].

٣- **النبـوغ والعبقريّـة:** عُرِفَ الإمـام علـيّ (عليـه السـلام) بذكائـه المفـرط[2]، وعبقريته الخالدة، وحينما نتحدّث عن عبقريّة الإمام ونبوغه، فإننا نريد بذلك ما ميزه عن سـائر النـاس، فقد كـان (عليـه السـلام) منـذ صـغره "طفـلاً مبكـر النمـاء، سـابقًا لأنداده في الفهم والقدرة، لأنّه أدرك في السادسة أو السابعة من عمره شيئًا من الدعوة النبوية التي يدقّ فهمها والتنبه لها على من كان في مثل هذه السن المبكرة"[3]، وكـان أيضًا (عليه السلام) فريدَ زمانـه فـي سرعة الفطنـة إلـى الكثيـر مـن المعضـلات، وممـا يروى فـي هذا المجال كثيرٌ، منـه أنّ امرأة جاءت إليـه، وشكت مـن أمرها أنّ أخاها مات عن ستمائة دينار، ولم يقسم لها من ميراثه هذا إلاّ دينارًا واحدًا، فقال لها: لعلّه تركَ زوجه وابنتين وأمًّا واثنـي عشر أخًا وأنتِ؟ فكان كما قال (عليـه السلام)[4]. وقد نُسب إليه كثيرًا من الحلول لمسائل شرعية رياضية شائكة[5].

٤- **البيئة المتنوعة:** عاش الإمام عليّ (عليه السلام) في ثلاث بيئات متنوعة "بيئـة مكـة، وبيئـة يثـرب، وبيئـة الكوفـة"[6]، وكـان لكلّ منهـا سماتها الخاصـة، فكانـت مكـة بمركزها الـدينيّ والتجـاريّ، والمدينـة بمجتمعهـا الإسـلاميّ الناشـئ، والكوفـة التـي شكّلت زمن خلافـة الإمـام علـيّ (عليـه السـلام) حاضـرة مـن حواضـر العـالم المتمدّن

---

١) ينظـر: الإمـام علـيّ حياتـه وفضـائله: محمـد جـواد مغنيـة، ط١ ، دار الجـواد . بيـروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م: ١٨٠، وعلي بن أبي طالب حاكمًا وفقيهًا: حامد جامع، (د.ط)، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ١٠٦ .

٢) ينظر: عليّ صوت العدالة الإنسانية: ٨٤ .

٣) عبقرية الإمام عليّ: ١٤ .

٤) ينظر: عبقرية الإمام عليّ: ١٩٦ .

٥) ينظر: ملامح من عبقرية الإمام عليّ: ٤١ .

٦) رسائل الإمام عليّ(عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: كامل حسن البصير، ط١ ، دار المعرفة . بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م : ٢٩ .

آنذاك، ترك ذلك في شخصية الإمام عليّ (عليه السلام) آثارًا كثيرة، أسهمت في إثراء التجربة الحياتية لديه .

٥- تسنم الإمام عليّ (عليه السلام) كثيرًا من المهام والمسؤوليات في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبعد وفاته منها:

أ- وكلّه رسول الله مسؤولية القضاء في اليمن، وفي ما يروى عن الإمام عليّ (عليه السلام): "بعثني رسولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى اليمن، قلتُ تبعثني وأنا شابٌّ أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء؟ قال فضربَ في صدري، وقال اللهمّ أهد قلبَهُ، وثبِّتْ لِسانَهُ، فوالذي فلق الحبة، ما شككتُ بعد ذلك في قضاء بين اثنين"[١].

ب- خلّفه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على الناس في غزوة تبوك قائلاً له: "يا عليُّ إنّ المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك"[٢]، وكان الإمام عليّ (عليه السلام) حاملَ راية المسلمين في غزوة (ودان)، وهي أول غزوة حُمل فيها راية في الإسلام مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٣]، وخصّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بالراية في معركة خيبر قائلاً: "لأعطيَنَّ الرايةَ غدًا رجلاً يُحبه اللهُ ورسولُه، ويُحبُّ اللهَ ورسولَهُ، كرَّارٌ غيرُ فرَّارٍ، لا يرجعُ حتّى يفتحَ اللهُ على يديهِ، فأعطاها أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان الفتح على يديه"[٤]، وكانت راية الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع الإمام عليّ (عليه السلام) في المواقف كلّها: يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، ويوم الأحزاب، ويوم فتح مكة[٥]، وجمع له بين الراية واللواء في معارك عدة، منها: أحد[٦]، والحديبية[٧].

---

١) الأنوار العلويّة والأسرار المرتضوية: ٩١ .

٢) الإرشاد: الشيخ المفيد، ط٣ ، دار المفيد . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ١/ ١٥٥ .

٣) ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسيّ، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث . قُم، ١٤١٧هـ: ١/ ٣٧٦ .

٤) الإرشاد: ١/ ٦٤ .

٥) ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى: ١/ ٣٧٤ .

٦) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٧٦ .

٧) ينظر: الإرشاد: ١/ ١١٩ .

ج- تولّى الإمام عليّ (عليه السلام) الخلافة العامة للمسلمين، ومما لا شكّ فيه من أنّ مسؤوليةً بهذا الحجم كفيلة بإغناء التجربة الحياتيّة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فكانت الحكمة سبيله الأساس في التعامل الإنسانيّ الأمثل .

هذه العوامل مجتمعة كان لها الأثر الفاعل والأساس في إثراء الحكمة عنده، فلم يكن الإمام عليّ (عليه السلام) ـ على ما اتصف به من فصاحة وبلاغة ـ أديبًا ولا شاعرًا، بل حكيمًا قبل كلّ شيء، إذ إنّ "جميع طرائف الحكمة مفضية إليه، وأسبابها مجتمعة لديه"[1].

وإذا كان الإمام عليّ قد انفرد بسمات خاصة، جعلت منه حكيمًا بكلّ ما في الكلمة من معنى يستطيع أن يصل إليه الإنسان، فإنّ الحكمة عند الإمام عليّ (عليه السلام) جاءت مختلفة عنها عند غيره من الحكماء لأسباب كثيرة منها:

١- لم تكن حِكم الإمام عليّ (عليه السلام) نابعة من التجربة الشخصية فحسب، بل تستند في مطلقها على أساس معرفيّ نابع من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وترجع قيمتها المعرفيّة إلى اشتمالها على كثير من مفردات العلم والمعرفة والإدراك كالذكر، والعرفان، والفهم، والبصيرة، واليقين، والعقل ...[2]، وله في ذلك أقوال كثيرة منها:

قوله (عليه السلام): "**مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ**"[3].

وقوله (عليه السلام): "**اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذاتِ، وبقاءَ التَّبِعَاتِ**"[4].

وقوله (عليه السلام): "**مَنِ اشْتَاقَ خَدَمَ، ومَنْ خَدَمَ اتَّصَلَ، ومَنِ اتَّصَلَ وَصَلَ، ومنْ وَصَلَ عَرَفَ**"[1].

---

١) الإمام عليّ حياته وفضائله: ٣٣ .

٢) وهي من مفردات القرآن الكريم، ينظر: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، ط٢، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ١٣٨٩هـ: ٢/٢٥٩ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٩/١٤٦ .

٤) المصدر نفسه: ٢٠/٤٢٤ .

وقوله (عليه السلام): "**مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عنها خَسِرَ، ومَنْ خَافَ أَمِنَ، ومَنْ اعْتَبَرَ أبْصَرَ، ومنْ أبْصَرَ فَهِمَ، ومَن فَهِمَ عَلِمَ**"[٢].

وقوله (عليه السلام): "**لا تجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، ويقِيْنَكُمْ شَكًّا، وإذا عَمِلْتُم فاعْمَلُوا، وإذا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا**"[٣].

وقوله (عليه السلام): "**اليَقِينُ فَوقَ الإيمَان، والصَّبْرُ فَوقَ اليَقِين، وَمَنْ أفْرَطَ رَجاؤهُ غَلَبَتِ الأمَاني عَلَى قَلبِه واسْتَعْبَدَتْهُ**"[٤].

وقوله (عليه السلام): "**لا غِنَى كَالعَقْلِ، وَلاَ فَقْرَ كَالجَهْلِ، وَلاَ مِيْرَاثَ كالأَدَبِ، وَلاَ ظَهِيْرَ كالمُشَاوَرَةِ**"[٥].

وقوله (عليه السلام): "**أَعْقِلُوا الخَبَرَ إذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لا عَقْلَ رُوايَةٍ، فَإنَّ رَوَاةَ العِلْمِ كَثِيْرٌ، ورُعَاتُهُ قَلِيْلٌ**"[٦].

وبذلك تخرج حكمته (عليه السلام) عن إطار التجربة الشخصية إلى المنظور العام، فجاءت "تعبِّرُ عن الله، وما يأمر به، وما يتماشى مع فلسفة ونبوّة الرسول العظيم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)"[٧].

٢- الحكمة عند الإمام عليّ (عليه السلام) البداية الحقيقية لمبادئ الفلسفة الإسلامية[٨]، "فهو أول من برهن واستدلّ في الفلسفة الإلهية"[٩]، وله الفضل على

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام): جمع وشرح وضبط: محمد أبو الفضل إبراهيم، وآخرون، المكتبة العصرية ـ بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ٢٢٩ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢٨/١٩ .

٣) المصدر نفسه: ١٤٠/١٩ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٧٨.

٥) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٤٩/١٨ .

٦) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٠١/١٨ .

٧) فلسفة الحكمة عند إمام الحكمة: عليّ النشميّ، (د.ط)، بغداد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ٧ .

٨) ينظر: عليّ والفلسفة الإلهية: محمد حسين الطباطبائي، (د.ط)، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، ١٩٥٦م: ٧٩.٨٠ ، وملامح من عبقرية الإمام عليّ: ٣٥ .

٩) عليّ والفلسفة الإلهية: ٧٩ .

كلّ من سواه من الباحثين في هذا العلم، وإننا نجد كلمة الاستدلال تتكرر عند الإمام عليّ (عليه السلام)، ومنها قوله: "**اسْتدِلَّ على ما لمْ يَكُنْ بِما قَدْ كانَ، فإنَّ الأمُورَ أشْباهٌ**"[1]، وقوله (عليه السلام): "**فَبِالإيْمانِ يَسْتَدِلُّ على الصَّالِحاتِ، وبِالصَّالِحاتِ يَسْتَدِلُّ على الإيمانِ**"[2].

ونجد أيضًا في كلامه (عليه السلام) كثيرًا من الاستدلالات والبراهين التي تدلُّ على قدرة فكريّة، وعقليّة عالية منها: "سُئِلَ الإمام (عليه السلام):

كيف يُحاسِبُ اللهُ الخَلْقَ على كَثْرَتِهِم؟

فقال: كما يرزُقُهُم على كثرتِهِم .

فقيلَ: كيف يُحاسِبُهُم ولا يَرَونهُ ؟

فقال: كما يرزُقُهم ولا يَرَونهُ"[3].

وفي قوله "**رأسُ الحِكْمَةِ لُزُومُ الحَقِّ**"[4]، يشير (عليه السلام) إلى طريقة البحث العلميّ عن الحقائق، والطريق الذي من شأنه أن يوصل إليها، فقرّر (عليه السلام) أنّ الطريق هو البرهان والدليل[5].

فجاء كلامه (عليه السلام) "زاخرًا بالمقاصد الفلسفية الدقيقة، وحقائق المعارف الإلهيّة السامية"[6].

٣- كانت الحكمة سمة من سمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في سائر أقواله، وعُرِف أيضًا بـ(الحِكَم القصيرة) التي اتّصفت بجزالة اللفظ، وكثافة المعنى، واتساع الدلالة، ولعلّ ذلك ما دفع الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ـ وهو أحد أعلام البيان

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٠٣/١٦ .

٢) المصدر نفسه: ٤٩/٩ .

٣) المصدر نفسه: ١٧٦/١٩ .

٤) غُرَرُ الحِكَم ودُرر الكَلِم المفهرس من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد التميميّ الآمديّ(ت٥٥٠هـ)، ترتيب وتدقيق: عبد الحسين دهيني، ط١، دار الهادي ـ بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٢١٣ .

٥) ينظر: عليّ والفلسفة الإلهية: ٤١ .

٦) المصدر نفسه: ٤٠ .

العربيّ . أن يعلّق على قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسن) قائلاً: "فلو لم نقف في هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، مجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، غير مقصرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأنّ الله عزّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة، على حسب نيّة صاحبه، وتقوى قائله"[1]، وهي لا تخرج عن إطار ما عُرِف به الإمام عليّ (عليه السلام) من قيمة معرفية عالية في سائر كلامه .

مما يجعله (عليه السلام) "أحد الحكماء البارزين في تاريخ الإنسانيّة عمومًا، وفي تاريخ الأمة العربيّة خصوصًا، فهو بحقٍّ قام بإرساء الحجر الأساس لموضوع الحكمة أو الفلسفة الإسلاميّة في قوالب وعبارات موجزة ومختصرة، لكنها تحوي معاني ودلالات بليغة، ذات أهداف تربوية واجتماعية وإصلاحية"[2].

فجاءت قصار حكم أمير المؤمنين (عليه السلام)، بليغة الإيجاز، غزيرة المعاني، متنوعة الأغراض، مملوءة بالمواعظ والعبر، حتى أصبح أكثرها مثلاً سائرًا على مرّ الأجيال والعصور، اتخذها الناس قواعد للأخلاق الفاضلة، ومعيارًا للسلوك القويم، وكان هدفه منها: خدمة الدين، والمجتمع، والإنسان، في كلّ زمان ومكان، مما جعلها أزليّة خالدة، لا تختصّ بزمنٍ معين، ولا مكانٍ واحد .

رابعاً: قِصار الحِكَم عند الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) مفهوماً مستقلاً:

قد يجد القارئ أنّ مفهوم (قصار الحكم) يحتاج إلى وقفة وتأمّل فالحكمة هي الحكمة، فهل هنالك حِكم طويلة وأخرى قصيرة ؟

---

١) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٦، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ١/٨٣ .

٢) تاريخ ومناقب الإمام عليّ (عليه السلام): عدنان محمد قاسم، ط١، مطبعة أبو عاصم . بغداد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٢٥ .

وللإجابة عن هذا السؤال نتوقّف عند مجموعة من الشواهد التي يمكن أن تكون براهين إثباتٍ على إمكانية قيام مفهوم (قصار الحِكم)، ومن ثم الإقدام على دراسته بوصفه نوعًا من أدبيات الإمام عليّ (عليه السلام):

١- إنّ مفهوم (قصار الحِكم) أو (الحِكم القصيرة) ليس جديدًا، فقد ورد ذكره في كتاب (الحكمة الخالدة) لابن مسكويه (ت٤٢١هـ) وهو كتاب استودع فيه ابن مسكويه طائفة من الحكم الشرقية الخالصة: الإيرانية، والهندية، والرومية الشرقية المنحولة، والعربية الإسلامية[١]، إذ وردت العبارة في أكثر من موضع فيه، مثل:

أ- "الشرق موطن الأمثال والحِكم القصيرة"[٢].

ب- "بالكلم الروحانية القصار"[٣].

ج- "جملٌ قصيرةٌ وكلماتٌ حكيمةٌ"[٤].

د- "الكلم القصار"[٥].

وهذا يعني أن (الحكم القصيرة) أو (قصار الحكم)، كانت مفهومًا واردًا ومستعملاً .

٢- لقد عُرِف الإمام عليّ (عليه السلام) في تاريخ الفكر العربيّ بـ(كلامه القصير) الذي يدور في إطار الحكمة والموعظة، وقد قام عدد من المهتمين بجمعه تحت عنوان (الحِكم القصيرة) ومنهم:

أ- القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد الآمديّ (ت٥٥٠هـ) في كتابه (غُرر الحِكَم ودُرر الكَلِم المفهرس من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام))، إذ جاء في مقدمة الآمديّ "جمعتُ يسيرًا من قصير حكمه،

---

١) ينظر: الحكمة الخالدة: ابن مسكويه(ت٤٢١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، دار الأندلس، (د.ت) : ١٠ .

٢) المصدر نفسه: ٧ .

٣) المصدر نفسه: ٨ .

٤) الحكمة الخالدة: ٧ .

٥) المصدر نفسه: ١٠ .

وقليلاًمن خطير كلمه، يخرس البلغاء عن مساجلته، ويبلس الحكماء عن مشاكلته"[١].

ب- الشيخ محمد باقر المحموديّ في (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة)، وهو كتاب تضمّن ما لم يوجد في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، وخطبه، وحكمه، وهو مرتب على خمسة أبواب، خُصص الباب الخامس في "الدرر اليتيمة، والحكم القصيرة من كلمه (عليه السلام)"[٢] الواردة في كتب عديدة منها: (كتاب مروج الذهب للمسعوديّ، وكتاب تهذيب الأحكام لمحمد بن الحسن الطوسيّ، وكتاب بشارة المصطفى لأبي جعفر محمد بن أبي قاسم الطبريّ، والكامل في اللغة والأدب للمبرّد، والكافي لأبي محمد بن يعقوب بن إسحاق الملقب بالكليني، وخصائص أمير المؤمنين للشريف الرضيّ، وعلل الشرائع للشيخ الصدوق، وكتاب الأمالي لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد، وكنز الفوائد لأبي الفتح محمد بن علي الكراجيّ...).

ج- محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد يوسف المحجوب، وعليّ الجندي في (سجع الحمام في حِكم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)) وقد ورد فيه "أما الحِكم القصيرة التي نضح بها لسانه، وأرسلها عفو الخواطر بيانه، فقد بُذل في جمعها المحاولات الآتية ..." [٣]، وقد جمع هؤلاء الكتّاب حكم الإمام عليّ (عليه السلام) الواردة في الكتب الآتية:

١- "الحكم القصيرة الواردة في كتاب نهج البلاغة"[٤].

٢- "الحكم القصيرة الواردة في كتاب دستور معالم الحكم"[٥] للقاضي القضاعيّ (ت٤٥٤هـ)، والحكم الواردة في:(كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب عيون

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠ .

٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: محمد باقر المحموديّ، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي . إيران، ١٤١٨هـ: ١/ ١٤ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٦ .

٤) المصدر نفسه: ٧ .

٥) المصدر نفسه: ٧ .

الأخبار لابن قتيبة، وكتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرّد، وكتاب الإيجاز والإعجاز للثعالبيّ، وكتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبيّ، وكتاب أسرار البلاغة للعامليّ) .

وتأسيسًا على ذلك فإنّ عبارة (قصار الحِكم) أو (الحِكم القصيرة) هي مفهوم مستقل له هويته الخاصة، الأمر الذي جعلني اعتمده بمنهجيته المعتمدة في الكتب المذكورة. علمًا أنّ حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة قد ورد ذكرها في كتب عديدة أخرى منها: (كتاب الحيوان للجاحظ (ت٢٥٥هـ)[1]، والعقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ (ت٣٢٨هـ) [2]، والحكمة الخالدة لابن مسكويه (ت٤٢١هـ)[3]، وزهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصريّ القيروانيّ (ت٤٥٣هـ)[4] والتذكرة الحمدونية لابن حمدون(ت٥٦٢هـ))[5]، وقد وجدتُ بعد الاطلاع عليها أنّ الكتب التي اختصت حصرًا بالعناية والاهتمام بجمع حكمه

---

١) ينظر: كتاب الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تقديم: عبد السلام هارون، ط١، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٢/٢٦٦، ٣/١٨.

٢) ينظر: العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ(ت٣٢٨هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (د.ط)، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ١/٤٢، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١٥٢، ١٩٩، والمصدر نفسه: ٢/٧٩، ٨١، ٩٢، ١٠٥، ١١٥، ١٢٨، ١٣٨، ١٥٢، ١٦٣، ١٧٠، ٢١١، ٢٢٩، ٢٥٨، ٢٧١، والمصدر نفسه: ٣/٤٩، ٩٠، ١١٩، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٦٠، ١٩٣، ١٩٥، ٢٥٥، والمصدر نفسه: ٤/٢٣٠، ٢٨٧، والمصدر نفسه: ٨/٩٠.

٣) ينظر: الحكمة الخالدة: ١١٠. ١١٢ .

٤) ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصريّ القيروانيّ(ت٤٥٣هـ)، تقديم: صلاح الدين الهواريّ، ط١، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م: ١/٦٨، ٧١، ٢٥٤، ٢٦٠ .

٥) ينظر: التذكرة الحمدونية: لابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن عليّ(ت٥٦٢هـ)،تحقيق: إحسان عباس، ط١، معهد الإنماء العربي . طرابلس، ١٩٨٤م: ١/٦٥ـــــ ١٠٠، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧، والمصدر نفسه: ٢/١٧٦، ١٧٨، ٢٥٦، ٣٩٣، ٣٩٥ .

(عليه السلام) القصيرة قد تضمنت كلّ ما جاء فيها على نحوٍ وافٍ، الأمر الذي يجعل هذه المصادر المتخصصة بالحكم القصار للإمام عليّ (عليه السلام) هي الأولى بالاعتماد في هذه الدراسة .

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الكتب التي اختصت بجمع (قصار الحكم) لم تذكر معيارًا واضحًا تخضع له دلالة (القصار)، فالحِكَم المذكورة فيها تتراوح في مقياسها الكميّ بين الجمل التي لا تتجاوز السطر الواحد أو الكلمات المحدودة وهو الغالب فيها، وبين العبارات التي تتجاوز من حيث الكم ثلاثة أو أربعة أسطر، لذا فإنّ المعيار الذي ستخضع له الحكم الواردة في هذه الدراسة هو المعيار الذي أقرّه البلاغيون وأرباب البيان في نظرتهم إلى الكلام القصير الموجز، فالقِصَر في اصطلاح البلاغيين مرتبط بالإيجاز[1]، يُقال: "أوجز في كلامه إذا قصّره، وكلام وجيز أي قصير"[2]، والإيجاز "هو التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة تدلّ عليه دلالة واضحة"[3]، ويعدّ هذا النوع من الكلام "أعلى طبقات الفصاحة مكانًا وأعوزها إمكانًا"[4]، وهو من جوامع الكلم الذي اتسم به كلام الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وحكمه[5]، إذ إنّها في أغلبها جارية هذا المجرى.

---

١) ينظر: سرّ الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ (ت٤٦٦هـ)، تقديم: إبراهيم شمس الدين، ط١، ناشرون . بيروت، ٢٠١٠م: ٢١٦، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة علوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلويّ(ت٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٤٩/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٣٦١/١، وجواهر البلاغة في المعاني والبديع: أحمد الهاشميّ، أشراف: صدقي محمد جميل، (د.ط)، مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ١٩٣ .

٢) الطراز: ٤٩/٢ .

٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٤٦/١ .

٤) الطراز: ٦٨/٢ .

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٩/٢، والإيجاز في كلام العرب ونصّ الأعجاز دراسة بلاغية: مختار عطية، (د.ط)، دار المعرفة . القاهرة، (د.ت): ١٣١. ١٣٣ .

وبهذا يمكن القول بأنّ الكتب التي عُنيت بجمع حكم الإمام عليّ (عليه السلام) تضمنت حكمًا قصيرة وأخرى يمكن وصفها بأنّها طويلة[1]، لأنّها خرجت عن المقياس الذي وضعه البلاغيون في نظرتهم إلى الجمل القصيرة والموجزة، لذا آثرتُ استبعادها لأنّها تتنافى مع هيكلية الحكم القصيرة التي سيُلقى عليها الضوء في هذه الدراسة .

---

١) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٩٦-٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٩، ٢٢٧، ٢٤٠ ،٢٤٥، ١٤٨، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٧٨، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤٠٦، ٤٠٧ ،٤٠٩، ٤١٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٨.٤٤٩، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٧٠، ٧٢، ٧٦، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١١٠، ١٢١، ١٢٨، ١٢٨، ١٤٩، ١٥٩، ١٧٢، ١٩٠، ١٩٣، ٢٤٧، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨١، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٥/٩، ٢١، ٢٧، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٥٥، ٦١، ٦٧، ١٠٢، ١٠٥، ١٣٥، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٥، ٢٢٦، ٢٩٤، ٢٥٧، ٣٠١، ٣٢٢، ٣٨٧، ٣٨٩= =٣٩١، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٧٤، ٤٨٣، ٤٧٩، ٥١٣، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٧٠، ٥٩٣، ٦٢٧، ٦٣١، والمصدر نفسه: ٢٨/١٠، ٣٢، ٣٨، ٥١، ٦٥، ٧٤، ١٠٤، ١٠٦، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٧، ١٧٨، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٧٤، ٢٨٧ ، ٢٨٩، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤١٢، ٤٢٠، ٤٢٥ .

توطئة

المقاصد جمع مقصد، وهو مأخوذ من قَصَدَ يقصِد قَصْدًا، فهو قاصد. والقَصْدُ لغةً له معانٍ عدّة منها:

١- القصد: إتيان الشيء وأَمَّهُ .

٢- قصدتُ قصدهُ: نحوتُ نحوهُ .

٣- قَصْدُ القَصْد: استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[1]، أي: على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[2]، فالمقصد هو الهدف الذي يُراد الوصول إليه، أو الغاية التي يُراد تحقيقها .

وعلى هذا يمكنني القول إن ما أعنيه بمقاصد قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) هي توجهاتها الفكرية، وأهدافها الغائية، التي أراها حاضرة ومتجسدة ومتنوعة بحسب تغير وتنوع مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال الدافعة على قول تلك الحكم القصيرة .

لقد جاءت قصار حكمه (عليه السلام) على مقاصد شتّى، خدمة لاتجاهات معنويّة متنوّعة، فكان منها الدينيّ والاجتماعيّ والإنسانيّ، ولا عجبَ أنّ تتعدّد هذه المقاصد عنده (عليه السلام) لمَا ازدانَ به من الصفات الخاصة، ومعالم الشخصيّة المتفردة، فهو من الدين يعسوبه، وللأخلاق منبع عذب، وللإنسانية منهج وأصول عميقة. هذا التوصيف من جانب ذاتهِ الشخصية، وأمّا من جانب شخصيته العامّة، فكان (عليه السلام) خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وقائدًا للمسلمين، وراعيًا مسؤولاً عن حياتهم في جميع شؤونهم، وعلى هذا الأساس يكون الإمام عليّ (عليه السلام) قد جمع في ذاته البعدين الدينيّ والدنيويّ معًا، فأصبح بذلك مَعْلماً بارزًا من معالم السياسة والحياة العربيّة والإسلاميّة، ومازال حتى يومنا هذا.

إن شخصيةً ثريّةً غنيّةً على هذا النحو من الغنى والثراء الروحيّ الدينيّ، والعقليّ العمليّ، لا بدّ من أن تتنوّع غايات خطابها بتنوع الأحداث وتطوّرها، هذا إذا

---

١) النحل: ٩ .

٢) ينظر: لسان العرب: مادة (قصد) .

ما علمنا أنه (عليه السلام) قد عاش مرحلة تاريخيّة كانت تعجّ بالكثير من الأحداث على صعيد الدولة العربيّة الإسلاميّة .

وإذا كانت أهمية أي موضوع تبرز حينما تتلاقى فيه عناصر الدراسة النظريّة والتطبيقيّة معًا، ولمّا كان موضوع (الحكمة) نفسه موضوعًا واسعًا، لما يتضمنه من بعد إنسانيّ شموليّ، يجمع بين الإبداع الفكريّ والفنيّ، وصدوره عن الإمام عليّ (عليه السلام) يجعل منه نتاجًا ذا أبعاد فكرية متميزة، لأنّه (عليه السلام) قائدًا ومُوجِهًا يمتلك رسالة إنسانية يريد إيصالها إلى النّاس كافة؛ باختلاف أجناسهم وأديانهم وأزمنتهم، لذا سأقف في هذا الفصل، محددة أبرز مقاصد قصار الحكم عند الإمام عليّ (عليه السلام) واتخاذها منطلقًا في دراسة المستويات الأخرى، فاللغة بكل تجلياتها لم تكن الهدف الأساس لدى الإمام عليّ (عليه السلام) كما هو الحال بالنسبة إلى سواه من المبدعين؛ كالخطباء والشعراء والناثرين، وإنّما كانت جسرًا تعبر من خلاله مقاصده (عليه السلام) المتنوعة والمُوجهَة إلى عموم البشر .

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه المقاصد قد تتداخل في بعض الأحيان بعضها ببعض، فيصبح التمييز وإعطاء نوع من الخصوصية لهذا المقصد من دون الآخر مسألة فيها خلاف ونظر، بيد أني سأتطرق لهذه المقاصد منطلقة من معيار محدد هو (المقصد البارز) بغية الدارسة والتوضيح .

المبحث الأول

المقصد الدينيّ :

أحدث الإسلام بفكره ومفاهيمه التي جاء بها انعطافًا فكريًّا في المفاهيم والعقائد التي كانت سائدة في عصر ما قبل الإسلام إذ كان "الكفر بالله أو الشرك به هما العقيدة التي تُبنى عليها الحياة"[1]، وإذا كانت مُهمة الرسول العظيم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نشر تعاليم الإسلام ومفاهيمه وعقائده بالحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]، فإن مهمة آل بيته الطاهرين (عليهم السلام) هي الحفاظ على هذه المفاهيم وترسيخها في عقول الناس وقلوبهم عبر مسيرة الزمن الطويلة .

ولمّا كان الإمام عليّ (عليه السلام) خليفة رسول الله في المسلمين وقيادة مجتمعهم على وفق ما شرّعه الإسلام دينًا، وما أقرّه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سنّة (قولاً وأفعالاً وتقريرًا) .

فقد جاءت قصار حكمه (عليه السلام) ذات المقصد الدينيّ، متضمنة لهذه المفاهيم بكلّ أبعادها وجوانبها التي تكفل علاقة الإنسان بخالقه العظيم، على وفق منهج الإسلام وقيمه وسننه .

ومما لا شكّ فيه من أن حقيقة الإيمان بالله تعالى في الفكر الإسلامي قائمة على توحيده بوصفه "القيمة الأولى، ورأس الهرم في مجموع القيم والمفاهيم العقائدية الإلهيّة النبيلة"[3]، وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4].

---

١) النظام الاجتماعيّ في الإسلام: هاشم الموسويّ، ط١، دار الصفوة . بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م: ١٠ .

٢) النحل: ١٢٥ .

٣) التوحيد يتجلّى في الحياة: محمد تقي المدرّسيّ، ط١، طهران، ١٤١٨هـ: ٦٥ .

٤) الأنبياء: ٢٥ .

ومن هنا جسّد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الحقيقة بحكمة موجزة قائلاً: "**التَّوحِيدُ حَيَاةُ النَّفْسِ**"[١]، ويجمل جورج جرداق الرؤية العلويّة الشريفة إلى معنى الحياة بأنها الأصل وعليه تنمو الفروع[٢]، وبهذا يكون التوحيد على وفق الرؤية العلويّة هو الأصل الذي تنمو عليه المفاهيم الإسلاميّة كافّة، ولا تصح هذه المفاهيم وتتبلور في عقيدة الإنسان إلاّ إذا كان التوحيد وعدم الإشراك بالله هو الحقيقة الأولى التي تنشأ فيها وتنطلق منها .

ومن المفاهيم الإسلامية التي تنشأ في ظلّ عقيدة التوحيد (التقوى)، فنراها حاضرة في قصار حكم الإمام (عليه السلام) لأنّها "الحارس الذي يحرس العقل والإرادة من الغفلة والضعف والانزلاق وراء الأهواء والمنافع الذاتية"[٣]، إذ يقول: "**التَّقْوَى حِرْزٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا**"[٤]، فيجب على الإنسان أن يحرّز نفسَهُ بتقوى اللهِ قبل مبادرة الموت الذي ليس هنالك مهرب منه، فيحاسب على ما عمل في حياته الدنيا من المعاصي والآثام .

ولأنّ التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس، إذ جاء النصّ القرآني صريحًا في تأكيد هذه الأفضلية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٥].

نجده (عليه السلام) يؤكد في حكمة أخرى ضرورة المبادرة إلى تقوى الله والجدّ والإسراع بالأعمال الصالحة لأنّها مقرونة بسعادة الإنسان، ونجاته بعد الموت، قائلاً: "**التَّقْوَى آكَدُ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ إِنْ أَخَذْتَ بِهِ وَجُنَّةٌ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**"[٦].

---

١) غرر الحِكم ودرر الكَلِم: ٢٣ .

٢) ينظر: عليّ صوت العدالة الإنسانية: ٤١١ .

٣) حقوق الإنسان عند الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): غسان السعد، ط٢، بغداد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م: ١٠٢ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢ .

٥) الحجرات: ١٣ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢ .

ولا يقصر (عليه السلام) التقوى على ما ظهر من الأعمال بل ينبّه الناس على مراعاة تقوى الله في السرِّ والعلانية في إحدى حكمه القصيرة قائلاً: "**اتَّقُوا مَعَاصيَ اللهِ فِي الخَلَواتِ، فإنّ الشَّاهدَ هُوَ الحَاكِم**"[1].

إنَّ خشية الله أمام الملأ والناس واجتناب معاصيه قد تُمكن الإنسان من خداع الآخرين، إلاّ أنه لا يستطيع خداع من يطّلع على الأسرار والخفايا، فعلى الإنسان أن يلتزم بمبدأ التقوى حتى في لحظات الانفراد، والخلوة، والابتعاد عن الأنظار؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الشاهد والرقيب الذي لا يخفى عنه شيء في كلّ الأحوال والأوقات والأزمنة .

وإذا كانت التقوى هي القيمة الروحية المثلى التي يحظى من خلالها الإنسان برضا الله تعالى، والفوز بجنته كما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[2]، فلا عجب أن تكون خير زادٍ للإنسان في مسيرته الحتميّة للعالم الآخر وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[3] فجاءت الحكمة العلويّة لتنير العقول بهذه الاستضاءة الإيمانيّة في قوله (عليه السلام): "**تَزَوَّدْ منَ الدنْيَا فإنَّ خَيْرَ ما تُزَوَّدُ مِنْها التَقْوى**"[4].

وينبّه الإمام (عليه السلام) في كلماته القصيرة الحكيمة أيضًا إلى ضرورة مهمة من ضرورات الإيمان وهي (اليقين)، إذ لا يستقيم دين المسلم من دون يقينه الكامل بالله عزّ وجلّ، وهذا ما يشير إليه (عليه السلام) في حكمته: "**رأْسُ الدِّيْنِ صِدْقُ اليَقِيْنِ**"[5]، فقد جعل اليقين رأس الدين، ولا يخفى ما للرأس من أهمية على سائر أعضاء الجسد، فكما أن الجسد لا يحيا بدون الرأس، فكذلك الدين لا يستقيم بدون اليقين، ومن الواضح أنّ الإمام عليًّا (عليه السلام) لم يكتفِ بقيامِ اليقين وتحقّقه عند

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢٠٣/١٩ .

٢) مريم: ٧٢ .

٣) البقرة: ١٩٧ .

٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٤٥٤/٩ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢١٣ .

المؤمن، بل زاد في وصفه بأن يكون ذلك اليقين صادقًا، أي: يقينًا لا شك فيه، ولا مواربة، ثقةً من المؤمن بالله عزّ وجلّ ودليلاً على الإيمان الخالص النقي .

وفي السياق نفسه جاءت حكمته (عليه السلام): "**اليقينُ عُنْوانُ الإيمانِ**"[1]، وحكمته: "**اليقينُ عِمَادُ الإيمانِ**"[2]، إشارة واضحة إلى أهميّة اليقين في أولويّات المسلم فهو عنوان للإيمان وعماده .

ولم يتوقف (عليه السلام) عند التعرّض لموضوع اليقين فحسب، بل وضع أُسسًا عمليّةً للمسلمِ في إدراكِ ذلك اليقين وتطبيقه، فكان قوله: "**مَنْ كَانَ عَلَى يَقِينٍ فَأَصَابَهُ شَكٌّ، فَلْيَمْضِ عَلَى يَقِينِهِ، فَإِنّ اليقينَ لا يُدْفَعُ بالشّكِّ**"[3]، وبهذا يكون (عليه السلام) قد أرسى قاعدة عقائدية لإقامة يقين المؤمن مفادها: أنّ الشكّ إنْ دخل قلب المؤمن فإنه لا يسقط عنه صفة اليقين وبالأخص يقينه الراسخ بعبوديته لله وحده .

ولا يتوقف إيمان المسلم على اليقين والتقوى والتوحيد، فلا بدّ من طاعة الله التي تُعدّ من أبرز علائم الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[4]، لذلك جاء قوله (عليه السلام): "**لاَ يَسْعَدُ امْرِئٌ إلاَّ بِطَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَشْقَى امْرِئٌ إلاَّ بِمَعْصِيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ**"[5].

يحثّ (عليه السلام) هنا المسلمين على طاعة الله ويحذّرهم من مغبة العصيان؛ لما يترتب عليه من آثار وخيمة كفيلة بإخراج الإنسان من دائرة رضا الله ورحمته وعزّته ليدخل في ربقة المعاصي والآثام، وذلك هو الخسران المبين .

ولا تقترن ثمار الطاعة وأمرها على الآخرة فحسب، بل إنّ المؤمن يعيش منافعها، ويستشعر بأفضالها في الحياة الدنيا قبل الآخرة، إذ يقول (عليه السلام):

---

١) المصدر نفسه: ٧١ .

٢) المصدر نفسه: ٧١ .

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٢٦/١٠ .

٤) آل عمران: ٣٢ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٤ .

"مَنْ سَرَّهُ الغِنى بِلا مَالٍ؛ والعِزّ بِلا سُلْطَانٍ والكَثْرَةَ بِلا عَشِيْرَةٍ فَلْيَخْرُجُ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللهِ إلى عِزِّ طَاعَتِه"[1].

هي حكمة مليئة بالترغيب في طاعة الله، والإشارة إلى منافع يتلمسها الإنسان في حياته الدنيا قبل الآخرة، إذ إنّ انعكاس الطاعة في حياته بأنْ تكون هذه الحياة كلها عزًّا وهيبة وغنًى. وإذا كانت طاعة الله سبحانه وتعالى هي التحقيق الأمثل لمكاسب الدنيا والآخرة، فلا عجب أن تكون ربحًا وغنيمة لأصحاب الهمم العالية، فيكون نصيبهم الثناء والكرامة، فجاءت حكمته (عليه السلام): "**إنّ اللهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ الطَّاعةَ غَنِيْمَةَ الأكْيَاسِ عَنْدَ تَفْرِيْطِ العَجَزَةِ**"[2]، إيقاظًا لفكر المسلم ووعيه ليكون من أصحاب الثناء والكرامة .

ويورد لنا (عليه السلام) من حكمه القصيرة التي تحمل في طياتها معاني لا تحدّ في العلاقة بين الإنسان وربّه قوله: "**لو لمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ سُبْحانَهُ على مَعْصِيَتِهِ؛ لكانَ يجبُ ألاَّ يُعْصَى شُكْرًا لِنِعَمِهِ**"[3]، مؤكدًا على أن "طاعة الله حتم، سواء تواعد الله سبحانه وهدّد بالمعاصي أم سكتَ على تهديده ووعيده"[4]، إذ إنّ طاعة الله إنْ لم تقترن بالخوف من خشيته، فيجب أنْ تقترن بالشكر على نعمه وعطاياه الكثيرة، وهو أمر منطقيّ يقتضيه العقل السليم فيما لو تبصّر الناس في نِعَم الله وعطاياه التي لا تُعدّ ولا تحصى .

لم يغفل (عليه السلام) في حكمه مسألة لا تقلّ أهمية عن سابقتها ألا وهي حثّ الفرد المسلم على أن يجسّد إيمانه بالله تعالى عن طريق (العبادة) إذ "إنها من أقوى الأسباب والبواعث على تركيز العقيدة ورسوخ الإيمان في المؤمن"[5]، وإذا كانت

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٦٠٧/٩ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢١٠/١٩ .

٣) المصدر نفسه: ١٦٢/١٩ .

٤) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، ط٣، دار العلم . بيروت، ١٩٧٩م: ٣٩٢/٤ .

٥) أخلاق أهل البيت: مهدي الصدر، ط١، مؤسسة الأعلميّ . بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ٢٠٦.

العبادة "هي الخضوع اللفظي والعملي عن اعتقاد بإلوهيّة المعبود أو ربوبيّته"[١]، فإنّ هذا الخضوع يتنافى بطبيعته مع الإشراك بالله، فجاء قوله (عليه السلام) مجسّدًا هذا المعنى بعبارة موجزة حكيمة: "**العبادَةُ الخَالِصَةُ ألاّ يَرْجُو الرَّجُلُ إلاّ رَبَّهُ، وَلا يَخَافُ إلاّ ذَنْبَهُ**"[٢]، "والمراد بالرجاء هو السؤال وطلب الحاجة، وهو بطبيعته يستدعي الخضوع والمذلة"[٣]، ويُجمل محمد جواد مغنية المعنى بأنّ التذلّل لله عزّ وإباء، ولغيره خسّةً ودناءة؛ لأنه خضوع محتاج إلى محتاج، وتحمُّل للمنّة من معدوم على معدوم، أمّا الخوف فلا يكون إلاّ مما يجري عليه حساب وعقاب من قبل الله سبحانه وتعالى[٤].

ولا يخفى علينا ما للعبادة من أفضلية ومكانة عند الله سبحانه وتعالى، إذ إنّها الغاية الكبرى من الخلق كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥]، فما كان منه (عليه السلام) إلاّ أن يشير موجّهًا إلى أنّ العبادة هي الوسيلة المُثلى التي يستطيع العبد من خلالها التقرّب إلى الله تعالى، والفوز برضاه ورحمته قائلاً: "**ما تَقَرَّبَ مُتَقَرِّبٌ بِمِثْلِ عِبَادَةِ اللهِ**"[٦].

وإذا انتقل الحديث بنا في المقاصد الدينية إلى النظر في أساسيات العبادة ودعائمها، وجدناها . على وفق الرؤية العلويّة . قد قامت على الالتزام بأداء الفرائض التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على عباده، وهذا ما جسّده قوله (عليه السلام): "**لا عِبَادَةَ كأدَاءِ الفَرائِضِ**"[٧]، فمن آمن بالله تعالى حقًّا عليه أن يتقرّب إليه بطقوس عبادته التي "تعد اختبارًا للمؤمن واستجلاء لأبعاد إيمانه"[٨]، لما تتضمنه من تجسيد

---

١) الانتصار: العامليّ، ط١، دار السيرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٣١٧/٥ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٥ .

٣) في ظلال نهج البلاغة: ٢٦٤/٤ .

٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٤/٤ .

٥) الذاريات: ٥٦ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٨١ .

٧) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٩٦ .

٨) أخلاق أهل البيت: ٢٠٧ .

حقيقي لخضوع الإنسان لله سبحانه خضوعًا صادقًا نابعًا عن يقين ثابت بقدرة الله وربوبيّته، أمام ضعف الإنسان وعجزه .

لقد جاءت حكمه (عليه السلام) في هذا الجانب من المقاصد ذات الصبغة الدينيّة توجيهًا صريحًا في الحثّ على الالتزام بهذه الفرائض وعدم التهاون فيها، إذ إنها من علامات العابد وفي هذا الصدد يقول (عليه السلام): "**لِلعَابِدِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: الصَّلاةُ وَالصِّيامُ وَالزَكَاةُ**"[١].

ولا يخفى على الإنسان المسلم ما للصلاة من أهمية على سائر العبادات في الإسلام، كما جاء عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قوله: "وَاعلَمُوا أنّ خَيْرَ أعمَالِكُم الصَّلاة"[٢]، لذا يشير (عليه السلام) إلى أهمية (الصلاة) وأفضليتها، وإيجابيّة المحافظة عليها في إحدى حكمه الموجزة قائلاً: "**الصَّلاةُ حِصْنُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَيطَانِ**"[٣]، فهي حصن الله عزّ وجلّ، وهو العاصم المنيع من الشيطان وزلاته، ولكي يحثّ الإمام (عليه السلام) المسلمين على ضرورة الالتزام بالصلاة وعدم التهاون فيها، قدّم حكمته التي يقول فيها: "**لا يُقَرِّبُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، إلاّ كَثْرَةُ السُّجُودِ والرُّكُوعِ**"[٤].

ولم تقتصر حكمه (عليه السلام) على الالتزام بالصلاة والمحافظة عليها، بل تعدّتها إلى العبادات الأخرى التي تعدّ من الروابط المتينة بين الإنسان وخالقه، ومن ذلك قوله: "**الصَّوْمُ عِبادةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَخَالِقِهِ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ لا يُجَازِي عَنْها غَيْرُهُ**"[٥]، وفضيلة (الصوم) أنّه عبادة قائمة على الضبط النفسي والأخلاقي، وهذا ما يشير إليه (عليه السلام) في حكمة أخرى يحثّ فيها على الصيام ويبيّن شروطه وموجباته قائلاً: "**صَوْمُ النَّفْسِ عَنْ لَذَّاتِ الدُّنْيَا أنْفَعُ الصِّيَامِ**"[٦].

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٩ .

٢) سنن ابن ماجة: ١١١/١ ، وينظر: سنن الترمذيّ: ١٧٤/١ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢ .

٤) المصدر نفسه: ٤٣٥ .

٥) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٤٣ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٤١ .

فالصيام يتعدّى في مفهومه الامتناع عن المأكل والمشرب، فهو في حقيقته تهذيب للنفس وتقويم لها بالامتناع عن كلّ ما يكرهه الله سبحانه وتعالى من المعاصي والآثام والذنوب حتى تعتاد على هذا المنهج فيكون أسلوبها وديدنها في الحياة .

ولا يكون الصيام صيامًا بعيدًا عن هذا المفهوم وهذا ما سيبيّنه لنا الإمام عليّ (عليه السلام) في عبارته القصيرة التي يحثّ فيها المؤمنين على ضرورة الالتزام بشروط الصيام قائلاً: "**كَمْ مِنْ صائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاّ الظَّمَأ**"[1].

إذ إنّ "الصيام لا يظهر أثره بقول اللسان، ولا فعل الأركان، وإنما هو نيّة بالقلوب، وإمساك عن حركات المطعم والمشرب، فهو يقع بين الإنسان وبين الله، خالصًا من غير رياء أو كذب"[2]، وصيام الجوارح عن النزوات والشهوات أشدّ من الجوع والعطش، لأنّه المشقة الكبرى التي لا يستطيع تحقيقها إلاّ من جاهد نفسه وغلبها، فإذا التزم المسلم بشروط الصيام على وفق ما أراده الله سبحانه من هذه الفريضة، فإنّ حقّه أن يشعر بالسعادة الحقيقية لما سيناله من رحمة الله ومغفرته .

ومن الفرائض العبادية الأخرى (الزكاة) التي تعدّ ركنًا أساسًا من أركان الإسلام ووسيلة من وسائل المؤمن للتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى؛ لذلك نراها حاضرة في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، إذ يقول: "**اللهَ اللهَ في الزَّكَاةِ، فإنَّها تُطْفِئُ غَضبَ رَبِّكُم**"[3]، فجاءت حكمته (عليه السلام) دعوة قويّة إلى المؤمنين في الالتزام بهذا الركن العظيم، وكيلا ينسوا الزكاة أو يغفلوا عنها، إذ ينالوا من خلالها رضا الله ويسلموا من غضبه .

ودعوة أخرى إلى الأغنياء أن يحصّنوا أموالهم بدفع ما عليهم إلى الفقراء تأتي حكمته (عليه السلام): "**حصّنُوا أمْوَالَكُمْ بالزَّكَاة**"[4]، ويكفي أن يدفع الأغنياء التزاماتهم الشرعية الموجبة عليهم، حتى لا يشعر الفقير بمرارة الجوع، وسلطة

---

١) المصدر نفسه: ٢٩٠ .

٢) المجازات النبويّة: الشريف الرضيّ، تحقيق: محمد الزينيّ، (د،ط)، إيران، (د،ت) : ١٨٩.

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٧٥ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٣ .

الطبقية، ومن لم يفعل منهم فعليه أن يحذر من سخط الله وعقابه العادل لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

ويريد الإمام (عليه السلام) من المسلم أن يترفّع بالزكاة عن رذائل الصفات كالبخل والشحّ والحرص، وبذلك تكون الزكاة إلى جانب كونها إحدى الوسائل المهمة للتقرّب إلى الله سبحانه، إحدى أسباب تطهير النفس من الرذائل، فجاءت حكمته (عليه السلام): "**مَنْ أدَّى زَكَاةَ مَالِهِ وَقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ**"[2]، معبرة . بعبارة موجزة . عن النفس القرآني في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

ولم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعيدًا عن المقصد الدينيّ لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان جلَّ حياته آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر، ومجاهدًا في سبيل إحياء هذا المبدأ، لذلك نرى أن لهذا الجانب حضورًا واضحًا في كلماته وحكمه القصيرة، فهو (عليه السلام) يصف الأمر بالمعروف غاية الدين، وقوام الشريعة حينما يقول: "**غَايَةُ الدِّيْنِ الأمْرُ بِالمعْرُوفِ والنَّهْيُ عنِ المُنْكَرِ، وَإقَامَةُ الحُدُودِ**"[4]، وقوله أيضًا: "**قِوَامُ الشَّرِيْعَةُ الأمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عنِ المُنْكَرِ، وَإقَامَةُ الحُدُودِ**"[5]، ومما لا شكّ فيه من أنّ أيّ عمل يوصف بأنه غاية الدين وقوام الشريعة لا بدّ من أن يكون عملاً ساميًا وأساسًا في عقيدة المسلم وأعماله؛ لذلك نراه (عليه السلام) ينصح به، ويحثُّ عليه قائلاً في حكمة من حكمه القصار: "**مُرْ بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ منْ أهلِهِ، وأنْكِرِ المُنْكَرَ بِلِسانِكَ ويَدِكَ، وبَايِنْ منْ فَعَلَهُ بجُهْدِكَ**"[6].

---

1) التوبة: ٣٤ .
2) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٢٦ .
3) الحشر: ٩ .
4) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٧ .
5) المصدر نفسه: ٢٨٥ .
6) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٢٣ .

ولّما كان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قد يتجلّيان في صور شتى ومتنوعة من صور التعامل الإنسانيّ بين البشرِّ جميعًا، فقد التفت (عليه السلام) إلى جوانب متعددة من أنواع ذلك السلوك البشري الذي يقع تحت هذا العنوان، ولاسيما ما تعلّق بـ(المعروف) فحثّ ودعا إلى مراعاة حقوق الناس، والتعامل معهم على وفق مبادئ الإسلام، وقيمه النبيلة في مجالات الحياة .

فنقف أمام حكم الإمام (عليه السلام) التي تناول فيها جانبًا مهمًا من جوانب التعامل السليم بين المسلمين ألا وهو (الوفاء بالعهد) في قوله: "**إنّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيْمانِ**"[1]، مشيرًا بذلك إلى أهمية هذه الصفة وما لها من منزلة رفيعة في الدين الإسلاميّ الحنيف، حتى أمر الله سبحانه بها المسلمين في قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وفي حكمة أخرى يواصل (عليه السلام) حثّ المسلمين على أهمية الالتزام بهذه النفحة الإيمانيّة، إذ يقول: "**جُوْدوا بِالمَوْجُودِ، وأَنْجِزُوا الوُعُودَ، وَأوفُوا بالعُهُودِ**"[3].

ومع الإيفاء بالعهد تبرز قضية (أداء الأمانة إلى أهلها) التي تعدّ واحدة من أخلاقيات المسلم إذ يقول (عليه السلام): "**لاَ أمانَةَ لِمَنْ لا دِيْنَ لَهُ**"[4]، إذ جعل الأمانة مرتبطة بالدين، فإن فقد الإنسان هذه الصفة فكأنّما خرج من دين الله ورحمته وغفرانه، ويرى (عليه السلام) أن على المسلم أن يلتزم بأداء الأمانة حتى لمن لا يقابله بالمثل، فتأتي حكمته: "**لاَ تَخُنْ مَنْ ائتَمَنَكَ وإنْ خَانَكَ، ولاَ تَشِنْ عَدَوَّكَ وَإنْ**

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٢٦ .

٢) النحل: ٩١ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٨٨ .

٤) المصدر نفسه: ٤٢٥ .

شَانَكَ"[1]. مؤكّدًا ضرورة الالتزام بهذه الصفة التي أمر الله سبحانه المسلمين بها في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2].

إن إنجاز الوعود والوفاء بالعهد وأداء الأمانة . وهي ألوان من المعروف . من صفات المؤمن التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، ودعت أيضًا إلى وجوب الالتزام والتحلّي بها بوصفها علامة مميزة للشخصية المؤمنة. ولهذا خرجت حكمه (عليه السلام) في مقاصدها هذه من منطلق إسلاميّ ونَفَس محمديّ، لتقويم النفس البشريّة، وتهذيب الذات الإنسانيّة، ضمن الضوابط التي يراد بها رسم الشخصية المسلمة الرصينة في التعامل والتواصل مع الآخرين.

لقد أفصح الإمام عليّ (عليه السلام) عبر حكمه القصيرة، وكلماته الموجزة بكلِّ وضوح وشفافية عن كثير من الأهداف والغايات الإسلاميّة الداعية إلى ضرورة الالتزام بالمنهج الإيمانيّ في حياة المسلم، وعمل من خلالها على توثيق الصلة بين الإنسان وخالقه من جانب، وصلة هذا الإنسان بسواه من البشرِ من جانب آخر، بحثّه على تطبيق تعاليم الدين الإسلاميّ كما جاءت في القرآن الكريم، والسنة النبويّة الشريفة.

المبحث الثاني

المقصد الاجتماعيّ:

تعدّ الحلقة الاجتماعيّة من أهم الحلقات في سلسلة المفاهيم التي جاء بها الدين الإسلامي، إذ إنّ هناك دلالات مهمة في القرآن الكريم، والسنة النبويّة الشريفة تخصّ الجانب الاجتماعيّ في الشريعة الإسلاميّة .

ولما كان المجتمع هو الأساس الذي تُبنى عليه العقيدة، والبذرة التي تتفرع منها الحياة المنظمة بأشكالها المختلفة، نجد أنّ الإمام (عليه السلام) قد أدرك هذه الحقيقة في وقت مبكر، فكان من أوائل الذين أسهموا في تقويم المجتمع وبنائه، وتنظيفه من الأدران والعيوب، على وفق المفاهيم والمبادئ الإسلامية الرصينة .

---

١) المصدر نفسه: ٤١٣ .

٢) النساء: ٥٨ .

ولأن الأسرة هي النواة الرئيسة في بناء أي مجتمع و"القاعدة الأساس التي تبنى عليها الحياة الاجتماعية في الإسلام"[1]، فقد أولاها الإمام عليّ (عليه السلام) اهتمامًا بالغًا، فنراه يحفز المسلمين مثلاً على اختيار المرأة الصالحة القادرة على القيام بمسؤوليتها داخل هذا البناء الصغير بصورة صحيحة إذ يقول: "**المَرأةُ الصَالِحَةُ أحدُ الكَسْبَيْن**"[2]، إذ يعدّ الإمام عليّ (عليه السلام) مسألة اختيار المرأة الصالحة هي المدخل الطبيعيّ والشرعي لتشكيل الأسرة[3]، ويحارب (عليه السلام) أية ممارسة غير أخلاقية في المجتمع، ولاسيما الزنا، إذ عده واحدًا من أهم عوامل تحطيم الأسرة، وتردي المجتمع[4]، إذ يقول (عليه السلام): "**أربعةٌ لا تدخُلُ واحدِةٌ منهنَّ بَيْتًا إلاَّ خَرِبَ ولم يُعَمَّرْ: الخيانةُ والسرقةُ وشُرْبُ الخمْرِ والزنا**"[5]، وهو بذلك يضع اللبنات الأولى لبناء المجتمع الإسلاميّ السليم القائم على أسس أخلاقية صحيحة .

ويرى (عليه السلام) أنّ "**جهادَ المرأةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ**"[6]. والجهاد بحسب الرؤية العلوية هو "بابٌ مِنْ أبوابِ الجّنَّةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أوْلِيَائِهِ، وهوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِيْنَةِ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيْقَةُ"[7]، وانطلاقًا من هذه الرؤية العلوية إلى معنى الجهاد يمكن إدراك مكانة المرأة، وأثرها الواضح في بناء الأسرة واستقرارها وديمومتها .

ولا يخفى أنّ لاستقرار الأسرة تأثيرًا بارزًا في استقرار المجتمع، فجاءت حكمته (عليه السلام): "**لا يكُنْ أهْلُكَ أشْقَى النَّاسِ بكَ**"[8] توجيهًا صريحًا إلى ضرورة العمل على إسعاد الأسرة، وتحذيرًا واضحًا بالابتعاد عن كلّ ما يسهم في إضعافها وتحللها، فالتماسك الأسريّ لا يتحقق إلاّ بأن يسود الأسرة جوٌ من التعاون والاحترام والمودّة .

---

١) النظام الاجتماعيّ في الإسلام: ٩٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٦١ .

٣) حقوق الإنسان عند الإمام عليّ (عليه السلام): ٢٦٠ .

٤) المصدر نفسه: ٢٦٢ .

٥) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٧٠/٩ .

٦) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٤٦٥/١٨ .

٧) المصدر نفسه: ٣٥٤/٢ .

٨) سجع الحمام في حكم الأمام: ٢٠٠ .

وفي حكمة أخرى يشير (عليه السلام) إلى أهمية المودة داخل إطار الأسرة، وأثرها الكبير في بثّ روح التماسك والسكينة والاستقرار النفسي بين الأبناء، إذ يقول: "**مَوَدَّةُ الآبَاءِ نِسْبَةٌ بَيْنَ الأبناءِ**"(1)، فلا تتحقق الغاية من القرابة إلاّ إذا اقترنت بالمودة والتعاطف والتراحم، ويؤكد (عليه السلام) أهمية هذا الجانب العاطفي وضرورة إشاعته في أجواء الأسرة، فكان أن جاء قوله: "**يَجِبُ عليكَ أنْ تُشْفِقَ على وَلَدِكَ أكثرَ منْ إشفاقِهِ عَلَيْكَ**"(2)، حرصًا منه على ضمان استقرار الأسرة وانسجامها .

وتعزيزًا للعلاقات الأسرية، وضرورة المحافظة عليها على وفق منهج إسلاميّ منظم يوضّح لنا (عليه السلام) حقوق الآباء والأبناء وواجباتهم إذ يقول: "**خَيْرُ ما وَرَّثَ الآباءُ الأبْنَاءَ الأدَبَ**"(3)، فحق الولد على الوالد أن يحسن أدبه وتقويمه ليكون له مسارًا إيجابيًّا في بناء المجتمع، ويؤكد (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا أفضلُ منْ أَدَبٍ حَسَنٍ**"(4) على حقوق الأبناء في الحصول على مقومات التنشئة الصحيحة المتمثّلة بالأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن .

ويرسم لنا (عليه السلام) منهج التربية الصحيحة التي يستطيع من خلالها الآباء تنشئة أبنائهم تنشئة سليمة في قوله: "**إنَّما قَلْبُ الحَدَثِ كالأرْضِ الخالِيَّةِ، مهما أُلْقِيَ فيها مِنْ كُلِّ شيءٍ قَبِلَتْهُ**"(5)، مشيرًا إلى أهمية غرس الفضائل والأخلاق الحسنة في قلب الطفل لينشأ عليها فتصبح جزءًا لا يتجزَّأ من شخصيته وكيانه، قبل مبادرة الرذائل والصفات السيئة .

ولعلّ من أهم الغروس التي يجب الحرص على تثبيتها في الناشئة (الصّلاة)، لذلك يعطي (عليه السلام) للصلاة مكانة بارزة في تقويم أخلاق الأبناء وتربيتهم، لأنّها حافزًا ودافعًا على التمسّك بالسلوك الإنسانيّ الفاضل، والأخلاق الحسنة، فضلاً

---

1) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٩٢ .
2) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٧٦ .
3) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٧ .
4) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/١٠٠ .
5) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٥٢ .

عن أنّها فريضة على المسلم أن يؤديها ويحافظ عليها، فجاءت حكمته: "**عَلِّمُوا صِبْيَانَكُم الصَّلاةَ وَخُذُوهُمْ بِها إذَا بَلَغُوا الحُلُمَ**"[١]، تنبيهًا للمسلم على أن التربية الصحيحة لا تخرج عن المنهج الإيمانيّ الإسلاميّ الذي يدعو إليه الإسلام دينًا ويؤكد عليه .

وفيما يخصّ التربية والتنشئة الصحيحة يبيّن (عليه السلام) مدى أهمية عامل التطور والتغيير جزءًا من طبيعة الإنسان وطبيعة الحياة التي يعيشها، إذ يقول: "**لاَ تَقْسِروا أوْلاَدَكُمْ على آدَابِكُم، فإنَّهُمْ مخْلُوقُونَ لِزَمانٍ غيْرِ زَمَانِكُمْ**"[٢]، وهي حكمة قصيرة توجز روح التربية الصحيحة، وتخلّص كلّ جيلٍ من الناس من أغلال العرف والعادة التي ارتضاها لنفسه جيل سابق[٣] .

أمّا حقوق الآباء على الأبناء فيوجزها (عليه السلام) في حكمة قصيرة يقول فيها: "**بِرُّ الوَالِدَيْنِ أكْبَرُ فَرِيْضَةٍ**"[٤].

فطاعة الوالدين والإحسان إليهما واجبة على الأبناء، وهي من أولويات المؤمن، فقد قرنها الله عزّ وجلّ بتوحيده وعدم الإشراك به في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واعْبُدُوا اللهَ ولاَ تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٦]، فجاء التشريع الإسلاميّ تأسيسًا لمنهج اجتماعيٍّ له الأثر الكبير في توطيد أركان الأسرة ومن ثم استقرار المجتمع، لذلك يجعله (عليه السلام) فريضة من الفرائض التي يجب على المسلم الالتزام بها والحرص عليها في حكمته القصيرة .

---

١) المصدر نفسه: ٢٦٤ .
٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٩ .
٣) ينظر: عليّ صوت العدالة الإنسانيّة: ٤٤١/١ .
٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧١ .
٥) النساء: ٣٦ .
٦) الإسراء: ٢٣ .

ويؤكد (عليه السلام) ضرورة الالتزام بهذا السلوك الإسلاميّ الحسن مبيّنًا آثاره الإيجابية في حكمة أخرى قائلاً: "**بَرُّوا آبَاءَكُمْ يَبَرُّكُمْ أبناؤُكُم**"(١)، فبرّ الوالدين من الأعمال الإيجابية التي يقطف الآباء ثمارها في الحياة الدنيا بأن يبرهم أبناؤهم في كبرهم، وبذلك يجمع الإنسان في بره لوالديه ثواب الدنيا والآخرة، إذ يعدّ برّ الوالدين من أعظم الواجبات في الإسلام .

ولا يقتصر مفهوم الأسرة عند الإمام عليّ (عليه السلام) على الآباء والأولاد بل يمتدّ ليشمل العشيرة بأكملها وما تتضمنه من الأحفاد والأجداد والأقارب(٢)، فكان لـ(صلة الرحم) أثرها البارز في توثيق الروابط الأسرية وبناء المجتمع الرصين في منهج الإمام عليّ (عليه السلام) الاجتماعيّ، إذ يقول: "**صِلَةُ الأرْحامِ منْ أَفْضَلِ شِيَمِ الكِرَامِ**"(٣)، فإذا كان الكرام يتميزون بصفاتهم وشيمهم النبيلة، فإنّ الإمام عليًّا (عليه السلام) يجعل صلة الأرحام "وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم"(٤)، من أفضل هذه الصفات والشيم، ويحثّ (عليه السلام) الناس على الاهتمام بهذا الجانب الاجتماعيّ والإيمانيّ في حكمته القصيرة: "**صِلَةُ الرَّحِمِ، تَدرُّ النِّعَمِ، وَتدْفَعُ النِّقَمِ**"(٥)، مبيّنًا مزايا هذه الصفة لأنّها سببٌ من أسباب تزايد النعم على الإنسان ودفع النقمة عنه.

"وإذا كانت الأسرة تعدّ أول مؤسسة اجتماعية ذات خطورة في التصور الإسلاميّ، فإن جماعة الأقارب تعد في الدرجة التالية من سلم الأهمية"(٦)، لذلك

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧١ .

٢) ينظر: الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة: قاسم حبيب جابر، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٢٠٦.

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٩ .

٤) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسيّ، ط٢، مؤسسة الوفاء . بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ١٠٩/٧١ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٩ .

٦) الإسلام وعلم الاجتماع: محمود البستانيّ، ط١، مجمع البحوث الإسلامية . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م: ١٩٥ .

يؤكد (عليه السلام) ضرورة التواصل معها، قائلا: "**صِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوا بالتَّسْلِيْمِ**"[١]، ونجد أن لغة التحذير والتهديد واضحة في حالة الإخلال بالواجب الاجتماعيّ لهذه الجماعة في قوله (عليه السلام): "**جانِبُوا التَّخَاذُلَ والتَّدابُرَ وقَطيْعةَ الأرْحامِ**"[٢]، وقوله أيضاً: "**في قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ حُلُولُ النِّقَمِ**"[٣]، بل إنّه (عليه السلام) يجعل هذا الإخلال مدعاة للنبذ والعزلة في قوله: "**مَنِ الَّذي يَرْجُو فَضْلَكَ إذا قَطَعْتَ ذَوِي رَحِمَكَ**"[٤].

وينتقل (عليه السلام) من خلال حكمه القصيرة إلى رابطة أخرى مهمة من روابط بناء الحياة الاجتماعية، فيوصي المسلمين بـ(رعاية الجار)، وحسن الجوار، لأنّه "يُنْشئ من المتجاورين جماعة متراصّة متعاطفة تتبادل اللطف والإحسان، وتتعاون على كسب المنافع ودرء المضارّ"[٥]، فجاء قوله: "**السِّيْدُ منْ تحمَّل أثْقَالَ إخوانِهِ، وأحْسَنَ مُجَاوَرةَ جِيْرَانِهِ**"[٦]، ناصحًا موجِّهًا على أهمية العناية بالجار، إذ إنّها من سمات المسلم التي حثّ عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: "ما زالَ جبريلُ يُوصِيني بالجارّ حتّى ظننْتُ أنَّهُ سيُورِّثُهُ"[٧]، ويحذّر (عليه السلام) من الإساءة إلى الجار برفضه هذا السلوك رفضًا صريحًا في قوله: "**بِئْسَ الجَار جارُ السوءِ**"[٨]، وقوله (عليه السلام): "**سُوْءُ الجِوَارِ والإساءةُ إلى الأبْرَارِ مِنْ أعَظَمِ اللُّؤْمِ**"[٩]، إذ يقرن الإمام (عليه السلام) الإساءة إلى الجار باللؤم، وهي صفة تتنافى مع أخلاق المسلم وسلوكه لما تنطوي عليه من أضرار وخيمة من أهمها التخاصم والتنازع والتوتر الذي لا يريده الإسلام في مجتمعه الآمن والمستقر، وتأكيدًا

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٢١٩/٩ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٨٦ .

٣) المصدر نفسه: ٢٧٣ .

٤) المصدر نفسه: ٣٣٣ .

٥) أخلاق أهل البيت: ٣١٧ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٧ .

٧) سنن الترمذيّ: ٣٣٢/٤ .

٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٦٩ .

٩) المصدر نفسه: ٢٢٩ .

منه (عليه السلام) على أهمية احترام الجار وعدم الإساءة إليه، جاءت حكمته: "**جَنِّبُوا مَوْتاكُمْ جَارَ السُّوْءِ، فَإِنَّ الجارَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ في الآخِرةِ كما يَنْفَعُ في الدُّنْيَا**"[١]، تجسيدًا حقيقيًّا لقيمة الجار الصالح، فهو أحد أسباب راحة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، وتحذيرًا واضحًا من عواقب الإساءة إلى الجيران، فهي مدعاة لنفور الناس، وابتعادهم أحياء وأمواتًا .

ولم يقف (عليه السلام) في منهجه الاجتماعيّ عند حدود الأسرة والأقارب، بل نراه يعرّج على رابطة أخرى تعدّ من أهم الروابط الاجتماعيّة التي أُسس عليها المجتمع المسلم، "فقد بدأ الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عمله السياسيّ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتطبيق مبدأ التكافل بينهم، بغية تحقيق العدالة الاجتماعيّة التي يتوخّاها الإسلام"[٢]، فيعبّد (عليه السلام) من خلال حكمه القصيرة طريق (المؤاخاة) بين المسلمين بمفهومها الإسلاميّ الاجتماعيّ، واضعًا للأخوة حدودًا، وحقوقًا، وواجبات، حاثًّا المسلمين على مراعاتها والالتزام بها لما فيها مِن تأليف للقلوب وحفظ للنظام الاجتماعيّ، فيحدّد (عليه السلام) إطار التعامل الأخويّ قائلاً: "**إيَّاكَ أنْ تُهْمِلَ حَقَّ أخيكَ اتِّكَالاً على مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَلَيْسَ لَكَ بأخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ**"[٣]، مُشيرًا إلى أهمية مراعاة حقوق المسلمين، وعدم التهاون بها، وبذلك يصبح المجتمع بحالة من الانسجام والتعاون والتماسك .

ولأن مفهوم الإخوة إيجابيّ في فكر الإمام عليّ (عليه السلام) وسلوكه يرسم لنا منهجًا مهمًا في التعامل ضمن إطار الإخوة الإسلامية الصحيحة في حكمة موجزة إذ يقول: "**لاَ تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ، ولا تَقْطَعْهُ دونَ اسْتِعْتَابٍ**"[٤]، فعلى المسلم أن لا ينحرف عن سلوكه الصحيح في تعامله مع الآخرين إذعانًا للشكّ والريبة، بل إنّه (عليه السلام) يضع لنا منهجًا في الاستعتاب قائلا: "**عَاتِبْ أخَاكَ بالإحسانِ إليهِ،**

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٠٥ .

٢) اقتصادنا: محمد باقر الصدر، ط٢، مكتب الإعلام الإسلاميّ . إيران، ١٤٢٥هـ: ١٨٩ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٤ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٦ .

وارْدُدْ شَرَّهُ بالإنعامِ عليهِ"[١]، أي "اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الإحسان إليه والإنعام في حقّه"[٢]، وبذلك تصفو القلوب، وتزول الضغينة، أمام المعروف والإحسان. ويدعم (عليه السلام) المعنى في حكمة أخرى، إذ يقول: "**إيّاكَ والجَفَاءَ فإنّهُ يُفْسِدُ الإخاءَ وَيُمَقِّتُ إلى اللهِ والنَّاسِ**"[٣]، محذِّرًا المؤمنين من الركون إلى الجفاء والتنافر، كونه سببًا مهمًّا من أسباب انهيار الأخوة وهدمها .

وحفاظًا على هذه الرابطة الفريدة التي خصّ بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، يضع لنا (عليه السلام) القواعد الأساسية التي يجب مراعاتها في دائرة الأخوة الإسلامية في قوله: "**ارْفُقْ بِإخْوانِكَ وَاكْفِهِم غَرْبَ لِسانِكَ**[٥]**وَاجْرِعَلَيْهِم سَببَ إحْسانِكَ**"[٦]، فعلى المؤمن أن يترفق بأخيه المؤمن بالتجاوز عن هفواته وعدم الإساءة إليه قولاً وفعلاً، ولا يكتفي (عليه السلام) بالحثّ على عدم الإساءة، بل نراه ينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية قائلا: "**مَنْ وَعَظَ أخاهُ سِرًّا فقدْ زانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ علانيَّةً فقدْ شَانهُ**"[٧]، فالنصيحة العلنية قد تسبب الحرج والخجل والعناد، فلا تحقق الغاية المنشودة منها في إصلاح الفرد وتقويمه، فيؤكد (عليه السلام) أهمية العامل النفسيّ الذي يجب مراعاته تحقيقًا للغاية المنشودة من النصيحة في قوله: "**النُّصْحُ بَيْنَ المَلإِ تَقْرِيعٌ**[٨]"[٩].

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ، ط١، مطبعة وفا . إيران،١٤٢٧هـ : ٤٠١/٥ .

٢) المصدر نفسه: ٤٠١/٥ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٥ .

٤) الحجرات: ١٠ .

٥) غرب اللسان: حدّته، ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (غرب)

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٨ .

٧) المصدر نفسه: ٤٣٤/٩ .

٨) التقريع: التعنيف، ينظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ (ت٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر، (د.ط)، مكتبة لبنان . بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: مادة (قرع) .

٩) سجع الحمام في حكم الإمام:٢٥٦ .

وانطلاقاً من نظرة الإسلام للإنسان واحترامه قيمة عليا، يبيّن (عليه السلام) السلوك الصحيح في تعامل المسلم مع أخيه المسلم في إطار الأخوة القائمة على التعاون والتآلف، إذ يقول: "**لاَ يُكَلِّفُ أَحَدُكُم أخاهُ الطَّلَبَ إذا عَرَفَ حَاجَتَهُ**"(١)، فالإمام شديد العناية بالكرامة الإنسانية لذلك نراه يجنب المسلم مذلّة السؤال، مطالبًا المسلم بمراعاة أخيه، والإحساس به بالتنبّه لحاجته، والمسارعة لتلبيتها، حفاظًا على كرامته، وتحقيقًا لمبدأ التكافل الاجتماعيّ الذي دعا إليه الإسلام، وحثّ المسلمين على الالتزام به .

وإذا كانت الأخوة هي الرابطة الإيمانية الوثيقة التي تربط أفراد المجتمع المسلم، فإنّ هنالك وجهًا آخر من وجوه الأخوة لا يقلّ قيمة، بل يتفوق عليها أحيانًا وهو (الصداقة)، ولأهمية الصداقة في ميدان التوازن الاجتماعيّ والعباديّ في المجتمع الإسلاميّ(٢)، لم يغفل الإمام (عليه السلام) أمرها، فدعا إلى "نشر هذه القيمة الإنسانيّة السامية بين البشر لأهميتها في رصّ الصفوف ووحدة الكلمة، ووضع الأسس الصالحة لممارستها بما يكفل لها الديمومة والاستمرار "(٣)، فجاءت حكمته: "**الصَّدِيْقُ أَفْضَلُ عُدَّةٍ وأبْقَى موَدَّةٍ**"(٤)، تجسيدًا لأهميّة الأصدقاء، لأنّهم أفضل ثروة يقتنيها الإنسان؛ لذلك عليه أن يكون نبيهًا في اختيار أصدقائه وأخلائه الذين يثق بهم، ويعتمد عليهم، ويأنس إليهم، إذ يقول (عليه السلام): "**الصَّاحِبُ كَالرُّقْعَةِ فَاتَّخِذْهُ مُشَاكِلاً**"(٥).

ويبيّن لنا (عليه السلام) ـ في إطار الصداقة ـ الطريق الصحيح الخالي من زيف النفاق والخداع والخيانة، فيعطينا تعريفًا كاملاً للصديق إذ يقول: "**لاَ يَكُونُ الصَّدِيْقُ صَدِيْقًا حتَّى يَحْفَظُ أخاهُ في ثلاثٍ: في نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، ووفاتِهِ**"(٦)، فالرؤية

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٠٨/١٠ .

٢) ينظر: الإسلام وعلم الاجتماع: ٢٠٠ .

٣) الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة: ٢١٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١ .

٥) المصدر نفسه: ٣٩ .

٦) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٦٣/١٨ .

العلوية للصديق تقترن بصفة لازمة ينتج عنها مجموعة من التعاملات والطباع التي تنطوي تحت إطارها وهي (الوفاء)، فالصديق هو من يشارك صديقه في آلامه، ويساويه بنفسه، ويدافع عنه في غيبته، ويحفظه في أهله، وأن يذكره بخير حيًّا كان أو ميتًا[1].

فضلاً عن صفات أخرى يحدّدها (عليه السلام) من خلال كلماته القصيرة الحكيمة مما يجب أن يتصف به الصديق ليكون مؤهلاً للقيام بواجب الصداقة وأثرها الإيجابي:

كالصدق[2]، والعلم[3]، والحلم[4]، والإيثار[5]، والنصح[6].

ويحذر أيضًا (عليه السلام) من مصاحبة الأحمق[7]، والكذّاب[8]، والفاسق[9]، والبخيل[10]، والشرير[11]، والجاهل[12]، لأنّ هذه الصفات لا تنفع صاحبها ولا تحقق الغاية من مفهوم الصداقة، وأهدافها الساعية إلى صلاح الفرد واستقرار المجتمع .

"وما دامت طبيعة الحياة الاجتماعية تفرض على المجتمعات أن تسيطر عليها مؤسسة تضطلع بتنظيم شؤونهم"[1]، جاءت قصار حِكَم الإمام (عليه السلام)

---

١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣٠٣/٤ .

٢) ينظر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٤٩١/٩ .

٣) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٧ .

٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٧ .

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢ .

٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤١ .

٧) ينظر: المصدر نفسه: ٩٧ .

٨) ينظر:المصدر نفسه: ٩٧ .

٩) ينظر: المصدر نفسه: ٩٧ .

١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٩٧ .

١١) ينظر: سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٦ .

١٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٥ .

متضمنة هذا المفهوم بأبعاده المختلفة، والكفيلة بالمحافظة على استقرار المجتمع، وسلامته، وتماسكه، ومن ثمَّ الارتقاء نحو ما يريده الإسلام من البناء والتطور .

إنّ سلامة المجتمع تقتضي وجود قوة حاكمة توجهه الوجهة السليمة الصحيحة، ومن دون هذه القوة يتجه اتجاهات غير محمودة تؤول به في النهاية إلى الضمور والانحلال[٢]، فيجسّد (عليه السلام) هذا المعنى في حكمته:"**السُلْطَانُ وَزَعَةُ**[٣] **اللهِ فِي أرْضِهِ**"[٤]، فالحاكم أذن هو الأداة الفعلية الساعية إلى تنظيم المجتمع والحفاظ على توازنه واستقراره .

وفي هذا المجال الحيويّ للمجتمع الإسلاميّ ينطلق (عليه السلام) من مبدأ مهم في إطار التوازن الاجتماعيّ السليم، مفاده أنّ الرعيّة لا تصلح إلاّ بصلاح الولاة، فهي بحاجة ثابتة إلى الراعي الصالح الذي يخدم مصالحها، وهو واجب كبير يتصل بغاية عظيمة تعدّ من أقصى أهداف السياسات الاجتماعيّة وغاياتها وهي الصلاح، فيحدّد (عليه السلام) من خلال حكمه القصيرة سمات الوالي الصالح الذي يستطيع أن يقوم بهذا الواجب الكبير قائلاً: "**أَحْسَنُ المُلُوكِ حالاً مَنْ حسُنَ عَيْشُ الناسِ في عَيْشِهِ وعَمَّ رَعِيَّتَهُ بعدلِهِ**"[٥]، وبهذا يكون الراعي في نظر الإمام (عليه السلام) وسيلة لإحقاق الحق، وإقامة العدل، والإحسان إلى الرعية .

ويرى (عليه السلام) أن العدل هو الأساس الذي ينطلق منه البناء المنظم والآمن في قوله: "**جَعَلَ اللهُ سبحانَهُ العَدْلَ قِوَامَ الأنامِ وتنزيهًا مِنَ المَظالِمِ والآثَامِ وتَسْنِيَةً للإسْلامِ**"[٦]، مبيّنًا الآثار الإيجابية الكثيرة التي ينتجها الالتزام بهذه الصفة

---

١) الإسلام وعلم الاجتماع: ٢٢١ .

٢) ينظر: المنهج السياسيّ عند الإمام عليّ (عليه السلام): عبد الهادي عاصي، تقديم: محمد حسين فضل الله، ط١، دار الأمير . بيروت، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م: ٣٤ .

٣) الوَزَعَة: جمع وازع وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة، ينظر: لسان العرب: مادة (وزع) .

٤) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢١١/١٩ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٥ .

٦) المصدر نفسه: ١٨٦ .

وما ينطوي تحتها من إنصاف الضعيف، ومساعدة الفقير، وإلغاء الطبقيّة بالمساواة بين الرعية في الحقوق والواجبات. وبهذا يكون المعيار الذي يجب أن يلتزم به الحاكم في سلوكه مع الرعية، كونه المعيار الذي أمر الله سبحانه به قائلاً: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [1]، فجاءت الحكمة الشريفة لتؤكد أهمية هذا الجانب في قوله (عليه السلام): "**إنَّ العَدْلَ ميْزانُ اللهِ سُبْحانَهُ الذي وَضَعَهُ في الخَلْقِ ونَصَبَهُ لإقَامَةِ الحَقِّ فلا تُخَالِفهُ في ميزانِهِ ولا تُعَارِضِهِ في سُلْطَانِهِ**"[2]، ويحذّر (عليه السلام) من الجور والظلم في حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**لا يكونُ العُمْرَانُ حَيْثُ يَجُورُ السلطانُ**"[3]، وهي إشارة واضحة إلى أن سياسة الجور تتنافى مع البناء الاجتماعيّ بأشكاله المختلفة، بل إنّه (عليه السلام) يعدُّها إحدى أبرز أسباب انهيار المجتمع وتفككه، إذ يقول: "**في الجَوْرِ هلاكُ الرَّعيَّةِ**"[4].

وإذا كانت غاية الحاكم هي إقامة مجتمع إسلاميّ متين، مبني على أسس صحيحة، فعليه أن يمحو هذه الخصلة من قاموسه الاجتماعيّ، وفي ذلك جاءت حكمته (عليه السلام): "**خَيْرُ المُلُوكِ مَنْ أمَاتَ الجَوْرَ وأحيا العدل**"[5].

ويرفض أيضًا (عليه السلام) الظلم وسيلة لقيادة المجتمع لما يترتّب عليه من أضرار وخيمة تسهم في فساده وضعفه وانحلاله "كإماتة الحقّ، وإقبارُ العدلِ، وإحياءِ سُنَنِ الباطلِ، وقَتْلِ المُصْلِحِينَ، ... ونشرِ الفسادِ"[6]، إذ يقول: "**شَرُّ الأُمَرَاءِ، مَنْ ظَلَمَ رَعِيَّتَهُ**"[7].

---

١) النساء: ٥٨ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٢ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٦ .

٤) المصدر نفسه: ٢٧١ .

٥) المصدر نفسه: ١٩٧ .

٦) النظام السياسي في الإسلام: باقر شريف القرشيّ، ط٢، دار التعارف . بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م : ١٠٠ .

٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٣ .

وإذا كان العدل ومجافاة الجور والظلم هو الأساس الذي تُبنى عليه العلاقة بين الراعي والرعيّة في دستور الإمام عليّ (عليه السلام)، فإنه يضع من خلال كلماته القصيرة الحكيمة الصفات اللازمة التي يجب أن يتّصف بها الراعي لقوام هذه العلاقة، وتوجيهها بالاتجاه الاجتماعيّ الصحيح، ويوجز (عليه السلام) هذه الصفات بـ(الحلم، والرفق، وسعة الصدر)، إذ يقول: "**الحِلْمُ رأسُ الرِّيَاسَةِ**"(١)، و"**رأسُ السِّيَاسَةِ اسْتِعْمالُ الرِّفْقِ**"(٢)، و"**آلـةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ**"(٣)، وبذلك يستطيع الوالي النهوض بدوره في إدارة شؤون الرعية من دون الابتعاد عن الخط الإنسانيّ في التواصل والتعامل معهم .

فإذا استكمل الحاكم مستلزمات السيادة، كان الواجب على الرعية أن تطُيعه، وتخلص له، وهذا ما يؤكد عليه الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة، إذ يقول: "**منْ حَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ وَجَبَتْ طاعَتُـهُ**"(٤)، وبذلك يسود المجتمع حالة من الأمن والاستقرار، "إذ إنّ استكمال الصورة بالترابط بين واجبات الحاكم وحقوقه عند الإمام عليّ (عليه السلام) هي السبيل لتطوير المجتمع، وتحقيق سعادته"(٥)، وبكلمات موجزة يختصر الإمام (عليه السلام) التوازن في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأثرها في صلاح المجتمع وتقدّمه قائلاً: "**الطَّاعةُ جُنَّةُ الرَّعِيَّةِ، والعَدْلُ جُنَّةُ الدُّوّلِ**"(٦).

ولا يكتفي الإمام (عليه السلام) بالدعوة إلى بناء المجتمع والمحافظة عليه من خلال حكمه القصيرة التي تتعرّض لراعي المجتمع وعلاقته بالرعية، بل نجده يسعى أيضًا إلى تطهير المجتمع من الظواهر التي تتنافى مع أحكام الشرع في أطر التعامل بين أبنائه؛ ولأن رؤيته (عليه السلام) للعلاقة بين أفراد المجتمع المسلم قائمة على الصدق والوضوح بعيدة عن الغش والتلاعب والخداع، جاءت حكمته في هذا

---

١) المصدر نفسه: ٣٠ .
٢) المصدر نفسه: ٢١٣ .
٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥٢٦/١٨ .
٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٤١ .
٥) حقوق الإنسان عند الإمام عليّ (عليه السلام): ١٨٨ .
٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢ .

الصدد: "**المُؤْمِنُ أخو المُؤْمِنِ: فلاَ يَغُشُّهُ، ولاَ يَعِيْبُهُ، ولاَ يَدَعُ نُصْرَتَهُ**"[1]، تحذيرًا للمؤمن من الخروج عن دائرة الإيمان والإسلام، فقد جاء قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): "مَنْ غَشَّنا فَليسَ مِنَّا"[2]، إشارة صريحة إلى أن القطب الذي يدور عليه التعامل على وفق المنظور الإسلاميّ يجب أن يكون بعيدًا عن الغشّ والتلاعب .

ونقف في هذا المضمون أمام إحدى حكمه (عليه السلام) التي يخاطب فيها أصحاب البيع قائلاً: "**أظْهِرُوا مِنْ رَدِيءِ بَيْعِكُمْ ما تُظْهِرُون من جَيِّدِهِ**"[3]، ويوجّه (عليه السلام) قوله إلى السماكين قائلاً: "**لا تَبِيْعُوا إلاّ طَيِّبًا وإيَّاكُمْ وَمَا طَفَا**"[4]، محذرًا من مغبة خداع الناس وغشّهم وهو ما يتنافى مع أخلاق المسلم وعقيدته .

ولما كانت التجارة تشكّل عصبًا اقتصاديًّا مهمًا في الحياة، يشير (عليه السلام) إلى مسألة خطيرة من مسائل التعامل اليوميّ، فيخاطب التُجّار قائلاً: "**مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ في الرِّبَا**"[5]، فعلى من يمارس هذا العمل أن يكون ملمًّا بتعاليم دينه، عالمًا بحدود مهنته، لكيلا يقع في منزلق خطير نهى عنه الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6]، لما ينطوي عليه من آثار سلبية على المجتمع .

ويشير أيضًا (عليه السلام) من خلال حكمه القصيرة إلى مسألة لا تقل أهمية عن (الربا) إذ يقول: "**كُنْ مُقَدِّرًا ولاَ تَكُنْ مُحْتَكِرًا**"[7]، محذرًا من (الاحتكار) لأنّه من الآفات الاقتصادية والاجتماعية التي توجب حصر الثروة عند فئة خاصة وحرمان

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٥٢ .

٢) صحيح مُسلم: مُسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيريّ النيسابوريّ(ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربيّ . بيروت(د.ت):٩٩/١ .

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٢٢/٩ .

٤) المصدر نفسه: ٢٢/٩ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٣ .

٦) آل عمران: ١٣٠ .

٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٩٩ .

الأكثرية الساحقة منها"[١]، لذلك يجعله (عليه السلام) من الصفات الذميمة في قوله: "**الإحْتِكَارُ شِيْمَةُ الفُجَّارِ**"[٢]، وقوله (عليه السلام): "**الإحْتِكَارُ رَذِيْلَةٌ**"[٣]، داعيًا المؤمن إلى مجافاته وعدم الركون إليه، فليس من أولويات المسلم الانجراف وراء المال والحصول عليه بالطرق التي ينهى عنها الشرع، فالغشّ والرّبا والاحتكار من الممارسات التي لا يرضاها الإسلام، وإذ نراها حاضرة في قصار حكم الإمام (عليه السلام) فهي لتطهير المجتمع من الفوضى والاستغلال حتى يكون التعامل بين أبنائه قائمًا على أسس وضوابط صحيحة، فالدين ليس طقوسًا وعبادات فحسب، بل سلوكًا واقعيًّا يجسّده الإنسان عن طريق التعامل السليم مع غيره من أبناء جنسه .

وبعد نستطيع القول إنّ الإمام عليًّا (عليه السلام) قام بإرساء القواعد والأسس المتينة الكفيلة ببناء مجتمع إسلاميّ قويّ، واقفًا أمام كلّ مفصل من مفاصل الحياة الاجتماعية . رغم تشعبها . ليقدم لنا حكمة تسهم في توطيد أركان المجتمع، وتقويته، وتقدّمه، ليكون منبعًا صافيًا للمفاهيم الإسلاميّة النبيلة، ومثالاً للوحدة والتلاحم، وقدوة للإنسانية .

---

١) النظام السياسيّ في الإسلام: ٢٥٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣ .

٣) المصدر نفسه: ١٣ .

المبحث الثالث

المقصد الإنسانيّ :

يمثّل الجانب الإنسانيّ جزءًا لا يتجزأ من شخصيّة الفرد في المنظور الإسلاميّ، لأنّه الفلسفة العمليّة لتعاليم الدين ومبادئه الهادفة إلى احترام كرامة الإنسان، وتوضيح دوره الإيجابيّ الفاعل في الحياة .

إنّ أنموذج الإنسان الكامل الذي تسعى الشريعة الإسلاميّة إلى تكوينه لا يكتمل إلاّ بالقيم الإنسانيّة "التي تجعل من الإنسان إنسانًا راقيًا، وتضفي عليه قيمته وشخصيته"[١]، لذا نجد أن الإمام عليّا (عليه السلام) ينظر إلى هذا الجانب من خلال حكمه القصيرة لأنَه أحد الجوانب المهمة في بناء الذات الإنسانية على وفق القيم النبيلة التي حثّ عليها الإسلام، وعمل على غرسها في روح الفرد المسلم و نفسه.

ومن هذه القيم المهمة في منهج الإمام عليّ (عليه السلام) صفة (الرحمة) لأنّها "الفلسفة الأولى التي ينطلق منها الإسلام"[٢]، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا

---

١) الإنسان الكامل: مصطفى المطهّريّ، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، ط١، مؤسسة البعثة . بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م: ٤٤ .

٢) الإمام عليّ سيرته الذاتية وفكره الحضاريّ: عبد الحميد المهاجر، ط١، مؤسسة الأعلمي . بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ١٧١/١ .

أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ﴾(1)، وإنها أيضًا إحدى القيم الإنسانيّة التي استطاع الإسلام من خلالها الانتشار في مشارق الأرض ومغاربها، فيوصي بها الإمام (عليه السلام) قائلاً: "**عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو رَحْمَةَ مَنْ فَوْقَهُ كَيْفَ لاَ يَرْحَمُ مَنْ دُوْنَهُ**"(2)، فرحمة الله لعبده مقترنة برحمة العبد لغيره ممن هم بحاجة إليها، ولن يحظى بهذه الرحمة من امتنع عنها، وهذا ما بيّنه (عليه السلام) في حكمة صريحة قائلاً: "**مَنْ لَمْ يَرْحَمِ النَّاسَ منَعَهُ اللهُ تعالى رحمته**"(3)، ويطالب (عليه السلام) الإنسان باستثمار هذه القيمة فيمن يحتاج إلى الرعاية والعناية، في قوله: "**ارْحَمُوا ضُعَفَاءَكُم وَاطْلُبُوا الرَّحْمَةَ منَ اللهِ عزَّ وَجلَّ بالرَّحْمَةِ لَهُمْ**"(4)، منبِّهًا الناس إلى باب من أبواب رحمة الله سبحانه وتعالى التي ينزلها على عباده، وينعم بها عليهم وهو (رحمة الضعفاء).

ولا يغفل الإمام (عليه السلام) أن يسلّط الضوء على بعض فئات المجتمع الضعيفة فيخصّها بالرحمة والرأفة، في حكمة قصيرة يقول فيها: "**بَرُّوا أَيْتَامَكُمْ، وَوَاسُوا فُقَرَاءَكُمْ، وارْأفُوا بِضِعَفَائِكُمْ**"(5) فالواجب الإنساني يستدعي من المسلم أن يكون رحيمًا بالفقراء واليتامى، وأن يعتني بهم، ويحسن إليهم حتى لا يكونوا ضحايا الفقر والجوع والتشرّد .

ونجد أن للفقراء والمحتاجين جانبًا واسعًا من العناية في المنهج الرحمانيّ للإمام عليّ (عليه السلام) إذ يقول: "**علَيْكُمْ بِفُقَرَاءِ المُسْلِمِيْنَ أَشْرِكُوهُمْ في مَعِيْشَتِكُمْ**"(6). وفي السياق نفسه جاءت حكمته (عليه السلام): "**لا يشْبَعُ المُؤْمِنُ وأخُوهُ جَائِعٌ**"(7)، دعوة صريحة إلى ضرورة العناية بالفقراء والمحتاجين ومعاملتهم على وفق إطار الرحمة والعطف والإحسان، إذ يشترط الإمام (عليه السلام) على المؤمن الغني أن

---

1) الأنبياء: ١٠٧ .

2) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٢ .

3) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٦٤ .

4) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٤٤٠ .

5) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧١ .

6) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٦٦٧ .

7) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٤ .

يتواصل مع إخوته الفقراء، وهو بذلك يُرسي قواعد التكافل الاجتماعيّ، ويؤكد عليها من خلال حرصه على أن يشارك ميسوري المجتمع في إطعام جيّاعه.

وينطلق الإمام (عليه السلام) من عمق تجربته الإنسانيّة واضعاً لنا معيارًا سلوكيًّا في التعامل الأمثل مع هذه الفئة من المجتمع في واحدة من حكمه القصيرة إذ يقول: "**إنَّ المِسْكِينَ رسُولُ اللهِ؛ فَمَن مَنعَهُ فَقَد مَنَعَ الله، وَمَن أعْطَاه فَقَد أعْطَى الله**"[1].

ولما كانت فلسفة الرحمة عند الإمام عليّ (عليه السلام) ذات مفهوم واسع، نراها تشمل جميع الناس لا فرق بينهم ولا تمييز، فنراه يدعو الإنسان إلى انتهاج سبيل الرحمة في تعامله مع الناس جميعهم في قوله: "**أشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِجَمِيْعِ النَّاسِ والإحْسَانِ إلَيْهِمْ ولا تَنَلْهُمْ حَيْفًا ولاَ تَكُنْ عَلَيْهُم سَيْفًا**"[2]، ويؤكد (عليه السلام) على هذا الجانب الإنسانيّ في حكمة أخرى يبيّن أهمية إضمار الرحمة للناس جميعهم؛ بوصفها الوسيلة الفعالة التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يحظى برحمة الله تعالى وينعم بها قائلاً: "**أبْلَغُ ما تُسْتَدَرُّ بهِ الرحْمَةُ أنْ تَضْمِرَ لجَمِيْعِ الناسِ الرَّحْمَةَ**"[3].

ومن هنا نجد أن المجتمع الإسلاميّ في نظرته (عليه السلام) مجتمع إنسانيّ، وأن الرحمة هي القيمة الإسلاميّة الإنسانيّة النبيلة التي يستحقها الناس جميعهم من دون تمييز، إذ إنهم على وفق الرؤية العلويّة "**صنفان: إمَّا أخٌ لكَ في الدين، وَإمّا نظيرٌ لكَ في الخَلْقِ**"[4]، وبذلك يثبّت لنا الإمام عليّ (عليه السلام) أساسًا لطبيعة العلاقة بين جميع الناس في عموم الأرض سابقًا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بأكثر من ألف سنة ويزيد[5]، ولاشكّ أنّ الإمام (عليه السلام) قد تعلّم درس الرحمة

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٧٧.

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٠ .

٣) المصدر نفسه: ١٠٤ .

٤) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢٦/١٧ .

٥) حول هذه الفكرة ينظر: عليّ صوت العدالة الإنسانيّة (وثيقة إعلان حقوق الإنسان الدولية) : ٣٨٩ .

هذا من الإسلام أولاً، ومن الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فكان خير مَنْ نفّذ تعاليمها تنفيذاً عملياً .

ولأن الإمام كان رحيمًا حتى مع أعدائه[1]، يجعل الرحمة قيمة إنسانيّة ثابتة حتى في حالات التنازع والقتال، فيقدّم لنا حكمة قصيرة يشير فيها إلى أنّ ظروف الحرب وأجواءها لا تتنافى مع الرحمة بوصفها سلوكًا إنسانيّاً قائلاً: "**لاَ تتَّبِعُوا مُدْبِرًا ولا تُجْهِزوا على جريح**"[2]، مما يدلّ على أنّ الرحمة والرأفة طالت في منهج الإمام عليّ (عليه السلام) حتى الأعداء، وهذا يؤكد مذهبه في "إحياء الفضيلة والخصال الإنسانية بغض النظر عن الموقع والزمان والمكان؛ لأن هذا ما تعتمد عليه فلسفة خلق الإنسان"[3].

ويجعل (عليه السلام) المساواة إلى جانب الرحمة بوصفها قيمة إنسانية رفيعة، يجب أن لا يُتغافَل عنها، ولاسيما بعد ما عانى المجتمع كثيرًا في عصر ما قبل الإسلام من تسلّط الأقوياء (حالاً وقوة ونفراً)، وتنعّمهم بالسيادة والثروات على حساب الضعفاء والفقراء، فلا يُعامل الشريف والغني ولا يحاسب كما يحاسب ويعامل الفقير والضعيف .

فيؤكد (عليه السلام) على مبدأ المساواة العادلة بين الناس جميعهم بصرف النظر عن انتماءاتهم العقائديّة، والعرقيّة، والطبقيّة في إحدى حكمه القصيرة إذ يقول: "**أَنْصِفْ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وأَهْلِكَ وخاصَّتِكَ ومَنْ لكَ فيه هَوًى، وَاعْدِلْ في العَدُوِّ والصَّدِيقِ**"[4]، وهذه دعوة صريحة إلى ضرورة التمسّك بجانب مهم من جوانب السلوك الأخلاقيّ الذي يهدف إلى المساواة بين الناس جميعهم في الحقوق والواجبات، وإنْ كان ذلك الإنصاف من ناحية ذوي القربى .

---

١) ينظر: الإمام عليّ سيرته الذاتية وفكره الحضاريّ (حديثه مع الحسن (عليهما السلام) يوصي بقاتله ابن ملجم): ١٧٢ .

٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٣٤/١٠ .

٣) المنهج السياسيّ عند الإمام عليّ (عليه السلام): ٥٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٤ .

ولأن المساواة تجلت عند الإمام بأوضح صورها حينما ساوى بينه . وهو أمير المؤمنين . وبين رجل من أهل الذمة أمام القضاء[1]، يجعل (عليه السلام) المساواة أمام القضاء "قانونًا لا يقبل تأويلاً ولا يأذن بعبث"[2]، فجاءت حكمته: "**إنّ مِنَ العَدْلِ أنْ تُنْصِفَ فِي الحُكْمِ وتَجْتَنِبَ الظُّلْمَ**"[3]، تجسيدًا دقيقًا لأهمية المساواة العادلة أمام القضاء؛ لأنّه الفيصل الحاسم في حلّ النزاعات والخلافات بين الناس، والوسيلة العملية لإلغاء التمايز والتفاضل بينهم، فيطالب (عليه السلام) ممن يقوم بهذه الوظيفة أن يساوي بين الخصمين بصرف النظر عن أجناسهم وانتماءاتهم الدينيّة والفكريّة .

ومما لا شكّ فيه من أنّ التسامح والعفو عن الإساءة من أهم الأسس التي تبنى عليها العلاقات الإنسانيّة في المجتمع المسلم الذي يضمّ قومياتٍ وأجناس وطوائف مختلفة، فيجعل (عليه السلام) من التسامح مبدءًا في تهذيب النفس والتعايش بين هذه الفئات، إذ يقول في ذلك: "**عَوِّدْ نَفْسَكَ السَّمَاحَ**"[4]، وفي السياق نفسه يشير (عليه السلام) في حكمة أخرى: "**مَنْ عَامَلَ النَّاسَ بالمُسَامَحَةِ اسْتَمْتَعَ بِصُحْبَتِهِم**"[5]، إلى أنّ هذا السلوك يُعدّ الركيزة الأساس التي يُبنى عليها التعايش السلميّ بين الناس كافة، فالخلاف الدينيّ أو الفكريّ لا يعدّ في نظرة الإمام (عليه السلام) عاملاً من عوامل التخاصم والتشاحن بل عاملاً من عوامل التعاون والبناء عن طريق احترام الآخرين، وتقبلّهم والتعامل معهم بإنسانيّة وانفتاح حضاريّ .

---

١) ينظر: الكامل في التاريخ: عز الدين ابن الأثير، (قصة تقاضي الإمام عليّ (عليه السلام)= =في أثناء خلافته مع النصرانيّ الذي وجد درعه لديه)، ط٤، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧: ٢٦٥/٣ .

٢) عليّ صوت العدالة الإنسانيّة: ٣٥٢/١ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٧ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٥٦ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٥١ .

أما العفو عن الإساءة فهو إحدى القيم الخلقية التي حثّ عليها الله سبحانه وتعالى المسلمين في قوله: ﴿وإِنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، لذلك نجد أن الإمام عليّاً (عليه السلام) يبيّن أهمية العفو في أخلاقيات المسلم في حكمة قصيرة يقول فيها: "**المُبَادَرَةُ إلى العَفْوِ منْ أخلاقِ الكِرَامِ**"[2].

ويدعو (عليه السلام) إلى ضرورة التمسّك بهذا الخط الإنسانيّ عند التمكّن، والقدرة؛ بوصفه من سمات الروح الإنسانيّة الفاضلة قائلاً: "**أحْسَنُ العَفْوِ مَا كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ**"[3]، فعفو القادر على العقوبة تجسيد حقيقي للجانب الإنسانيّ في الشخصية المسلمة التي تسعى إلى تصفية النفس من شوائب الحقد والضغينة والانتقام، وإشاعة المودة والتعاطف بين جميع الناس، وهذا ما يصرّح به الإمام (عليه السلام) في حكمة أخرى يحثّ فيها على ضرورة التمسّك بفضيلة العفو مع الأعداء أيضاً مخاطبًا روح المسلم وكيانه الإنسانيّ قائلاً: "**إذا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ العَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا للقُدْرَةِ عَلَيْهِ**"[4]، فإذا كان الظفر بالعدو والقدرة عليه هي اللحظة التي يتمناها الإنسان، فإنّ العفو عنه في تلك اللحظة هو ارتقاء بالنفس إلى أعلى درجات الإنسانيّة والنبل .

وننتقل مع قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) إلى قيمة أخرى من القيم الإنسانيّة الثابتة التي يؤديها الإسلام ويؤكد عليها[5]، فنراه يدعو إلى أهمية خدمة الناس وقضاء حوائجهم بعبارة موجزة يقول فيها: "**إنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إلَيْكُم نِعْمَةٌ منَ اللهِ عَلَيْكُمْ، فاغْتَنِمُوها ولاَ تَمَلُّوها فَتَتَحوَّلَ نِقَمًا**"[6].

فقضاء حوائج الناس فرصة على الإنسان أنْ يغتنمها؛ لأنّها إحدى الوسائل التي تكفّر الذنوب وتمحوها، وهو ما يريده المسلم المؤمن الذي يغتنم الفرص للتقرّب

---

١) التغابن: ١٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٠ .

٣) المصدر نفسه: ١٠٥.

٤) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٢٨٦/١٨ .

٥) ينظر: الإنسان الكامل: ٣٠ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٢٦ .

إلـى الله سـبحانه وتعـالى ونيـل رضـاه، ويفـتح الإمـام (عليـه السـلام) البـاب علـى مصراعيه في هذا المجال إذ يقول: "**مِنْ كَفَّاراتِ الذُّنُوبِ العِظَامِ، إغَاثَةُ المَلْهُوفِ، والتَّنْفِيْسُ عَنِ المَكْرُوبِ**"[١]، وهي أيضًا جزءٌ لا يَتجزَّأ من الأخلاق الإنسانيّة الفاضلة التي يستطيع من خلالها الفرد نيل محبة النّاس ومودتهم، وهذا ما بيّنه (عليه السلام) في حكمة قصيرة يقول فيها: "**مَنْ كَثُرَ إحْسَانُهُ أحَبَّهُ إخْوَانُهُ**"[٢]، فإذا لم يكن الإنسان راغبًا في ثواب الله عزّ وجلّ، وغير خائف من عقابه .وهو ما يتنافى مع إيمان المسلم وعقيدته . فعليه أنْ يكون أهلاً للخير والفضيلة الأخلاقيّة بقضاء حوائج الناس ومساعدتهم تخفيفًا لمعاناتهم .

ولا يخفى ما لحسن الخلق من أهمية كبيرة بين الفضائل الإنسانيّة ، إذ إنّه "ملاك الفضائل ونظام عقدها"[٣]، فقد استطاع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يكسب قلوب الناس بحسن خلقه وكماله الذي وصفه به سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]؛ لذا نجد أن الإمام عليّاً (عليه السلام) يرصد لهذه الفضيلة التي تمثّل وجه من وجوه الرقيّ الإنسانيّ في التعامل مع الآخرين جملة من الحكم القصيرة[٥]، يحثّ فيها الإنسان على ضرورة التمسّك بحسن الخلق بوصفه وسيلة "لكسب المحامد والأمجاد، ونيل المحبة والإعزاز"[٦]، منها: "**عليْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ فإنَّهُ يُكْسِبُكَ المَحَبَّةَ**"[٧]، وقوله (عليه السلام): "**مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ كَثُرَ مُحِبُّوهُ وأَنِسَتْ النُّفُوسُ بِهِ**"[٨].

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٠٩/١٨ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٥٨ .

٣) أخلاق أهل البيت: ٩ .

٤) القلم: ٤ .

٥) ينظر: موسوعة الإمام عليّ في الأخلاق: هادي المدرسيّ، ط١، دار الجيل . بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ١٨٢ .

٦) أخلاق أهل البيت: ٩ .

٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٥٥ .

٨) المصدر نفسه: ٣٤١ .

ولا يقتصر حسن الخلق في منهج الإمام (عليه السلام) على كسب قلوب الناس ومحبتهم، بل إنه الدليل البيّن على هوية الإنسان المؤمن الذي يجعل من حسن خلقه مع الناس تجسيدًا حقيقيًّا لإيمانه بالله تعالى بالتلطّف بعباده، والرفق بهم، وفي ذلك يقول (عليه السلام): "**حُسْنُ الخُلْقِ خَيْرُ قَرِيْنٍ، وعُنْوانُ صَحِيْفَةِ المُؤمنِ حُسْنُ خُلْقِهِ**"[1]، ويحذّر المسلمين من الخروج عن هذا المنهج الإنسانيّ في التعامل مع الناس، فجاءت حكمته: "**واللهِ لاَ يُعَذِّبُ اللهُ سُبْحانَهُ مؤْمِنًا إلاَّ بسُوءِ ظَنِّهِ وَسُوءِ خُلْقِهِ**"[2]، تشديدًا منه (عليه السلام) على حرمة سوء الخلق لتنفير الناس منه، وإبعادهم عنه .

ويؤكّد الإمام (عليه السلام) في حكمة أخرى على ضرورة الابتعاد عن هذا الانحراف النفسيّ الذي يسبب انقباض الإنسان وغلظته وشراسته[3]، قائلاً: "**رَوِّضُوا أنْفُسَكُمْ على الأخلاقِ الحَسَنَةِ، فَإنَّ العَبْدَ المُسْلِمَ يَبْلُغُ بحُسْنِ خُلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائمِ القَائِمِ**"[4]، إذ إنّ حُسْنَ الخلق في نظر الإمام عليّ (عليه السلام) يوازي في ميدانه الإنسانيّ درجة القائم الصائم في ميدانه العباديّ .

ويوجز (عليه السلام) الدعوة إلى حسن الخلق بحكمة قصيرة هي: "**خالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوا عَلَيْكُم، وإنْ عِشْتُم حَنُّوا إليْكم**"[5]، فالتحلّي بحسن الخلق في التعامل مع الناس له أثره الكبير في إشاعة السمعة الحسنة والذكر الطيب الذي يسمو بالإنسان حيًّا ويخلّده ميّتًا.

ولمّا كانت شخصية الإنسان تتجلّى في خصائصه الأخلاقيّة والنفسيّة، فإذا عُدِمت هذه الخصائص المتسمة بالإنسانيّة ينسلخ إلى وحش كسائر الوحوش، نجد

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٣٥٩ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٧ .

٣) ينظر أخلاق أهل البيت: ١٤ .

٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٤٣٨ .

٥) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٢٨٤ .

الإمام (عليه السلام) يحثّ المسلمين على التحلّي بالأخلاق الحسنة الفاضلة إذ يقول: "**كُنْ مُتَّصِفًا بِالفَضَائِلِ مُتَبَرِئًا مِنَ الرَذَائِلِ**"[١].

والأخلاق الفاضلة عنده (عليه السلام) كثيرة: كالسَّخَاء والعِفَّة[٢]،والحَيَاء[٣]، والصِّدْق[٤]، والأمَانَة[٥]، والحِلْم[٦]، والشُّكْر[٧]، والشَّجَاعَة[٨]، والتَّوَاضُع[٩]، والصَّبْر[١٠]، والغَيْرَة[١١]، فإذا اتصف الإنسان بهذه الخصال والفضائل الأخلاقية، استطاع أن يبلغ مقام الإنسانيّة الأرفع لما تتضمنه من سلوك إيجابيّ قائم على الإيثار والرفعة وحبّ الآخرين واحترامهم والتعامل معهم على وفق إطار إنسانيّ منظم.

وينهي (عليه السلام) من خلال حكمه القصيرة عن الصفات الخلقيّة والنفسيّة التي من شأنها أن تسهم في انحراف الشخصية المسلمة عن مسارها الصحيح كالتكبّر، والعجب، واحتقار الناس، وسوء الظنّ بهم، إذ يقول: "**أقبحُ الخُلْقِ التَّكَبُّرُ**"[١٢]، فالتكبر على وفق الرؤية الإسلامية صفة قبيحة، وغير لائقة للإنسان لأنّها "تدعو إلى الإعجاب بالنفس والتعاظم على الغير بالقول والفعل"[١٣]، ولأن القرآني صريح في بيان عاقبة المتكبرين في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٢٦٦ .

٢) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ١١٤ .

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦١ .

٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٤ .

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨٣ .

٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٧ .

٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٩ .

٨) ينظر: سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٢٦.

٩) ينظر: المصدر نفسه: ٩٩ .

١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٤١ .

١١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٦ .

١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١١٦ .

١٣) أخلاق أهل البيت: ٣٩ .

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]، نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) يحذّر من هذه الرذيلة التي ينطلق منها التمييز الإنسانيّ بأشكاله المختلفة في حكمته البليغة: "**احْذَرْ الكِبْرَ فإِنَّهُ رَأْسُ الطُّغْيَانِ، وَمَعْصِيَةُ الرَّحْمَنِ**"[2].

فمعاملة الناس من موقع الاستعلاء، والطغيان عليهم لا تنسجم مع مبادئ الدين الحنيف الداعية إلى المحبة والعدالة والمساواة .

ويرفض الإمام (عليه السلام) هذه الصفة المقيتة رفضًا قاطعًا في حكمة موجزة يرسم فيها صورة واضحة لحقيقة الإنسان ونشأته ونهايته إذ يقول: "**عَجِبْتُ للمُتَكَبِّرِ الذي كَانَ بالأَمْسِ نُطْفَةً وهُوَ غَدًا جِيْفَةٌ**"[3]، فتذكُّر هذه البداية الطبيعية، والنهاية الحتمية لكل مخلوق، تكفي للتخفيف من غلواء النفس، وتكبرها وتعجرفها للسيطرة عليها، فلا ترمي صاحبها في مزالق الكبر والترفّع والتعالّي .

ويحذّر (عليه السلام) أيضًا من الإعجاب بالنفس لأنّه من الصفات السيئة المؤدية إلى التعالّي على الناس والتجبّر عليهم في حكمته القصيرة: "**لِنْ وَاحْلُمْ تَنْبُلْ، ولا تَكُنْ مُعْجَبًا فَتُمْقَتْ وَتُمْتَهَنَ**"[4]، مطالبًا المسلم خاصة، والإنسان عامة، بأن يرتقي بنفسه عن مثل هذا السلوك المؤدي إلى بغض الناس ونفورهم، وأن يكون نبيلا في خلقه وتعامله مع الآخرين باتصافه بالحلم واللين .

وينبّه الإمام (عليه السلام) الإنسان الواعي في قصار حكمه التي يقول فيها: "**العُجْبُ رأسُ الجَهْلِ**"[5]، و"**العُجْبُ عِنْوانُ الحَمَاقَةِ**"[6]، إلى أن العُجب دليل على الحماقة والجهل؛ لأنه ناتج عن عدم معرفة الإنسان بنفسه معرفة صحيحة "فهو ظنّ كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة هي غير مستحقة، وحقيق على من عرف نفسه أن يعرف كثرة العيوب والنقائض التي تعتريها، فإن الفضل مقسوم بين البشر وليس

---

١) الزمر: ٧٢ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٠ .

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٦٣/١٠ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٠٦ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٦ .

٦) المصدر نفسه: ٤٦ .

يكمل الواحد منهم إلاّ بفضائل غيره، ومن كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه أن لا يعجب بنفسه"[١].

ولا يعدّ الإمام عليّ (عليه السلام) احتقار الناس والاستهانة بهم من الملكات الإنسانيّة النبيلة التي يتميز بها البشر في المجتمع المسلم، فجاءت حكمته: "**لاَ يَهُونَنَّ عَلَيْكَ من قُبُحَ مَنْظَرَهُ، وَرَثُّ لِبَاسُهُ، فإنَّ اللهَ تَعَالى يَنْظُرُ إلى القُلُوبِ، وَيُجَازِي بِالأعْمَالِ**"[٢]، توجيهًا واضحًا نحو السمو بالنفس الإنسانيّة عن هذه النزعة المريضة والجاهلة التي لا يريدها الإسلام في مجتمعه، بل يريد احترام ماهيّة الإنسان، والحفاظ على كرامته، حيث ينظر إلى النّاس على أنّهم سواسية، لا مقياس للتفاضل بينهم إلاّ مقياس الله سبحانه وتعالى الذي بيّنه لنا في نصّ قرآني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٣]؛ لذلك يدعو (عليه السلام) في حكمة أخرى إلى احترام الكيان المعنويّ للإنسان من خلال صفة (التواضع) الإنسانيّ قائلاً: "**أكْرِمْ ضَيْفَكَ وَإنْ كَانَ حَقِيرًا، وَقُمْ عَنْ مَجْلِسِكَ لأبيكَ وَمُعَلِّمِكَ وإنْ كُنْتَ أميرًا**"[٤].

ولمّا كان سوء الظن سببًا من أسباب تفكك الروابط الإنسانية القائمة على الثقة والاحترام والمودة بين أبناء المجتمع الواحد، لما يترتب عليه من آثار سلبية بيّنها الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة إذ يقول: "**سُوْءُ الظَّنِّ يَدْوِي القُلُوبَ، وَيَتَّهِمُ المَأْمُونَ، ويُوحِشُ المُسْتَأنِسَ ويُغَيِّرُ مَوَدَّةَ الإخْوانِ**"[٥]، يدعو (عليه

---

١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: ابن مسكويه(ت٤٢١هـ)، تحقيق: عماد الهلاليّ، ط١، طليعة النور. قم، ١٤٢٦هـ: ٢٨٧ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٠١ .

٣) الحجرات: ١٣ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٣ .

٥) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٣٦ .

السلام) إلى استئصال هذا السلوك الهدّام، الناتج عن ضعف النفس وصغرها[1]، في حكمة صريحة يقول فيها: "**اطْرَحُوا سُوْءَ الظَّنِّ بَيْنَكُمْ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَى عَنْ ذَلِكَ**"[2].

وحرصًا منه (عليه السلام) في القضاء على هذه الخصلة السيئة بيّن لنا انعكاسها على شخصية الإنسان في تعامله مع الآخرين قائلاً: "**أَسْوَأَ النَّاسِ حَالاً مَنْ لاَ يَثِقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ، ولاَ يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوْءِ أَثَرِهِ**"[3].

وبذلك يكون حسن الظنّ هو القاعدة الغالبة في التعامل والتواصل مع الآخرين على وفق الرؤية العلويّة، وهو ما يؤكده (عليه السلام) في حكمة أخرى واضعًا لنا منهجًا سلوكيًّا قائمًا على حسن الظنّ، ينأى فيه الإنسان عن الشك والريبة؛ بوصفها أقوى أسباب التباعد والتخاصم قائلاً: "**لاَ تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الخَيْرِ مُحْتَمَلاً**"[4]، فعلى الإنسان ألاَّ يُسيء الظنّ في أيِّ قولٍ أو فعلٍ يمكن أنْ يجد له تأويلاً حسناً .

ولم تكن محاربة الشرّ بعيدة عن المقصد الإنساني للإمام عليّ (عليه السلام) فنراه يرسم لنا الطريق السليم للتعامل الإنسانيّ الحسن مع الآخرين من خلال البدء بمحاربة الشرّ داخل النفس وإصلاحها بوصفه خطوة أولى لإصلاح المجتمع إذ يقول: "**أحصُدُ الشَّرِّ من صَدرِ غَيْرِكَ بِقَلْعَهِ مِنْ صَدْرِكَ**"[5]، وبذلك يستطيع الإنسان أن يفتح أبواب المودة في قلوب الآخرين عن طريق اقتلاع الشرّ داخل نفسه والقضاء عليه .

ورغبة منه (عليه السلام) في القضاء على هذه الرذيلة السيئة في المجتمع بعد القضاء عليها داخل النفس الإنسانية، إذ تندرج تحتها جميع المساوئ والعيوب، يبيّن

---

١) ينظر: جامع السعادات: ١/٢٧٥ .

٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٤٤٤ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٥٥ .

٤) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٩/٢٤١ .

٥) المصدر نفسه: ١٨/٥٢٩ .

لنا عواقب من سلك طريق الشرّ في حكمة قصيرة يقول فيها: "**لاَ يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ منْ لا يَنْجُو النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ**"(١).

وعلى الرغم من رفض الإمام (عليه السلام) للشرّ رفضًا مطلقًا إلاّ أننا نجده يقف عند حالة من حالات الشرّ بحكمة منفردة يقول فيها: "**شَرُّ النَّاسِ مَنْ لاَ يَعْفُوا عَنِ الهَفْوَةِ ولاَ يَسْتِرُ العَوْرَةَ**"(٢)، واصفًا من يتتبع عورات الناس، ويشهّر بها بـ(شرّ النّاس)، لما فيه من سلوك غير إنسانيّ قائم على انتهاك حرمة الناس، والاستهانة بخصوصياتهم التي ينظر إليها (عليه السلام) نظرة قدسية؛ لا جدال ولا مراء فيها، وهذا ما نستدلّ عليه انطلاقًا من مبدأ النبل الإنسانيّ المتمثل في إحدى حكمه التي يقول فيها: "**لَوْ وَجَدْتُ مُؤْمِنًا على فَاحِشَةٍ لَسَتَرْتُهُ بِثَوْبِي هذا، إنَّ التَّوْبَةَ فيما بَيْنَ المُؤْمِنِ وَبَيْنَ اللهِ**"(٣)؛ لذلك يطالب الإنسانَ باحترام خصوصيات أخيه الإنسانِ، والتأني قبل محاسبته وإصدار الأحكام عليه، إذ يقول: "**يا عبدَ اللهِ لا تَعْجَل في عَيْبِ عَبْدٍ مُذْنِبٍ، فلَعَلَّهُ مَغفُورٌ لهُ، ولا تأمَنْ على نفسِكَ صغيرَ معصيةٍ، فلعلكَ مُعَذَّبٌ عليها**"(٤)، فالأولى بالإنسان أن ينشغل بإصلاح نفسه قبل تقييم غيره، والتنبّه لذنوبه وعيوبه قبل ذنوب الآخرين وعيوبهم.

ولا يقتصر منهج الإمام عليّ (عليه السلام) الإنسانيّ على الإنسان فحسب بل نجد أن "دائرة العدل والحق والرحمة تسع في منطق الإمام حتى تشمل أبعد من حياة البشر فتسع الكائنات جميعها من حيوانات ونباتات وجمادات"(٥)، إذ يقول: "**اتَّقُوا اللهَ في عِبَادِهِ وَبِلادِهِ، فإنَّكُمْ مَسْؤُوْلُوْنَ حَتَّى عنِ البِقَاعِ وَالبَهَائِمِ**"(٦).

فليس من المعقول أن يحثّ الإمام (عليه السلام) الناس على التراحم والتعاطف والتسامح في حين أنهم يمارسون أقسى درجات العنف والقسوة على

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٦ .

٢) المصدر نفسه: ٢٣٤ .

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩٣/١٠ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٤٥ .

٥) المنهج السياسي عند الإمام عليّ (عليه السلام): ٧ .

٦) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢١١/٩ .

الحيوانات؛ لذلك نجده من أوائل الذين نادوا بمراعاة حقوق الحيوان والعناية به جاعلاً (الرفق) هو الإطار الإنسانيّ الذي يتم به التعامل مع هذه الأنفس قائلاً: "**ارْفُقْ بالبهائمِ فلا تُوقَفُ عليها أثقالُهَا ولا تُسْقى بِلُجُمِهَا ولا تُحَمَّلُ فوقَ طاقَتِها**"[1].

فالرفق بالحيوان وعدم الإساءة إليه هو مبدأ إسلاميّ مهم في أخلاق الفرد المسلم وسلوكه، يؤكد عليه الإمام (عليه السلام) في حكمة أخرى يطالب فيها المسلمين بالاهتمام بهذه المخلوقات الضعيفة التي تحسّ وتشعر وتتألم إذ يقول: "**مَنْ سَافَرَ مِنْكُمْ بِدابَّتِهِ فَلْيَبدأْ حِيْنَ يَنْزِلُ بِعَلَفِها، وَسَقْيِها**"[2].

يتبيّن لنا من خلال ما ورد من قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) في هذا المقصد، أن النظرة العَلَويّة إلى الإنسان نابعة من الجوهر الإنسانيّ لا غير، وأنّ المجتمع الذي أراده الإمام عليّ (عليه السلام) ودعا إليه، هو مجتمع إنسانيّ قبل كلّ شيء، يتساوى فيه الجنس البشري في الحقوق والواجبات كافة، فلا مكان فيه للأحساب أو الأنساب أو العنصرية، ويحرص (عليه السلام) على صيانة كرامة الإنسان وحقه في الحياة الكريمة الآمنة، فلا يهان، ولا يضطهد، ولا تُسلب حقوقه.

وأنّ الإنسانية عنده (عليه السلام) ذات مفهوم عام وشامل، تدخل فيه جميع الكائنات من إنسان وحيوان ونبات، وبذلك يكون الإمام عليّ (عليه السلام) رائدًا للإنسانيّة، وحقوق الإنسان من دون منازع .

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٥٢ .

٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٣٣/٩ .

توطئة

للأصوات أثر كبير في إنتاج الدلالة، فاللغة عامةً "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[(١)]، لذا أولى المفكرون العرب . الصوت . عناية كبيرة في كتبهم ومؤلفاتهم، فالصوت كما يراه الجاحظ (ت٢٥٥هـ) هو "آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزونًا ولا منثورًا إلاّ بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف"[(٢)]، ولم تقف عنايتهم على تعريف الصوت، بل فصّل العرب ترتيب مخارج الحروف من الصدر إلى الشفتين وأطلقوا على كل مجموعة اسمًا يدلّ على الموضع الذي تخرج منه، ودرسوا صفاتها كالهمس والجهر والشدة والرخاوة والاستعلاء والانخفاض والانطباق والانفتاح والقلقلة[(٣)]، وذهب بعضهم إلى الوقوف على جرس الألفاظ ومناسباتها الدلالية، إذ عدّه ابن جني (ت٣٩٢هـ) بابًا عظيمًا وواسعًا في قوله: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنَّهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمت الأحداث المعبَر عنها، فيعدلونها بها ويحتذّونها عليها، وذلك أكثر مما نقدرَه وأضعاف ما نستشعره"[(٤)]، ويضرب ابن جني مثلاً لذلك في قولهم (خضم) و(قضم)، فالخضم

---

١) الخصائص: ابن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية . القاهرة (د.ت): ٣٣/١ .

٢) البيان والتبيين: ٧٩/١ .

٣) ينظر: الكتاب(كتاب سيبويه): أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه) (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م: ٤٣٦.٤٣١/٤ ، وسرّ الفصاحة: ٥٦.٥٤، ولغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة: صادق حسين المالكيّ، ط١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية . بغداد، ١٤٢٩ هـ/٢٠٠٨م: ٥٠٥ .

٤) الخصائص: ١٥٧/٢ .

لأكل الرطب، والقضم للصُلب اليابس، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، إذ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث[1].

واتسع اهتمام المحدثين بالجانب الصوتيّ فجعلوه أحدى أهم وسائل دراسة النصّ الأدبيّ، لما تحدثه الأصوات من أثر على المتلقي للنصّ الأدبيّ، فإذا سيطر الصوت على السامع وجد له انفعالاً في صورة الحزن حينًا، والبهجة حينًا آخر[2]، ولا يحتلّ الصوت أهميته الدلالية هذه بوصفه وحدة مفردة فحسب بل من خلال تفاعله داخل بنية النصّ أيضًا "ذلك التفاعل الذي يسعى المنشيء إلى إثارته والذي تتجلّى آثاره بين الحضور الإيقاعيّ وتشكيل المعنى ومن ثمّ التمهيد للمنتج الدلاليّ"[3].

ولمّا كان موضوع (الحكمة) يحمل بين طياته أبعادًا إيحائيّة يسعى فيها المنشيء إلى إثارة المتلقي واستقطابه، فإنّ الاهتمام بتآلف الأصوات وانسجامها يمكن أن يؤدي هذا الدور بالشكل الذي يشدّ السامع ويحاكي شعوره ووجدانه، ولاسيما حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، إذ نجد أنّ للجانب الصوتيّ أثره في تشكيل المعنى وتقديمه سواء أكان ذلك في جرس الألفاظ أم في نغم التراكيب المنسجم مع المعنى في سياقه العام ومواقفه المتنوعة، فلا توحي الألفاظ في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة بمعانيها فحسب، بل تسمح للمعاني بالتغلغل في كيان الفرد ووجدانه بما تحمله من قيمة نغميّة وإيقاعيّة تمكّن هذا النصّ القصير من البقاء محفوظًا في ذاكرة المتلقي، لأنّ النصّ القصير (الحكمة) كلما كان أكثف إيقاعًا وصوتًا كان أيسر حفظًا أولاً، وأطول بقاءً في الذاكرة ثانيًا .

ومن هنا نجد أهمية العناية . ملاحظة ودراسة . لهذا الجانب في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) لِما له من دور بارز في إنتاج القيمتين الدلاليّة والجماليّة

---

١) ينظر: الخصائص: ٢/١٥٧-١٥٨ .

٢) ينظر: موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، (د.ط)، دار القلم، (د.ت): ١٩ .

٣) المناجاة وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) دراسة أسلوبيّة: إدريس طارق حسين، رسالة ماجستير، كلية التربية/ جامعة بابل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٢٢ .

لتلك الحكم، وهذا ما سنعرض له فيما يأتي من مباحث (صوتيّة) نجد أنّها قد تميزت دون سواها من مظاهر صوتيّة، مسلسلين إياها بحسب الكثرة والشيوع .

المبحث الأول

السَّجْع :

السَّجْع لغة: سَجَع يسجَع سَجْعًا: استوى واستقام وأشبه بعضُه بعضًا ... والسَّجْعُ: الكلام المُقَفَّى، والجمع أسْجَاع وأساجيع، وسَجَعَ يسْجَعُ سَجَعًا وسَجَّعَ تسجيعًا : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وسُمي الكلام مسجوعاً، لتشابه أواخره وتناسب فواصله[١].

واصطلاحًا: "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[٢].

والسجع كما يراه المحدثون:" نمط تعبيريّ يعتمد على التوازي الصوتيّ الذي يتلائم غالبًا مع التوازن الدلاليّ، من حيث كان منوطًا بنهاية الفواصل التي تمثّل السكتة الدلاليّة الطبيعيّة في الأداء اللغويّ عمومًا"[٣].

فهو من الفنون البلاغية القائمة على الجانب الإيقاعيّ الصوتيّ الذي يثري النصّ، ويعزّز الدلالة التي يسعى إليها المنشيء.

والسجع عند أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) له معنى خاص وصيغة متميزة، حتى وصف بأنَّه " آيات تردّ النغم على النغم ردًا جميلاً وتذيب الوقع بالوقع على قرارات لا أوزن منها على السمع ولا أحبّ منها ترجيحًا"[٤]، وبالأخص ما سأقف عليه في هذه الدراسة، التي سأعمد فيها إلى تحليل السجع في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، وبهذا ستقتصر دراستي على السجع القصير الذي تكون فيه كل

---

١) ينظر: لسان العرب: مادة (سجع) .

٢) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزوينيّ(ت٧٣٩هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط٢، مؤسسة المختار . القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٣٣١ .

٣) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعيّ: محمد عبد المطلب، ط٢، دار المعارف . القاهرة، ١٩٩٥م: ٣٦٤ .

٤) روائع نهج البلاغة: جورج جرداق، ط٢، إيران، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٢٩ .

واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة، وكلما قلّت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع[١]، ويرى ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) بأنَّ هذا النوع من السجع هو" أوعر السجع مذهبًا، وأبعده متناولاً، ولا يكاد استعماله يجيء إلا نادرًا"[٢]، ويضيف الدكتور عبد الفتاح لاشين إلى هذا الوصف في القصير من السجع قائلاً: "والسجع القصير يدلّ على قوة المنشئ، وتمكنه في الصناعة، لصعوبة إدراكه، وعزة اتفاقه، ووعورة مذهبه، وبعد تناوله... ثم هو أجملُ صورةً، وأحلى موقعًا؛ لقرب توارد الفاصلتين على السمع، ولا خفاءَ في أن تواليها بسرعة في أزمنة متساوية، يشعر أننا بانسجام حاضر دائماً، فتظل الأذن مهدهدة دون أن يفاجئها أي شيء غير منتظر"[٣].

وللسجعة أقسام من حيث توافر الوزن وعدمه، ومن حيث اجتماع الوزن مع عنصر آخر، أو انفراده[٤]، ويتفق البلاغيون على ثلاثة أنواع للسجع هي "المطرف، والمتوازي، والمرصع"[٥]، ويأخذ السجع المطرّف حيزًا كبيرًا في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن واتفاقتا في الحرف الأخير.

---

١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد الحوفيّ، وبدوي طبانة، (د.ط)، دار النهضة ـ القاهرة، (د.ت): ٢٥٧/١ .

٢) المصدر نفسه: ٢٥٧/١ .

٣) البديع في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ط١، دار المعارف ـ مصر، ١٩٧٩م: ١٢٨.

٤) ينظر: الفاصلة في القرآن الكريم: محمد الحسناويّ، ط٢، دار عمار ـ عمّان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ١٧٣ .

٥) ينظر: الإيضاح: ٣٣١، والمطول: سعد الدين مسعود بن عمر التفتزانيّ(ت٧٩٢هـ)، تصحيح وتعليق: أحمد عزو، ط١، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٨٦، وفن البديع: عبد القادر حسين، ط١، دار الشروق ـ القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ١٢٧

يقول الإمام (عليه السلام) في أحدى حكمه القصيرة: "**الرِّفْقُ مِفْتَاحُ الصَّوَابِ، وَشِيمَةُ ذَوِي الأَلْبابِ**"[1].

يدور المعنى في هذه الحكمة حول الرفق وما له من فضلٍ، لأنّه يؤدي إلى الصائب من القول والفعل، وعلامة لأصحاب العقول الراجحة، وقد ورد السجع بين لفظتي (الصواب) و(الألباب) وقد اختلف اللفظان في الوزن ولكنهما اتفقا في الحرف الأخير وهو (الباء)، وهذا التنوع في الوزن أضفى تنوعًا في الإيقاع وكسر بذلك رتابة الوزن الصرفي الواحد؛ فكلمة (صواب) على وزن (فَعال)، أمّا (ألباب) فعلى وزن (أفعال)، فضلاً عن انّ صوت الباء الساكن قد سُبق بصوت الألف وهو حرف مد ساكن، مما خلق بطأً في الانتقال إلى صوت الباء مع مسافة صوتية شبه طويلة في الانتقال[2]، وهذا البطء يلائم الرفق كونه يحتاج إلى التأمل، والأناة لإصدار حكمٍ ما .

ويقول (عليه السلام) في حكمته القصيرة: "**إذا شِئْتَ أَنْ تُطَاع، فاسْأَلْ مَا يُسْتَطاع**"[3].

نلحظ أنَّ فقرتي الحكمة تنتهيان بلفظتين توافقتا في الروي، واختلفتا في الوزن هما (تُطاع) و(مُستطاع)، وقد زادت اللفظة الثانية على الأولى في عدد حروفها ولم تتماثل معها تماثلاً تامًا، وانتهت كل من اللفظتين بحرف (العين)، وهو من الأصوات الناصعة التي تعطي النصّ قوة وجمالاً [4]، وزادت قوة العين لأنّه جاء في نهاية الفواصل، مما خلق جوًا إيقاعيًا مدويًا جسّد قدرة الفرد في تحقيق ما يطلب منه، وحالة التمرد المصاحبة لتحميله أكثر من طاقته المحدودة وإمكاناته المتوافرة.

---

1) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٤.

2) ينظر: دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقيّ المعاصر: محسن أطيمش، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد، ١٩٨٦: ٣٠٧.

3) سجع الحمام في حكم الإمام: ٤٦ .

4) ينظر: المختصر في أصوات اللغة: محمد حسن جبل، ط١، مكتبة الآداب . القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٨٤ .

ونقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى إذ يقول: "**المَالُ يُفْسِدُ المَآلُ، وَيُوسِّعُ الآمَالُ**"[1] .

وقع السجع بين لفظتي(المآل) و(الآمال) وقد اتفقتا في الحرف الأخير واختلفتا في الوزن، فالأولى على وزن (فَعال)، والثانية على وزن(أفعال) وإذا أمعنا النظر في لفظة (المآل) وجدنا أنها نقصت أصواتها، ولم تتماثل مع الثانية تماثلاً تامًّا، فأدى ذلك إلى تغيير المعنى، وقد أضفى هذا الاختلاف في الوزن جمالاً موسيقيًّا كونه انتقل من معنًى أدته الصيغة الأولى، إلى معنى أدته الصيغة الثانية، مما جعل الأذن تتذوق ما تسمعه من الاختلاف في الصيغ، فضلاً عن توزّع صوت الألف في النصّ بصورة هندسية رائعة إذ ورد أول الحكمة ووسطها وآخرها، وهو من حروف المد التي" تكسب المقطع إذا شاعت شيوعاً واضحاً، نوعاً من البطء الموسيقي، أو ما يمكن أن يوصف بالتراخي، كما أن انعدامها، أو قلتها، يسهمُ في إضفاء نمط من الموسيقى الأقرب إلى السرعة"[2]. وشيوع حرف الألف، وما فيه من دلالة على البطء ناسب المعنى، كون المال يفسد الأول ويوسّع الثاني، فالمآل والآمال لا يكون أحدهما إلا بذهاب الآخر .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمته القصيرة: "**سُوْءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ، والإساءةُ إلى المُحْسِنِينَ لُؤْمٌ**"[3].

وقع السجع بين لفظتي (شؤم) و (لؤم) وهما لفظتان متفقتان في الوزن والروي، واتفق النقاد والبلاغيون على تسمية هذا النوع من السجع بـ(المتوازي)، وهو"أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي"[4]. وهو أشرف أنواع السجع وأعلاها؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾[5] .

---

1) غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٠.

2) دير الملاك: ٣٠٧ .

3) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٩.

4) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحمويّ، شرح: عصام شعيتو، ط١، دار ومكتبة الهلال . بيروت، ١٩٨٧م: ٤١١/٢، والطراز : ١٢/٢.

5) الغاشية: ١٤.١٣ .

حقّق السجع في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة تناغمًا إيقاعيًّا يثير السامع، لأنّه اتفق في كلا الوزنين مع حرف الروي، وعزّز هذا الإيقاع دلالة الحكمة ومقصديتها الساعية إلى بيان حقيقة الإساءة وسوء الخلق في ميزان التعامل الأخلاقيّ الصحيح، لأنّه وقع في وزن ثلاثي ساكن الوسط، وهذا السكون في الوسط عزّز دلالة التأمل كونه انقطاع النفس والتوقف عند المخرج من غير ذكر الصائت، ذلك أن الصوت عند علماء الصوت المحدثين يتكون من صامت وصائت، ومن ثم انتقل إلى مقطع مغلق آخر وهو الميم الساكنة، وإذا كتبنا اللفظة بالشكل الآتي: **شُؤْمْ** ، ـُـْـْ ،يتضح لنا بأنَّنا أمام حرفان ساكنان في لفظ ثلاثي، فضلاً عن ورود الميم كحرف روي وهو من الأصوات المائعة التي لا هي بالشديدة ولا الرخوة[1]، وهو "من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين"[2] وهذه الصفات جعلت السجع ملائمًا لجو الحكمة، وطابعها الاجتماعيّ، فالدعوة إلى مكارم الأخلاق جاء مناسبًا في ترديد حرفي (الهمزة والميم) في سجعتي الحكمة القصيرة .

ومن السجع المتوازي ورد قوله (عليه السلام) في حكمته القصيرة: "**الصَّلاةُ حِصْنُ الرَّحْمنِ، وَمِدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ**"[3].

ورد لفظ (الرحمن) متوافقًا في الوزن وحرف الروي مع لفظ (الشيطان)، وهذا التشابه في الفواصل أثمر عن وحدتين موسيقيتين تثير انتباه المتلقي، مع الالتفات إلى أن هاتين الفاصلتين وقعتا في تركيبين متشابهين، ولكنهما لم يأتيا على نسق واحد إذ نلاحظ أن الفقرتين قد شكلتا مقطعًا نغميًّا مختلفًا، فالفقرة الأولى أكثر حروفًا من الفقرة الثانية، فالأولى: كثرت حروفها هي تريح النفس وتجلب عليها الاطمئنان لوجود لفظ (الرحمن)، والفقرة الثانية: تربك الأعصاب، ولا ترتاح إليها الأنفس لوجود لفظ (الشيطان)، ولا يخفى ما للتضاد من إثارة تمسّ شعور السامع، لأنّ الصلاة ركنًا حصينًا يمثله الله عزّ وجلّ، ولأنّها أيضًا طاردة للشيطان الذي يمثّل جانب الشرّ،

---

١) ينظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، (د.ط)، مكتبة الأنجلو . القاهرة، ٢٠٠٧م: ٤٦.
٢) اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، (د.ط)، مكتبة الأنجلو . القاهرة، ٢٠٠٣م: ١٠٣ .
٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢.

وبهذا تكون الصلاة مرتكزًا في تنتظم الحياة، وهذا المخطط يوضح دور الصلاة في الجمع بين الثنائيات:

الخير ويمثله (الرحمن) à الصلاة ß الشر ويمثله (الشيطان)

(التحصين) (الطرد)

ويقول (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**الضَّمَائِرُ الصِّحَاحُ، أَصْدَقُ شَهَادَةً مِنَ الأَلْسُنِ الفِصَاحِ**"[١].

ورد السجع بين (الصِّحاح) و(الفِصَاح) وقد اتفق اللفظان وزنًا وقافية، وتماثلا في جميع الحروف إلا في حرف (الفاء)، ويعدّ صوت الفاء من الأصوات الأسنانيّة الشفويّة[٢]، فضلاً عن تضافر حروف الصفير داخل النصّ وهما حرفا (الصاد والسين) إذ تكرر صوت (الصاد) ثلاث مرات، و(السين) مرة واحدة مما عزّز صفة (الصدق) دلاليًا وصوتيًا، كون هذه الحروف تنشأ بقوة الاحتكاك، والسبب في قوة الاحتكاك هو أن الهواء يمرّ من خلال منفذ ضيق[٣]، وهذه القوة ناسبت الجهد الذي يحصل في محاربة النفس والسعي إلى الصدق .

ويأتي السجع (مرصعًا) في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة وهو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها وزنًا وتقفيةً[٤]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٥]، فكلّ ألفاظ الفقرتين متفقة في الوزن والتقفية.

يقول الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة: "**شَرُّ الإِخْوَانِ المُوَاصِلُ عِندَ الرَّخَاءِ، المُفَاصِلُ عندَ البَلاءِ**"[٦].

نلحظ أنَّ الحكمة قائمة على التوازن التام بين أكثر ألفاظ الفقرتين التي تتكون منها، وقبل الشروع في تحليل الحكمة لابدَّ أنَّ نشير إلى أنَّ الأصل في السجع إنَّما

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢ .

٢) ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، (د.ط)، دار غريب . القاهرة، ٢٠٠٠م: ١٨٣ .

٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٤ .

٤) ينظر: المطول: ٨٦ .

٥) الانفطار: ١٣.١٤ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٢.

هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع وترتاح إلى سماعه[1]، يقول ابن الأثير (ت٦٣٧هـ): "وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة، وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه لوضوحه"[2].

فلو رجعنا إلى حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة، لوجدنا بناءها الهندسيّ على هذا الشكل:

الجملة الأولى		الجملة الثانية
المواصل	ß	المفاصل
عند	ß	عند
الرخاء	ß	البلاء

ونجد أنَّ ألفاظ الفقرتين حقّقت انسجامًا تامًا في الأوزان والتقفية، مما خلق جوًا موسيقيًا مؤثرًا، يجذب الأسماع ويشدّها إليه .

ويستثمر الإمام (عليه السلام) القيمة الإيقاعية العالية للسجع المرصع القائمة على توازن ألفاظ الفقرات كلها أو بعضها وانسجامها في جذب المتلقي، وإثارة انتباهه في ترسيخ القيم الإنسانيّة النبيلة وجعلها جزءً لا يتجزأ من سلوكه وكيانه إذ يقول: "**شَرُّ النَّاسِ مَنْ لا يَعْتَقِدُ الأمَانَةَ ولا يَجْتَنِبُ الخِيَانَةَ**"[3].

يدور النصّ حول أهمية التزام الأمانة والمحافظة عليها في تصنيف الناس وتقيمهم، إذ يجعل (عليه السلام) منظار الأمانة وتجنب الخيانة، هو المنظار الفاعل في التعامل مع الناس والحكم عليهم، وهو بهذا يجعله أمرًا واجبًا في خروج الإنسان من دائرة الشرِّ التي تنافي قواعد الدين ومبادئه.

ونلحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) قدّم المعنى بصورة مشوقة قائمة على التوازن الإيقاعيّ بين فقرات الحكمة، وهذا ما يوضحه المخطط الآتي:

---

١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع): فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان . عمّان، ١٤٠٧هـ/٢٠٠٠م: ٣٠٦ .

٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢٩١/١.

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٤.

شَرّ النّاس من :

الجملة الأولى		الجملة الثانية
لا	ß	لا
يَعتقد	ß	يَجتنب
الأمانة	ß	الخيانة

إن التوازن التام بين طرفي الحكمة إيقاعًا وتقفية، وبالرغم من حالة الانكسار الصوتي الذي وقع بين مفردتي(يعتقد . يجتنب) قد عمل على إثراء الدلالة، وزيادة تأثيرها في النفوس، وترسيخها في ذهن المتلقي .

المبحث الثاني

التكرار :

التكرار لغةً: مصدر يدلّ على الإعادة والرجوع[1].

١) ينظر: لسان العرب : مادة (كرر) .

واصطلاحًا: هو الإلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الناظم أكثر من عنايته بسواها[1]، ولهذا الضرب أهمية خاصة تحدد موسيقى النصّ وجماليته من خلال " تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكّل نغماً موسيقيّاً يتقصّده الناظم في شعره أو نثره"[2]. فالتكرار يمثّل صورة من صور التناسق والانسجام، لأنّ تكرار الوحدات داخل بنية النصّ يحقق توازنًا موسيقيًا فضلاً عن أنَّه "يسلّط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسيّة قيمَّة تفيد الناقد الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه"[3].

فهو إذن من السمات الأسلوبية التي يستعين بها المنشيء في تحسين كلامه وتجميله، أما من الناحية الدلاليّة فلا يمكن النظر إلى التكرار على أنّه مجرد إعادة لفظ أو مجموعة ألفاظ في النصّ بهدف تحقيق التناغم الصوتي فحسب، بل غالبًا ما يكون اللفظ المكرر ذا صلة وثيقة بالمعنى[4].

وقد شاع التكرار في سياق الحكم القصيرة بأشكاله المتنوعة، وسأعمد إلى دراسته على النحو الآتي:

١- **تكرار الصوت** :

إن تكرار الأصوات في سياق الحكم القصيرة يؤدي إلى خلق إيقاع موسيقي يكسب السياق زيادة في النغم، فضلاً عن أنّ للأصوات أيضًا إذا تكررت دلالات مترسخة في ذهن المتلقي، فلكلّ صوت ميزاته وصفاته الخاصة التي ترفد النصّ بمفاهيم معينة، يقصدها المنشيء ويسعى إلى تجسيدها .

---

١) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، ط٤،دار العلم . بيروت، ٢٠٠٧م: ٢٧٦ .

٣) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب: ماهر مهدي هلال، دار الرشيد . بغداد، ١٩٨٠م: ٢٣٩ .

٣) قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٦

٤) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، ط٣، دار الآثار الإسلامية . الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م: ٢/١٤٧، وآيات المغازي في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة: أحمد صابر الكنانيّ، رسالة ماجستير، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ٢٠١١هـ/١٤٣٢م: ٣٦ .

ومن حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة التي ورد فيها هذا النوع من التكرار قوله: "**المُؤْمِنُ إذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ، وإِذَا تَكَلَّمَ ذَكَرَ، وإذَا سَكَتْ تَفَكَّرَ، وإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ**"(١).

نلحظ في حكمته (عليه السلام) تكرار ثلاثة أصوات هي: (صوت الراء، وصوت التاء، وصوت الكاف)، فقد تكرّر صوت (الراء) ست مرات، وتكرر صوت (التاء) خمس مرات، وتكرر صوت (الكاف) ست مرات، وهذا التكرار كأنما جاء موزعًا بصورة هندسيّة وذلك لما تمتلكه هذه الأصوات من قوة تعبيريّة تجعلها قادرة على تجسيد المعنى ومحاكاته .

فالراء من الأصوات المجهورة المتوسطة بين الشدة والرخاوة(٢)، وهو"صوتٌ مكرر؛ لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك الأعلى مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقًا لينًا يسيرًا مرتين أو ثلاثًا"(٣)، وهذه الصفة عندما تتكرر فأنها تُحدث إيقاعًا عاليًا في اللفظة، يقرع انتباه السامع ويثري القيمة الموسيقية داخل النصّ، كذلك فأنّ تكرار صوت (الراء) في آخر الألفاظ يضفي إيقاعًا منتظمًا ومتوازنًا لوقوعه في نهايات الفواصل النثريّة .

أما صوت (التاء) فهو من الأصوات المهموسة ينطلق الهواء عند النطق به من الرئتين حتى ينحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا فإذا انفصل انفصالاً مفاجئًا سمع ذلك الصوت الانفجاري(٤)،

ويدلّ صوت (التاء) على المعاني التي فيها شدة(٥)، وتكرار هذا الصوت في سياق الحكمة القصيرة أسهم في تصوير حال المؤمن الذي يمتحنه الله عزّ وجلّ،

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٦ .

٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٦.

٣) المصدر نفسه: ٦٦.

٤) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ط٢ ، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٤٦، والأصوات اللغوية: ٦١.

٥) ينظر: أسباب حدوث الحروف: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا(٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسّان الطيان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربي . دمشق، (د.ت):

فهو معتبر، ذاكر، متفكر، مبتلى، وكلّ هذه الصفات تحتاج إلى ورع لكي يتصف بها المؤمن، والورع يحتاج من المؤمن إلى قدر وافر من القوة والشدة، ومن اللافت للنظر مجيء صوت (التاء) موزعًا في وسط الألفاظ وفي آخرها، ممّا حقق تناسبًا بليغًا وإيقاعًا نغميًا يطرق آذان السامعين؛ ليلفتهم بهذا الصوت الانفجاريّ إلى الهيئة التي يجب أن يكون عليها المؤمن .

وأخيرًا صوت (الكاف) فأنّه صوت شديد مهموس، ينشأ باندفاع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، فإذا وصل الهواء إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس انحباسًا كاملاً؛ لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فإذا انفصل العضوان انبعث الهواء خارج الفم محدثًا صوتًا انفجاريًا[١]. وهذا يعني أن في صوت الكاف نغمة توقيعية ناتجة من مرحلتين في انحباس الهواء ومن ثمّ خروجه محدثًا انفجارًا، واحتكاكًا، مما أضفى على الألفاظ موسيقى عالية، فضلاً عن وروده في وسط الألفاظ التي جاء فيها، متخذًا شكلاً هندسيًّا ينم عن مقدرة عالية عند المتكلّم، ولا يمكن إغفال الترابط الدلاليّ بين الجمل داخل النصّ، لأنّه وقع في سياق الشرط بـ(إذا) التي تأتي في المعاني المتحققة الحصول[٢]، أي أن صاحبها . المؤمن الصادق . دائمًا ما يقوم بهذه الأعمال، وجاءت (إذا) متكررة بصورة متتالية، لحشد مجموعة من صفات المؤمن، فضلاً عن تجنب الرتابة التي كانت ستحدث لو جاء النصّ خاليًا منها .

وفي قوله (عليه السلام): "**مَنْ مَنَّ بإحْسَانِهِ فَكَأنَّهُ لَمْ يُحْسِنْ**"[٣].

تكرر صوت النون سبع مرات، بعد فكّ الإدغام في (منَّ) و(كأنَّ) . وما يميز (النون) اتصافه بـ (الغنة) والغنة هي الصوت الذي يخرج من الخيشوم[١]، وهي سمة

٧٩، والصوت اللغوي ودلالته في القران الكريم: محمد فريد عبد الله، ط١،دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٨م: ١٧.

١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨١.

٢) ينظر: معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك . القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: ٦١/٤ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٦٧.

جمالية للصوت تُحسّن النطق به[٢]، وقد أثبت الدرس الصوتي الحديث أن الغنة جريان النفس خلال تجويف الأنف من غير عائق، ولو أوقف الناطق ذبذبة الوترين الصوتيين في أثناء النطق بحرفيّ الغنة لبطلت أصواتها وصارت نفسًا، فليس لهذه الأصوات مقابل مهموس[٣]، فأحدث تكرار هذا الصوت في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة إيقاعًا مدويًا ناسب حال الذي يمنّ بإحسانه، لأنّ صوت النون "إذا تكرر فأنّ موسيقاه سترتفع وإيقاعه سيزداد"[٤]، ونلاحظ في مخرج النون المتكرر في هذه الحكمة تنفيرًا واضحًا، وإعراضًا، وكأن هنالك اشمئزازًا يحدث حين يسمعه المتلقّي من مسألة المنّ بالإحسان .

وأما حكمته (عليه السلام) القصيرة: "**انْتَقِمْ مِنْ حِرْصِكَ بالقُنُوعِ كَمَا تَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّكَ بِالقَصَاصِ**"[٥]، فقد قامت على تكرار صوت (القاف) أربع مرات، والقاف صوت شديد مجهور[٦]، وفرقه عن الكاف أنه أعمق قليلاً في المخرج[٧] ، ولعلّ هذه الصفة قد عمقت الدلالة التي قصدتها الحكمة من جهة، وأحدثت إيقاعًا قويًّا كان متلائمًا مع نسق الألفاظ التي وردت فيها من جهة أخرى، إذ إنّ الموقف يتطلب الجهر والشدة، فلا بدّ من صوت يخترق أسماع الجشعين وغير القانعين بما أعطاهم الله عزّ وجلّ، وحثّهم على القناعة بوصفها الوسيلة المُثلى التي تقلّل من الجشع وتردعه، لذا يشبهها (عليه السلام) بالقصاص الذي فيه حياة للناس .

---

١) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤ .

٢) ينظر: النون في العربية دراسة صوتيّة: مشتاق عباس معن عليّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/جامعة بغداد، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ٦٢ .

٣) ينظر: الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، ط٢، دار عمار- عمان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ٢٦٤، و آيات المغازي في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة: ٣٨.

٤) النون في العربية دراسة صوتية : ٢٥٢.

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٤ .

٦) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٢ .

٧) ينظر: المصدر نفسه: ٨٤ .

ونلاحظ أيضًا تكرار صوت (الميم) خمس مرات، وهذا الصوت من الأصوات المجهورة المائعة[1]، وبهذا خلق توقيعًا موسيقيًّا بين الأصوات من خلال الانتقال من الأصوات الشديدة إلى الأصوات المائعة، ومع ذلك فإن الأثر الإيقاعيّ لصوت القاف ظلّ مهيمناً على موسيقى النصّ، بسبب قوة هذا الصوت التي أغنت دلالة الحكمة ومقصديتها الهادفة إلى محاربة الشحّ والبخل والحرص، والحثّ على القناعة .

وعلى إيقاع تكرار صوت (العين) جاء قوله (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**العِلْمُ عِلْمانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، ولاَ يَنْفَعُ المَسْمُوع إذَا لَمْ يَكُن المَطْبُوع**"[2].

تكرر صوت (العين) سبع مرات، وهو صوت مجهور مخرجه وسط الحلق[3]، ينشأ عند اندفاع النفس من الرئة فيضيق الوتران فيحتكّ بهما في مروره ويصدر زمير الجهر، ثم يستمر الصوت، حتى يصادف الحاجز الرخو، فلا يقوى لرطوبته على منع الصوت، فينفذ الصوت من أثنائه[4]، وللعين وقع شديد وعمق صوتي، لأن صوت العين لا يدخل في بناء إلاّ حسّنه[5]، ونلاحظ النسق الهندسيّ الذي جاء فيه صوت العين، لأنّه ورد في الأغلب في نهاية الفاصلة ، ليقرع الأذهان بجرسه العميق، ويجعل المتلقي مصغيًا ومنتبهًا حتى ينتهي النصّ .

وإلى جانب (العين) ظهر تكرار صوت (الواو) في النصّ أيضًا، إذ تكرّر ست مرات وهو من الأصوات اللينة التي تتصف بسعة المخرج [6]، وهذه الصفة جعلته

---

1) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ: ٢٢٦.
2) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٢١٩/١٩ .
3) ينظر: علم الأصوات: ١٨٥ .
4) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية: ٨٤ .
5) ينظر: العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة. إيران، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م: ٦٤/١ .
6) ينظر: الكتاب: ٤٣٥/٤ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤١.

قادرًا على المشاركة في تصوير سعة العلم، وآفاقه المتنوعة التي يعجز أمامها الإنسان بقدراته المحدودة .

وقد أسهم اجتماع صوتيّ (العين والألف) في منح النصّ قوة توقيعيّة عالية، جاءت منسجمة مع دلالة الحكمة الساعية إلى توجيه البشر نحو السمو والرفعة .

ومن تكرار صوت (اللام) جاء قوله: "**لاَ تَأْلَفِ الْمَسْأَلَةَ، فَيَأْلَفْكَ المَنْعُ**"[1].

إذ تكرر صوت (اللام) ست مرات، ويسمى (اللام) بالصوت المنحرف[2]، فهو لا يخرج من الموضع الذي يلتقي فيه العضوان، بل يخرج من حافتي اللسان، أي جانبيه، وطرف اللسان[3]، وأسهم مجيء (اللام) محركاً بالفتح في جميع مواضعه في إعطاء الحكمة شحنة من الإيقاع الخفيف، ساعد نصّ الحكمة القصير على سرعة هذا الإيقاع وخفته، فالحكمة القصيرة متكونة من خمس كلمات، وتكرر (اللام) فيها جميعًا، مانحًا النصّ إيقاعًا رشيقًا أثرى دلالة الحكمة وغايتها الساعية إلى إرشاد المتلقي وحثّه على صيانة النفس عن مذلة السؤال والمنع.

٢- تكرار اللفظ :

ضرب من أضرب التكرار يلجأ فيه المبدع إلى إعادة الألفاظ لتؤدي دورًا دلالياً وإيقاعيًا يتلائم مع سياق النصّ وأغراضه المتنوعة، فالمتكلم يأتي بلفظ يعيده بعينه متفقًا كان في المعنى أم مختلفًا، فإن كان اللفظان متفقين في المبنى والمعنى، فالفائدة في التكرار تأكيد المعنى وتقريره في النفس، وان كان اللفظان متفقين بناءً والمعنى مختلفاً، فالفائدة من التكرار، الدلالة على المعنيين المختلفين[4].

فالتكرار الألفاظ فائدتين، إحداهما: "معنوية دلاليّة، فاللفظة المكررة تحمل معنى، والتكرار يؤثر في تعميق هذا المعنى وفي زيادة بيانه، والأخرى: صوتيّة أو

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٧٩ .

٢) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٥ .

٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٧٥

٤) ينظر: معجم النقد العربيّ القديم: أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد، ط١ ، ١٩٨٩م: ١/٣٧٠.

نغميّة، فاللفظة متكونة من مجموعة أصوات يكون في تكرارها ترديد للأصوات ذاتها، فيساعد ذلك على خلق جو نغميّ لا ينفصل عن المعنى"[1].

ومن تكرار الألفاظ في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) قوله: "**لاَ شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ عَقْلٍ مَعَ عِلْمٍ وَعِلْمٍ مَعَ حِلْمٍ وَحِلْمٍ مَعَ قُدْرَةٍ**"[2].

نلحظ جملة من الألفاظ المكررة في حكمة الإمام (عليه السلام) الموجزة، إذ كرّر (علم) مرتين، وكرّر (حلم) مرتين، وكرّر الظرف (مع) ثلاث مرات؛ ونلحظ أنّ هنالك تناسقًا حوى هذه الألفاظ المكررة، إذ نجد أنّ سجعة القرينة الأولى جاءت في أول القرينة التي تليها، وهو ما أُصطلح عليه بلاغيًا باسم (تشابه الأطراف)[3]، وهو يدلّ على قوة عارضة المنشيء وتصرفه في الكلام وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع والطبع[4]، وحقّق هذا التناسق بعدًا موسيقيّاً واضحًا، إذ وردت الألفاظ مرتبة ترتيبًا إيقاعيّاً عاليًا، لأنّ الألفاظ المكررة جميعها ثلاثية ساكنة الوسط، مما زاد من الثراء التنغيميّ، فضلاً عن التنوين في الألفاظ، الذي زاد من الجانب الإيقاعيّ، وقد رُتبت الألفاظ صوتيًّا ترتيبًا هندسيًّا في النصّ القصير، إذ ورد بعد التنوين ثلاثة متحركات فساكن، ومن ثمّ متحركين فساكن، وفي التنوين الآخر أيضًا ثلاثة متحركات فساكن، ومن ثم متحركين فساكن، وبعد التنوين الأخير ثلاثة متحركات فساكن، مما أضفى على النص جرسًا موسيقيًّا هائلاً كما نشاهد في المخطط الآتي:

(لٍ) . (مَعَ عِلْ) . (مٍ) . (وَعِلْ) . (مٍ) . (مَعَ حِلْ) . (مٍ) . (وَحِلْ) .
(مٍ) . (مَعَ قُدْ) . (رَةٍ)

---

١) ينظر: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، عهود عبد الواحد عبد الصاحب، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٤١٢هـ/١٩٩١م: ٢٠٥.

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢٩ .

٣) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدنيّ(ت١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان . النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م: ٤٥/٣ .

٤) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: ٥٠/٣ .

من خلال المخطط يتبين أن صوت الميم هو بؤرة النصّ في الانتقال بين الألفاظ، لأنّه صوتًا سلسًا في المخرج يعتمد على الشفة في نطقه، بأن تنطبق الشفتان انطباقًا تامًّا عند النطق به، ويتكون هذا الصوت بأن يمرّ الهواء بالحنجرة أولاً فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذ وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك فسدّ مجرى الفم فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفيّ[(١)]، فضلاً عن التنوين الذي اعترى صوت الميم الذي أعطى مبالغة في الغنة، مما أضفى موسيقى ضخمة في الألفاظ، ولا يمكن إغفال الأصوات الأخرى التي أسهمت في إثراء موسيقى النصّ؛ تمثّلت بتكرار صوتي (اللام والعين). إذ نجد لها حضورًا واضحًا في الحكمة القصيرة، فقد كرّر الإمام (عليه السلام) صوت اللام (ست مرات)، وكرّر صوت العين (ست مرات) أيضًا، وكرّر صوت النون (ثماني مرات) مع التنوين، فخلق بذلك حركة صوتيّة مثيرة أكسبت النصّ تدفقًا موسيقيًّا مؤثرًا، كما أن توزيعها في النصّ بالطريقة التي جاءت عليها ترك أثرًا واضحًا في تصعيد التوقيع إلى درجة تبلغ الإثارة، وخلق نسقًا نغميًا مترابطًا بواسطة الربط الحاصل بين الجمل عن طريق الظرف (مع) الذي يدل على الحضور[(٢)]، أي حضور هذه الأشياء مجتمعة في الإنسان المؤمن، وقد وقع الظرف في سياق (لا) النافية للجنس، إذ إنه (عليه السلام) نفى جنس الأشياء كلها واستثنى الجيد منها مستغرقًا في جنسها بواسطة (من) التي أفادت استغراق الجنس، وبعد ذلك ربط النصّ بعضه ببعض، فالعقل لا مزية له من دون العلم، والعلم لا مزية له من دون الحلم، والحلم لا مزية له بدون العفو عند المقدرة .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمته التي يقول فيها: "**خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ وَاسَاكَ بِخَيْرِهِ وَخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ أَغْنَاكَ عَنْ غَيْرِهِ**"[(٣)] .

---

١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦ .

٢) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطيّ(ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرّم، مؤسسة الرسالة . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٢٢٧/٣ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٦.

تكرر لفظ (خير) ثلاث مرات، فحكمة الإمام (عليه السلام) تتكون من جملتين، الجملة الثانية مرتبطة بالأولى بحرف العطف (الواو)، ففي الجملة الأولى ورد لفظ (الخير) مرتين، في أول النصّ وآخره، وفي الجملة الثانية ورد في أول النصّ، وهذا التأليف في مجيء الألفاظ عزّز الجانب التشكيليّ الإيقاعيّ، مما زاد في نغمته، فضلاً عن الجانب الدلاليّ الذي أفاده التكرار في تأكيد مصاحبة الأخيار الذين يواسون أخوانهم بخيرهم وفضلهم .

ومن أنواع هذا النمط من التكرار تكرار الأدوات، من ذلك تكراره (عليه السلام) لأداة الشرط (لَمْ) في قوله: "**اهْجُرِ اللَّهْوَ فإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَبَثًا فَتَلْهُو، ولَمْ تُتْرَكْ سُدًى فَتَلْغُو**"[1].

تكررت أداة النفي والجزم والقلب (لم) مرتين، وهذا الجزم أفاد النصّ دلاليًا، لأنّ الجزم انقطاع في النفس عند مخرج الميم، وفيها قصرٌ عند نطق اللام، مما يجعل صوت الميم مرتبطًا بالكلمة التي بعدها[2]، وهذا يعني المدة التي خُلقَ لها الإنسان مدة قصيرة جدًّا، فحريّ به الانشغال بالجد والعمل لا اللهو، وحياته قصيرة جدًّا فحريٌّ به عبادة الله، لا اللغو . فضلاً عن الجانب الإيقاعيّ في الجناس، الذي وقع في آخر العبارتين، بين كلمتي (تلهو) و(تلغو)، إذ كان له وقع موسيقيّ رائع، كونه ينتهي بحرف (الواو) وهو حرف مديد يخرج من غير عائق[3]، مما يزيد من جرس الألفاظ، ودلالتها، مثيرًا عند المتلقي التفكّر والتأمّل.

ومن تكرار الأدوات قوله (عليه السلام) أيضًا: "**مَنْ أُعْجِبَ بِرأْيِهِ ضلَّ، ومَنْ اسْتَغْنَى بِعِلْمِهِ زَلَّ، ومَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ**"[4].

---

١) المصدر نفسه :٨٥ .

٢) ينظر: نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ(ت٥٨١هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعليّ محمد عوض، دار الكتب العلمية .بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ١٠٩.

٣) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٥ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٣٠ .

تكررت الأداة (مَنْ) ثلاث مرات متخذة من أول العبارات محلاً لها، وقد شكّلت هندسة إيقاعية بسبب هذا التمركز المكانيّ لها من خلال تصدر اللفظة المكررة، وقد أضفت على النصّ نغمًا موسيقيًّا عاليًا، فضلاً عن الجانب الدلاليّ، الذي أحدثه التكرار في نصح المؤمن بالابتعاد عن الصفات التي تودي بصاحبها إلى المهالك .

٣- تكرار العبارة :

ثمة نوع آخر من التكرار استطعت ملاحظته في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) يمكن تسميته بـ(تكرار العبارة)، وتتجلّى فائدة هذا النوع من التكرار في تركيز الذهن على معنى معين يقصده المتكلم، فضلاً عن الجانب الإيقاعيّ الموسيقيّ الذي تسهم العبارة المكررة في إشاعته وتحقيقه. وقد ورد هذا النوع من التكرار بنسبة أقلّ من تكرار الألفاظ المفردة، لأنّ الحكمة القصيرة لا تحتمل تكرار العبارات لقيام بنيتها في الأصل على التقصير.

ومن تكرار العبارة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة قوله: "**إذا تَحَرَّكت صُورةُ الشّرِّ ولم تَظْهَر وَلَّدَت الفَزَع، فإذا ظَهَرَت وَلَّدَتْ الألم، وإذا تَحَرَّكَت صُورةُ الخَيْرِ وَلَمْ تَظْهَر وَلَدَّت الفَرَح فإذا ظَهَرَتْ ولّدَتْ اللّذّة**"[1].

يلاحظ في النصّ الذي يقف فيه الإمام (عليه السلام)على دقائق النفس الإنسانيّة تكرار التركيب (إذا تحرّكت) الذي تصدّر أول العبارة الأولى والثانية، مع اختلاف الفاعل في كلتا العبارتين، إذ كان في الأولى (صورةُ الشَّرّ)، وفي الثانية (صورةُ الخير)، ومن ثم يأتي بجواب الشرط في كلتا العبارتين بالفعل نفسه، وبعد ذلك يأتي بفاعل جواب الشرط مستترًا ومفعوله مصدرًا في كلتا العبارتين، مما أضفى نسقًا هندسيًا متوازنًا على العبارتين، متخذًا من التقابل أداة موصلة إلى تقوية المعنى، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي:

صورة الشرّ ß الفزع ß الألم × صورة الخير ß الفرح ß اللذة

وثمة تكرار آخر ورد في سياق الحكمة القصيرة أيضًا، إذ تكرر التركيبان (لم تظهر) و (أذا ظهرت) في نسق هندسيّ مرتب ومتوازن، مما أثرى إيقاع النصّ وتوقيعه

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٤٤ .

الموسيقيّ، أما من الجانب الصوتيّ، فنجد أن هنالك حضورًا بارزًا لصوت (الراء) إذ تكرر هذا الصوت (١٤) مرة بفكّ الإدغام في (تحرَّكت) و(الشَّرّ) وهو صوت مكرر يضرب اللسان معه في اللثة ضربات متتالية[١]، مما حقّق تناسقًا إيقاعيًا متوافقًا مع مقصدية الحكمة ودلالتها الحركية المتباينة بين صورة الخير وصورة الشر، فتكرار الراء أسهم في تصعيد التوقيع الموسيقيّ، الأمر الذي يجعل المتلقي يشعر بحالة الفزع والألم المرتبطين بالشَّرّ، وحالة الفرح واللّذة المرتبطين بالخير، ويتنبّه إليها .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة أخرى يقول فيها:

"**مَنْ أحَبَّ السَّلامَةَ فَلْيُؤْثِرِ الفَقْرَ، وَمَنْ أَحَبَّ الَّراحَةَ فَلْيُؤثِرِ الزُّهْدَ في الدُّنيا**"[٢].

تكررت عبارة (من أحب) مرتين، وتكرر جواب الشرط (فليؤثر) مرتين أيضًا، وورد التكرار بجملتين متشابهتين في التأليف، إذ تتألف الجملة الاولى من:

أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (أحب) + المفعول به + الفاء + جواب الشرط (فليؤثر) + المفعول به على وزن (فَعْل) .

أما الجملة الثانية فتتألف من:

أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (أحب) + المفعول به + الفاء + جواب الشرط (فليؤثر) + المفعول به على وزن (فُعْل) .

وهذا التأليف عزّز الجانب الموسيقي بجانب التكرار، إذ إنّه خلق إيقاعًا موسيقيًّا ثريًّا، وتزداد قوة الموسيقى في حضور صوت الألف في لفظتي(راحة) و(سلامة)، لأنّه من الأصوات التي تنطلق بمسافة أطول[٣]، مما أثرى دلالة الحكمة ومقصديتها الهادفة إلى تحقيق الطمأنينة والخلاص من آفات الدنيا والراحة منها .

---

١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، (د.ط)، عالم الكتب . القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ٣٤٠ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٢٤ .

٣) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير:عز الدين عليّ السيد، ط٢، عالم الكتب . بيروت، ١٩٨٦م: ٦٠.

المبحث الثالث

الجناس :

الجناس في اللغة: مصدر جانس الشيء بالشيء، أي شاكله، يقول صاحب لسان العرب: "الجنس: الضرب من كل شيء، والجنس أعمّ من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل"[١].

وفي الاصطلاح: هو تشابه اللفظتين مع اختلافهما في المعنى[٢].

وجمالية الجناس كما يراها عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ) في أنَّه: "يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنّه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها"[٣]. فضلاً عمّا نحسه في هذا الضرب من جمال لفظي تسكن إليه نفوسنا وتنفرج به صدورنا، منشؤه هذا التعاطف الموسيقي الذي أضفاه الجناس على حروف

---

١) لسان العرب: مادة (جنس) .

٢) ينظر: الطراز: ١٨٥/٢.

٣) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني . القاهرة، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م: ٨ .

الألفاظ المتجانسة كلها أو بعضها بطريقة من هذه الطرق التي تدخل في فنون المخاتلة والتخدير والاستدراج[١].

إن الجناس يعمل على مستويين: "المستوى السطحيّ الذي يتصل بحاستين: حاسة السمع، التي تستطيع تتبع إيقاع الأحرف عند تجاوزها لتكون كلمة أو بعض كلمة، وحاسة البصر، التي تستطيع تتبع رسم الحروف، وما بينهما من توافق أو تخالف، والآخر: المستوى العميق، وفيه يتم تدقيق النظر في حركة الذهن واختيارها لنقط ارتكاز تتشابه على مستوى الصياغة وتتغاير على مستوى الدلالة"[٢].

لذا فهو يخلّف لنا "جوين مترابطين على أساس التناسب حينًا والمخالفة أو التباين حينًا آخر"[٣]، وبهذا يمكننا القول بأنَّ فن الجناس ينفرد بكونه يجمع في صيغته الواحدة نواح عدة: "ناحية التماثل في الصورة، وناحية الجرس الموسيقيّ، وناحية التآلف والتخالف بين ركنيه لفظًا ومعنى، وناحية ما يحويه كل ركن من المعنى الأصيل"[٤].

وقد وقع الجناس في كثير من حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، فكان في غاية العذوبة، وقمة الفصاحة، وذروة البلاغة، فهو جناس حسن، غير متكلّف، قوامه الطبع وترك الخاطر، يقذف به من غير استكراه واجتلاب، فإن كانت هنالك صناعة فهي في مساندة الطبيعة على تحسين القالب، وتجميل الصورة، وصقل الهندام، دون أن يكون لها عمل أساس في الجوهر واللب[٥].

---

١) ينظر: فن الجناس، علي الجنديّ، (د.ط)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر- مصر، (د.ت): ٣١ .

٢) البلاغة العربية قراءة أخرى: محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان . القاهرة، ١٩٩٧م: ٣٧٢. ٣٧٣ .

٣) البديع بين الصنعة والخيال: عبد القادر الرباعيّ، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد٣، العدد٢، المطبعة الوطنية . الأردن، ١٤٠٦ه/١٩٨٥م: ٣٥ .

٤) فن الجناس: ٣٠ .

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤١ .

من خلال استقرائي لحكم الإمام عليّ (عليه السلام) وجدتُ أنّ الجناس الذي اصطلح عليه البلاغيون بـ(الجناس التام)[1] لم يرد في حكمه (عليه السلام) القصيرة .

أما الجناس الذي اصطلحت عليه البلاغة العربية بـ(الجناس الناقص)، وهو ما اختلف فيه ركناه في واحد، أو أكثر من الشروط التي يجب توافرها في الجناس التام وهي: نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، وذلك مع اختلافهما في المعنى[2]. فقد استثمرته حكم الإمام القصيرة استثمارًا واسعًا، فمن حكم الإمام عليّ (عليه السلام) تلك قوله: "**زَلَّةُ العَالِمِ تُفْسِدُ العَوَالِمَ**"[3].

نلاحظ أن الجناس وقع بين (العالم) و(العوالم)، إذ دلّت الأولى على الشخص المتعلّم، والثانية وردت جمعًا لـ(عالَم)، وهم الخلق[4]، وبهذا الجناس خلق الإمام عليّ (عليه السلام) عند المتلقي جوًّا من التأمّل، وذلك من خلال التنوع الدلاليّ داخل النصّ فضلاً عن الإثراء الموسيقيّ في الألفاظ المنتقاة لأنّه ينطلق من مخرج العين، وهو أنصع الحروف مخرجًا إلى الألف، وهو حرف مدّ أجوف يخرج سهلاً بدون عائق، ومن ثمّ إلى اللام من وسط الحلق إلى الميم وهو حرف شفويّ، وبهذا الانتقال يملئ المتلقي فمه داخل المخارج، مما يؤدي إلى تفخيم الموقف الذي لابدّ للعالِم من تجنّبه؛ لأنه يؤدي إلى فساد المجتمع، وبهذا حقّق الجناس تناغمًا موسيقيًّا قائمًا على التماثل الصوتيّ غير التام بين لفظتي (عالم) و(عوالم) مع أداء متفق في إنجاز مقصدية الحكمة وهدفها الفكريّ .

ويقول (عليه السلام) أيضًا: "**المَنِيَّةُ ولا الدَنِّيِةُ**"[5].

---

١) وهو ما اتفقت فيه اللفظتان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها وترتيبها، ينظر: الإيضاح: ٣٢٣ .

٢) ينظر: الطراز: ١٨٧/٢، والبلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع): ٢٧٩ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٢.

٤) ينظر: مختار الصحاح: مادة (علم) .

٥) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٢٥٠/١٠ .

إن المعنى الذي يحمله هذا النصّ ذو قيمة عالية، لأنّ الموت أفضل من إتيان الرذائل، وقد أضفى الجناس موسيقى عارمة، إذ وقع بين (المنية) و(الدنية)، وهما لفظان متفقان في الوزن وفي أكثر الحروف ما عدا حرف واحد هو (الميم) و(الدال)، وهذا النوع من الجناس يسمى (جناس التصريف) وهو "أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف"[1]، وقد شكل هذا الجناس محورًا إيقاعيًّا في النصّ النثريّ، فضلاً عن قيمته الدلالية، فالإمام (عليه السلام) بهذه الحكمة الموجزة بيّن النهي عن ارتكاب المحارم بلفظة المنيّة، وهي أشد على الإنسان من أي شيء آخر يخشاه، وفضلها على ارتكاب المنكرات التي تقلّل قيمته أمام الناس.

وفي موقف آخر نستمع إليه (عليه السلام) يقول: "**أَحْسَنُ العِلْم مَا كَانَ مَعَ العَمَل**"[2].

وقع الجناس بين لفظتي (العِلْم) و(العمل) لطرق انتباه السامع؛ وهذا الجناس يسميه البلاغيون (جناس القلب)، إذ إن الاختلاف وقع في ترتيب الحروف[3]، ولم يقتصر الأمر هنا على الجناس فحسب، وإنّما نجده (عليه السلام) يكرّر بعض الأصوات التي تضافرت مع الجناس في تصعيد الدفق الإيقاعيّ، فهو يكرّر صوت (العين) و(الميم) وهما من الأصوات المجهورة المتوسطة بين الشدة والرخاوة[4]، إذ إنَّ اجتماع هذه الأصوات في هذا السياق يعطي النصّ قوة توحي بأهمية العلم الممزوج بالعمل الصالح المفيد، ولا يخفى ما في النصّ من سهولة في النطق نتيجة لتلاؤم ألفاظه وانسجامها، فضلاً عن أن الجناس هنا جاء ذا إيحاءات دلاليّة مستمدة من الربط بين اللفظتين المتجانستين .

---

١) البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ. القاهرة، ١٩٦٠م: ٢٢ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٥ .

٣) ينظر: الإيضاح: ٣٢٧ .

٤) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦، ٨٥ .

ومن أمثلة الجناس(غير التام) في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة قوله: "**اسْتَجِيرُوا باللهِ واسْتَخِيرُوه في أُمُورِكم، فَإِنَّه لا يُسْلِمُ مُسْتَجِيرًا، ولا يَحْرِمُ مُسْتَخِيرًا**"[1].

نلحظ أن الجناس وقع في قوله (عليه السلام): (استجيروا، استخيروا)، و (مستجيرًا، مستخيرًا)، وليس هنالك فارق بين الألفاظ المتجانسة سوى النقطة، ويسمى هذا النوع من الجناس بـ(الجناس المصحّف) ومنهم من يسميه جناس الخط، وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا في النطق، أو بعبارة أخرى "هو أن تكون النقط فرقًا بين الكلمتين"[2].

وهو جناس بعيد كل البعد عن التكلّف ويعكس صدق مشاعره (عليه السلام) تجاه الناس وحرصه عليهم، فحقّق بذلك قدرًا من الوجد الموسيقيّ، وقد وقع هذان الجناسان داخل نصّ عالٍ في موسيقاه الداخلية، وهذا ما نلاحظه في تكرار صوتيّ (الراء) و(السين) الموجودين داخل بنية الكلمات المتجانسة في سياق الحكمة القصيرة، وبالرغم من تكرار صوت الراء (٦ مرات) إلا إنَّنا نلحظ قوة السين وهو من الأصوات المهموسة، يندفع الهواء عند النطق به مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ثمَّ يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السُفلى أو العُليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيّق جدًا يندفع خلاله الهواء فيحدث صفيرا قويًا[3]، فجاء الصوت مهيمنًا، راسما جواً إيقاعيًا خاصا يعكس أهمية المعنى ودلالته الهادفة إلى الحثِّ على الالتجاء إلى الله سبحانه والتوكّل عليه توكلا تامًا .

و في قوله (عليه السلام): "**الحَسَدُ يُذِيْبُ الجَسَد**"[4].

وقع الجناس بين كلمتي (الحسد) و(الجسد)، إذ جاء التصحيف بين حرفي (الحاء) و(الجيم)، ونلاحظ أن الكلمتين المتجانستين وقعت أحداهما (مبتدأ) وهي

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٥٣.

٢) البديع في نقد الشعر: ١٧ .

٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٤ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٨.

(الحسد)، والرفع فيه قوة صوتيّة، لأنّ الضم أقوى من الفتح، ووقعت (الجسد) منصوبة، لأنّ الفتح أخف الحركات، وخلق هذا الاختلاف المكانيّ ثراء موسيقيًّا، إذ إنّ في الحسد انبعاث قوة شهوية تؤدي إلى تمني زوال النعمة عن الآخرين، وهذه القوة ناسبت الضم، بينما الجسد الكائن الضعيف الذي يتأثر بأتفه الأسباب، ولذلك ناسب الفتح.

وقد يختلف المتجانسان بحرف أو حرفين مع التقارب في المخرج وهذا الضرب من الجناس هو(الجناس المضارع)[1]، ومما ورد في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) قوله:

"**تَأَدَّمْ بِالجُوعِ، وتَأَدَّبْ بِالقُنُوعِ**"[2].

وقع الجناس بين كلمتي (تأدّم) و(تأدّب)، وهما لفظتان متفقتان في الوزن في أكثر الحروف ما عدا الحرف الأخير، فقد جاءت لفظة (تأدّم) بالميم، ولفظة (تأدّب) بالباء، ولا يخفى ما بين صوتي (الميم) و(الباء) من تقارب في المخرج، والذي لا شكَّ فيه من أن هذا القرب بين مخارج الحرفين في الكلمتين المتجانستين قد أعطى الكلام وقعًا خاصًّا، مما زاد من ثراء الموسيقى النثريّة التي بدورها تساعد على إبراز ما للنصّ من دلالات إيحائية قائمة على الإرشاد والتوجيه .

وفي قوله (عليه السلام): "**الحِلْمُ ثمرةُ العِلْمِ**"[3].

نلاحظ أنّ الجناس وقع بين كلمتي (الحلم) و(العلم)، والكلمتان متشابهتان إلاّ في الحرف الأول، ونلحظ أنّ الحرفان المختلفان (الحاء والعين) جاءا متقاربين في المخرج، مما أعطى دلالة قوية في التعبير، لأنّ صوتي الحاء والعين يخرجان من أقصى الحلق، ولهذا أضفى الجناس في لفظي (الحلم والعلم)، على موسيقى النصّ عمقًا صوتيًّا نستشعره من التقارب الحاصل بين اللفظتين المتجانستين، أما على صعيد الدلالة فقد عمل الجناس على تعزيز دلالة النصّ في الدعوة إلى الثمرة

---

١) ينظر: مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكيّ(ت٦٢٦هـ)، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٤٢٩.

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧٣.

٣) المصدر نفسه: ١٣٢ .

الأساس التي ينبغي على العالم التحلّي بها وألاّ ينفكّ عنها وهي (الحلم)، لأنّه يحمل معانيّ إنسانيّة كثيرة، منها الصفح والإيثار، ورد المعروف... وهي معانٍ يحبها الإسلام ويسعى إلى غرسها في روح المسلم وكيانه، وهذا ما سعى إليه الإمام (عليه السلام) في حكمته القصيرة .

إنّ الجناس غير التام كان له حضور متميز في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة لما يحمله من قيمة إيقاعية غنيّة ومتنوعة، أسهمت في أثراء أجواء الحكمة وأهدافها الإصلاحية المتنوعة في بناء الإنسان القويم، والمجتمع الإنسانيّ الصالح .

المبحث الرابع

ردّ الأعجاز على الصدور :

وهو أن يكون "أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة، والآخر في آخرها" [1]، ومنه قوله تعالى: "وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ"[2]، ويسمى هذا اللون من ألوان البديع بـ(التصدير)[3].

وفنية هذا الأسلوب وقيمته الدلاليّة تكمن في قدرته على ترسيخ المعنى عن طريق التردّد المتمثّل في اللفظتين المكررتين، مما يعطي لونًا من الإيقاع الموسيقيّ يتقارب مع الغناء الذي يُطلب به ترديد بعض ألفاظ بعينها، يدركها السامعون على البديهية بمجرد الإنشاد[4]، فضلاً عمّا يحققه التوزيع بين اللفظتين المكررتين من

١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيديّ، (د.ط)، مكتبة الآداب . القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م: ٤/٧٧ .

٢) الأحزاب: ٣٧ .

٣) ينظر: البديع: ابن المعتز، عُني بنشره: اغناطيوس كراتشوفسكي، (د.ط)، مكتبة المثنى . بغداد، (د.ت): ٧٤ .

٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ط٣، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان . القاهرة، ٢٠٠٩م: ٢٩٩ .

اشتغال البنية الوظيفية على المستويين السطحيّ والعميق، فعلى مستوى السطح يؤدي مهمة صوتيّة نتيجة لتردّد الدال بعينه وعلى مستوى العمق تتلاحم الدلالة ويتجه المعنى في ديباجة جديدة[١].

فهو يجمع بين الجانب الصوتيّ الإيقاعيّ، والمعنويّ الإيحائيّ في علاقة مترابطة، ترفد بنية النصّ وتعزّز قيمته التعبيريّة والجماليّة .

وقد قسّم البلاغيون هذا النوع من البديع في النثر على أنواع، فهو في النثر "أن يجعل أحد اللفظين (المكررين)، أي المتفقين في اللفظ والمعنى أو المتجانسين، وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى، أو الملحقين بالمتجانسين، وهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبهه في أول الفقرة، واللفظ الآخر في آخرها فيكون أربعة أقسام"[٢]، ومما ورد منها في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة قوله: "**جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ جِهَادٍ**"[٣].

وقع ردّ العجز على الصدر في لفظتي (جهاد) وجاءت هذه اللفظة مكررة، إذ وقعت الأولى في أول النصّ والثانية في آخره، وهي في سياق التفضيل .

وقد أفاد تكرار اللفظة تعزيز دلالة النصّ وإثراء الجانب الصوتيّ الموسيقيّ الذي هيمن على حروف النصّ، إذ إننا نلاحظ في أصوات لفظ (جهاد) انتقالاً من صوت الهاء العميق إلى صوت الألف المديد، مما أضفى على النصّ جوًّا تفاعليًّا قائمًا على شدِّ السامع من خلال التلاحم الصوتيّ لهاتين الكلمتين المكررتين، أما الجانب الدلاليّ فقد أسهم التكرار في تعزيز فضل جهاد النفس على جهاد العدو، وهنا تكمن قيمة التكرار المتمثّل بـ(ردّ الإعجاز على الصدور) في أنّه "لابدّ من أن يتوافر فيه ذهنيًّا مسافة في الدلالة تسمح للفظة التالية أن تستقر بعدها محققة نوعاً من اكتمال المعنى أو بيانه أو تحقيقه"[٤].

---

١) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: ٣٦٨. ٣٦٩ .

٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/٩٤، وينظر: مختصر المعاني: ٢٩١-٢٩٢ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٨٨.

٤) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي: ١١٣ .

وعند النظر إلى قوله (عليه السلام): "**العَطِيَّةُ بَعدَ المَنعِ أَجْمَلُ مِن المَنعِ بَعدَ العَطِيَّةِ**"[1].

في الحكمة الموجزة نرى بعدًا إيقاعيًا واضحًا تمخّض عنه التضاد الحاصل بين الألفاظ بطريقة عكسية خلقت جوًا موسيقيًا يطرق آذان السامع ويشدّه إليها، ونلاحظ أنّ عجز النصّ وصدره أسهم في تعميق هذا الجو، فضلاً عن القيمة الدلاليّة المتولدة من تكرار كلمة (العطية) في بداية الحكمة ونهايتها، إذ عمل هذا التكرار على تقوية دلالة النصّ ومقصديته الهادفة إلى توكيد أهمية العطية بوصفها أفضل ما أوصى به الأكرمون، ولهذا قُدمت وأُخرت لتثير لدى المتلقي الإحساس بطرق الإنفاق وبذل الأعطيات، والمخطط الآتي يبيّن لنا مركزية ردّ العجز على الصدر في تحقيق دلالة الحكمة القصيرة:

العطية × المنع ß (أجمل) ß المنع × العطية

وأما قوله (عليه السلام) في حكمته القصيرة: "**العَالِمُ يَعْرِفُ الجَاهِلُ، لأَنَّهُ كَانَ جَاهِلاً، وَالجَاهِلُ لاَ يَعْرِفُ العَالِمُ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا**"[2].

فنلحظ فيها أن ردّ العجز على الصدر وقع في لفظ (عالم)، إذ وقعت لفظة (عالم) مكررة في أول الحكمة وأخرها، وقد اختلفت دلالة التركيبين في النصّ القصير، إذ وقعت لفظة (العالم) في التركيب الأول مبتدأ دلالة على اختصاصه في تحصيل العلم، ووقع الخبر فعلاً مضارعًا دلالة على الاستمرار والتجدد[3]، لأنّ هذا الأمر في المعرفة متجدد على مرّ الدهور والأزمان، والتركيب الثاني وقع فيه (الجاهل) مبتدأ، دلالة على العناية والاهتمام لأنّه المقصود بالدلالة، وهنا يخلق الإمام عليّ (عليه السلام) علاقة عكسية بين العالم والجاهل، فضلاً عن التناسق الصوتي الذي أضفى على النصّ نغمًا وإيقاعًا عاليين، وهذا ما نلاحظه في صوت الألف الذي تكرر (عشر مرات) وهو صوت يخرج مديداً من غير عائق[4]، مما

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٧.

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٤٩ .

٣) ينظر: الإيضاح: ١٠٤ .

٤) ينظر: دير الملاك. دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقيّ المعاصر: ٣٠٧ .

أضفى على النصّ جوّاً من التأمل في مقصدية الحكمة وأهدافها في بيان أهمية العلم والعلماء ومكانتهم الجليلة.

والمخطط الآتي يوضح العلاقة العكسية بين العالم والجاهل في هذه الحكمة الموجزة:

العالم ß يعــــرف ß الجاهل

الجاهل ß لا يعـرف ß العالـم

وفي حكمة أخرى من حكمه القصيرة يقول (عليه السلام): "**ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمْ**"[1].

وقع ردّ العجز على الصدر في لفظة (ظلم)، وتكررت هذه اللفظة مرتين في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة، وقعت الأولى في أول الحكمة والثانية في آخرها، وجاءت لفظة (الظلم) مكررة للإشارة إلى استكراه الظلم إذ إنّ "اللفظ عندما يكرر أو يذكر مجانسًا للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع"[2]، ويخصّ (عليه السلام) ظلم الضعيف بذلك، لأنّه لا يملك القدرة على الانتصاف لنفسه، وقد أضفى صوت (الظاء) الذي تكرر في أول الحكمة وآخرها وقعًا إيحائيًا مؤثرًا، وهو صوت يتكون بأن يندفع معه الهواء مارًا بالحنجرة فيحرّك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ الهواء مجراه في الفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، فيصدر صوت (الظاء) المجهور[3] الذي عزّز مقصدية الحكمة ودلالتها الإصلاحية.

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٤٧ .

٢) علم البديع: بسيوني عبد الفتاح، ط٣، مؤسسة المختار. القاهرة، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م: ٣٠٥ .

٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٨ .

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة جديدة أخرى: "**الحَلِيْمُ الَّذِي لاَ يَشُقُّ عَليهِ مَؤُوْنَةُ الحِلْمِ**"[١].

ورد ردّ العجز على الصدر بين لفظي (الحِلْم) و(الحليم) وقد جمع بين اللفظين الاشتقاق، وهذا الاشتقاق أضفى بعداً موسيقيًا ونغمًا إيقاعيًا واضحًا، فضلاً عن القيمة الدلالية المتولّدة عن التكرار الحاصل بين اللفظتين، فلفظ الحليم: مشتق من مصدر الحلم: ودلالته: الاتصاف بالحلم على وجه الاستمرار والثبوت[٢]، فهو لا ينفك عن ملازمة الحلم في كيانه، وسمّي حليمًا؛ لأنه متأنٍّ تاركٌ العجلة[٣]؛ ولذلك عبّر عنه الإمام (عليه السلام) بأنّه (لا يشق عليه مؤونة الحلم).

ومن ردّ العجز على الصدر الاشتقاقي قوله (عليه السلام): "**مَنْ غَالَبَ الحَقَّ غُلِبَ**"[٤] .

قد أضفى ردّ العجز على الصدر إيقاعًا نغميًا يستشعره السامع عن طريق الترجيع الصوتي الناتج عن طريق الاشتقاق بين (غالَبَ) و(غُلِبَ)، وهذا الترجيع هو "أوضح مظهرًا وابلغ خطورة ذلك أنه يتصل باللفظ أي الإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية"[٥]، فضلاً عن الدلالة المتولدة عن اللفظتين المكررتين، فـ(غالَب) على صيغة (فاعَل) وهذه الصيغة تدل على معنى المغالبة، أي غلبة إحداهما[٦]، و(غُلِب) صيغة تدل على المبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الاسم الموصول (من) وقد أفاد العموم، لأنّ هذه الغلبة للحق لا غير .

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٠ .

٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ط١ ، دار عمار. عمّان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ٨٤ .

٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (حلم) .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٥٤.

٥) خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمد الهادي الطرابلسيّ، (د.ط)، تونس، ١٩٨١: ٧٣.

٦) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاويّ، تقديم: محمد عبد المعطي، تخريج: أحمد بن سالم المصري، (د.ط)، دار الكيان . الرياض، (د.ت): ٧٩ .

ومما ورد من رد العجز على الصدر الاشتقاقي قوله (عليه السلام): "**التَّزَهُّدُ يُؤَدِّي إلى الزُّهْدِ**"[١].

استعمل الإمام (عليه السلام) في حكمته القصيرة هذا الأسلوب لكي يطرق آذان المستمع، لأن (التزّهد) عبادة بورع[٢]، وهو يؤدي إلى الزهد الذي هو "ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة"[٣]، والذي جمع بين اللفظين الجذر، وإن كان في التزهّد دلالة الإظهار في الزهد، لأنّ صيغة (تفعّل) من معانيها الإظهار "لأن صاحبه يتكلف أصل ذلك الفعل، ويريد حصوله فيه حقيقة"[٤]، وهذا الفعل الذي يظهره يؤدي بصورة حتمية إلى ترك الدنيا والإعراض عنها .

أما الجانب الصوتيّ الذي حمله النصّ فقد كان في التشديد في لفظة (التزهّد) لما في التشديد من قوة صوتيّة تطرق الأذن، فضلاً عن الإيقاع النغميّ الرائع في الحكمة إذ إنها تشبه في صورتها البحر المتدارك لو أننا توقفنا عند الدال في لفظتي (التزهد والزهد)، ذلك أن كلا اللفظتين مسجوعتين و"أن فواصل الأسجاعِ موضوعةٌ على أن تكون ساكنةَ الأعجاز موقوفاً عليها؛ ..."[٥] .

نلحظ الآتي:

اَتْتَزَهْ	هُدْ يُؤَدْ	دِي إِلْ	زُهْدْ
فاعلن	فاعلن	فاعلن	فَعْلْ

وفي قوله (عليه السلام): "**التَّوَاضُعُ يَرْفَعُ الوَضِيعَ**"[٦].

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٧ .

٢) ينظر: مختار الصحاح: مادة (زهد) .

٣) التعريفات: ١١٨ .

٤) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، دار الكتب العلمية .بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ١/١٠٢.١٠٣ .

٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٣٣ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣ .

وقع ردّ العجز على الصدر بين لفظتي (التواضع) و(الوضيع) وكلاهما مشتق من الوضع، ولكن باختلاف في المعنى، فالأولى تدلّ على الأخلاق العالية في الأفعال والأقوال، والثانية تدلّ على "الدنيء من الناس"[1]. وهنا يقصد الإمام عليّ (عليه السلام) أنّ قليل الشأن في الناس حين تسمو أخلاقه تكون النتيجة أنّ قدره يعلو بينهم .

إذا تأملنا الحكمة وجدنا أن الألفاظ الثلاثة الواردة (التواضع) (يرفع) (الوضيع) قد انتهت جميعها بحرف (العين) وهذا ما عزّز الدفق الإيقاعيّ والموسيقيّ في النصّ، لأنّ صوت العين، صوتًا ناصعًا، يجلب الاهتمام عند سماعه في أواخر الكلم .

نلحظ من كل ما سبق أنَّ الجانب الصوتي يعدّ من العناصر الفاعلة في تجسيد دلالة الحكمة القصيرة، وأغراضها، بالشكل الذي يثير المتلقي ويترك وقعًا ملموسًا في شعوره ووجدانه، فالإمام عليّ (عليه السلام) كان حريصًا على تجويّد البنية الصوتية لحكمه القصيرة، رغبة منه في التأثير الأقوى والأسرع في ذات متلقيه سواء أكان حاضرًا أو غائبًا، إلى جانب قدرة هذه الحكم على البقاء مختزلة في ذاكرة الحافظة الإنسانية، لأبعد مدة من الزمان وعبر الأجيال المتلاحقة .

---

١) مختار الصحاح: مادة (وضع) .

توطئة

تتألف الجملة في العربية من مفردات مترابطة فيما بينها على وفق نسق معين يسمى التركيب، إذ لا يمكن للألفاظ المفردة أن تقوم بوظيفتها الدلاليّة الإفهاميّة إلاّ من خلال تآلفها في سياق لغويّ معين، وهذا ما أوضحه عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) الذي عني بنظم الكلم عناية بالغة؛ كونه الفيصل في الوصول إلى المعاني المفيدة والدلالات البليغة إذ يقول: "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًّا من التأليف، ويُعمد بها إلى وجهٍ دون وجه من التركيب والترتيب"[١]، وهذا يعني "أنّ الألفاظ لا تترتب إلاّ في تراكيب بينها علاقات نحوية لتدلّ على معنى يقصده المتكلم ويفهمه المتلقي"[٢]، وعلى هذه الشاكلة جاء تعريف النحويين للكلام على أنه "اللفظ المركّب وجودًا أو تقديرًا المفيد بالوضع"[٣].

وانطلاقًا من هذا التوجه الفكريّ في النظر إلى النصّ بوصفه بنية تركيبيّة ذات دلالة، ظهرت في البحث البلاغيّ العربيّ المقولة المشهورة (لكل كلمة مع صاحبتها مقام) أو (لكل مقال مقام)، فالبلاغة لا تقع "وصفًا للكلمة المفردة إلاّ إذا أريد بالكلمة الكلام المركب، فتوصف بالبلاغة على هذا الاعتبار، ويقال كلمة بليغة؛ لأن المراد بالكلمة عندئذٍ الكلام المركب كالخطبة أو القصيدة أو الجملة أو الجمل"[٤]، فالتركيب إذن هو "ذوق اللغة الخاص النابع من المعنى المعجمي

---

١) أسرار البلاغة: ٤ .

٢) البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية: مهدي حمد مصطفى، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ١٤١ .

٣) المقرّب: علي بن مؤمن المعروف بـ(ابن عصفور) (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري،وعبد الله الجبوري، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م: ١/ ٤٥ .

٤) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: بسيوني عبد الفتاح بسيوني، (د.ط)، مكتبة وهيبة . القاهرة، (د.ت): ١/ ٣٢-٣٣ .

والصيغي ومعنى السياق الخاص والعام"[١]؛ لأنّه النسيج الذي تتآلف فيه الكلمات في قوالب لغوية لتفصح عن مكنونات المبدع وأفكاره، وتجسّد قدرته، ومزايا نصه الأدبيّ الجمالية والبلاغية .

ولما كان "أساس الخطاب في فعالية عليّ بن أبي طالب . من الناحية اللغوية . هو أساس نحويّ، ذلك لأن عليًّا بن أبي طالب هو واضع النحو العربيّ في منطلقه الأول"[٢]، سوف أقف في هذا الفصل على المستوى التركيبيّ في حكمه (عليه السلام) القصيرة، متناولة أهم وأبرز أشكال الجمل التي تبلورت فيها الصياغة اللغويّة المعبرة عن كنوز المعاني وبدائع الأفكار، "فالنصّ هو الفكرة والأداة معًا، هو المضمون والشكل، وفي اتحادهما المتبادل الإغناء في إعطاء دلالات مؤكدة، كان الإمام عليّ يظهر نفسه فيها من جانب، ويحمّلها الطاقة التوصيلية (للوصول إلى الآخرين) من جانب آخر"[٣]، وسأحاول عرض هذه البنى التركيبيّة على وفق (المعيار الكميّ) الذي سبق لي اعتماده في المستوى الصوتيّ.

---

١) في بناء الجملة العربية: محمد حماسة عبد اللطيف، ط١ ، دار القلم . الكويت،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ١٢ .

٢) علي سلطة الحق: ٥٤٤ .

٣) المصدر نفسه: ٤٣٦ .

المبحث الأول

التركيب الخبريّ :

الخبر لغة: خبُرتُ بالأمر أي: علمتُهُ، وخبُرتُ الأمرَ أخبُرُهُ إذا عرفتُهُ على حقيقته، والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، فالخبر النبأ، وهو العلم بالشيء(1).

الخبر اصطلاحًا: هو كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته(2)، بصرف النظر عن منشئه وقائله، ويخرج عن هذا التعريف الأخبار التي وردت في القرآن الكريم، وأحاديث النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والبديهيات لأنّها لا تحتمل إلا الصدق(3).

وسوف أنظر في هذا المبحث إلى البُنى التركيبيّة الأساسية للتركيب الخبريّ؛ وأعني به (الجملة الاسمية) و(الجملة الفعلية) فأخصّهما بالتحليل والدرس والمتابعة.

١- الجملة الخبريّة الاسميّة :

وهي الجملة التي تتكون من المبتدأ وخبره، والمبتدأ هو الاسم الذي يتصدّر الكلام(4)، والخبر "هو كل ما أسندته إلى المبتدأ وحدّثتَ به عنه"(5)، فهي قائمة على ركنين أساسين يرتبط أحدهما بالآخر أطلق عليهما سيبويه المسند والمسند إليه، وخصهما بأنّهما "ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدًّا"(6).

وتتماز الجملة الاسمية بأنّها غير مرتبطة بزمن بعينه، فهي ذات دلالة ثابتة ومستقرة إذ "إن موضوع الاسم على يثبّتْ به المعنى للشيء من غير أن يقتضي

---

١) ينظر: لسان العرب: مادة (خبر) .

٢) ينظر: الإيضاح: ٢٤، والتعريفات: ١٠١ .

٣) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٥ .

٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاريّ(ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١ ، مؤسسة الصادق . إيران، ٣٨/٢ .

٥) اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان ابن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: سميح أبو مغلي، (د.ط)، دار مجدلاوي . عمان، ١٩٨٨م: ٢٩ .

٦) الكتاب: ٢٣/١ ، وينظر: في بناء الجملة العربية: ٤٣ .

تجدده شيئًا بعد شيء، أما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء"[1]، الأمر الذي جعلها تحتل مساحة واسعة في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام)، فقد وظّفها (عليه السلام) توظيفًا إيحائيًّا يتلاءم مع مقصدية الحكمة وأهدافها القائمة على التوجيه والتذكير والنصح والإرشاد، ففي مجموعة من حكمه (عليه السلام) القصيرة وهي على التوالي:

١- "**الحَجَرُ المَغْصُوبُ في الدَّارِ رَهْنٌ على خَرَابِهَا**"[2].

٢- "**الرَّحِيلُ وَشِيكٌ**"[3].

٣- "**الحِلْمُ سَجِيَّةٌ فَاضِلةٌ**"[4].

٤- "**العِلْمُ وِرَاثَةٌ مُسْتَفادةٌ**"[5].

٥- "**الاعْتِبارُ مُنْذِرٌ ناصِحٌ**"[6].

نلحظ مجيء كلّ هذه الحكم القصيرة جملاً خبرية، المسند إليه (المبتدأ) كلمات مفردة، وأما المسند (الخبر) وهو الركن المهم، فكان أيضًا كلمات ذات صيغة اسمية هي: (رهن، وشيك، سجية، وراثة، منذر)، وهذا النمط البنائيّ والتركيبيّ للجملة الخبرية جاء متساوقًا مع دلالات هذه الحكم القصيرة والتي أُريد بها التعبير عن حقائق دينيّة ودنيويّة ثابتة لا ترتبط بزمن بعينه ولا مكان بعينه .

فالمال المغتصب لا ينجو صاحبه من عقاب الله عزّ وجلّ ولو بعد حين، وأراد (عليه السلام) بالرحيل (الموت)، ووصفه بالوشيك أي السريع، فكلّ إنسان وإن طال به العمر، لا بدّ من أن يرحل عن هذه الدنيا إلى مثواه الأخير، فعليه أن يستعد لهذا الرحيل بالعمل الصالح والتقوى، ويصف (عليه السلام) الحلم بأنّه من الصفات

---

١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٣ ، مطبعة المدني . القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ١٧٤ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٦٩/١٩ .

٣) المصدر نفسه: ٤٩٧/١٨ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١١١ .

٥) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٢٣/١٠ .

٦) المصدر نفسه: ٢٣٥/١٠ .

الفاضلة ترغيبًا به حتى يكون جزءًا لا يتجزأ عن أخلاقيات الفرد المسلم وسلوكه المتكامل.

أما العلم فله أثر كبير في تقويم شخصية الإنسان؛ لأنّه يفتح مدارك العقول ويغذّيها وينقلها من الحيرة والجهل والضلالة إلى اليقين والمعرفة والهداية، وينصح (عليه السلام) الإنسان العاقل بأن يتعظّ بتجارب الآخرين فيتخذها وسيلة في حلّ مشكلاته وتصحيح أخطائه وتقويم نفسه .

فجاء الأسلوب الخبريّ في دلالته على الثبوت والدوام، موافقًا ومنسجمًا مع مضامين هذه الحكم وحقائقها الأزليّة الثابتة الصالحة لكل زمان ومكان، وهذا التركيب ورد كثيرًا في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) [١].

وقد يأتي الخبر في قصار حكم الإمام جملة فعلية فيخرج في إطار التنوع الدلاليّ من الثبوت والدوام إلى آلية الحدوث والتجدّد والتنوّع المرتبطة بطبيعة الأفعال ودلالتها الزمنية إذ "إن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت"[٢]، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في حكمة من حكمه القصيرة: "**الاقْتِصادُ يُنْمِي اليَسِيْرَ، والفَسَادُ يُبِيدُ الكَثِيْرَ**"[٣].

جاء السياق متلائمًا مع دلالة الحكمة العَلويّة فـ(ينمي) جملة فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ (الاقتصاد)، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على المبتدأ، وكذلك (يبيد) خبر للمبتدأ (الفساد)، والتنمية والإبادة حالتان متجددتان ترتبطان بطبيعة الإنسان، وطريقة تصرفه إزاء ما يملكه من أشياء مادية، وهذه الطبيعة من شأنها أن تحافظ على هذه الأشياء أو تسهم في ضياعها، فإذا اتصف الإنسان

---

١) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٧، ٨، ١٣، ٣٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٥، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٧، ١٤١، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٤، ١٦١، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٥، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٣٣، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ...

٢) الإيضاح: ١٠٤ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٦٢ .

بالكياسة والاقتصاد فإنه يحافظ على أمواله وينميها وإن كانت قليلة، أما إذا كان مسرفًا مبذّرًا فإن أمواله وممتلكاته تتعرض للضياع وإن كانت كثيرة .

وفي الصياغة نفسها جاءت حكمته (عليه السلام): **"الخُصُومَةُ تَمْحَقُ الدِّين"**[1]. فـ(تمحق) جملة فعلية وقعت خبرًا للمبتدأ (الخصومة) وفاعلها ضمير مستتر تقديره (هي)يعود على المبتدأ، والجملة الفعلية هنا يرتبط حدوثها بـ(الخصومة) وهي صفة رديئة تحمل أصحابها على طلب الانتصار بأية وسيلة، والإغراق في المراء والسفه والمهاترة التي من شأنها أن تسبب العداوة والبغضاء[2]، فعملية (تمحق) الدين قائمة على التنوّع والتجدّد والتغاير فلا ثبات ولا استقرار، وذلك باختلاف أصناف البشر وتعدّد أسباب الخصومة .

أما الجملة الفعلية في قوله (عليه السلام): **"السَّاعاتُ تَهْضِمُ عُمْرَكَ"**[3] فقد وقعت خبرًا للمبتدأ (الساعات) وبرزت فيها دلالة الفعل المضارع (تهضم) على الحدوث والتجدّد واضحة في صورة الإنسان وحالته المتغيرة مع تقدّم الأيام ومرور الزمن، فكل ساعة تمرّ عليه تنقص شيئًا من عمره، ويوظّف (عليه السلام) الاستعارة المكنية في تقريب المعنى وتصويره، فهذه الساعات تهضم عمر الإنسان كما يهضم الإنسان طعامه حتى يُتمّه، فعليه أن يستثمرها بالأعمال النافعة الصالحة التي تنفعه في الدنيا والآخرة .

إن الفارق الدلاليّ بين الإخبار بالأسماء والإخبار بالأفعال . وهو الثبوت المطلق غير المشعر بالزمان في الأسماء، واقتران هذا الثبوت بزمن بعينه في الأفعال[4]، قد جاء متوافقًا مع مقتضيات الموقف وأحوال المتلقي في قصار حكم الإمام (عليه السلام) الساعية إلى توجيه الإنسان وبنائه بناءً روحيًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا .

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١١٤ .

٢) ينظر: المصدر نفسه (الهامش): ١١٤ .

٣) المصدر نفسه: ١٣٢ .

٤) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٦٣/١ .

٢- الجملة الخبريّة الفعليّة :

يطلق مصطلح الجملة الفعليّة على الجمل التي صدرها فعل مسند إلى فاعله[١]، و"الفعل ما دلّ على معنى وزمان، وذلك الزمان إما ماضٍ، أو مضارع، وإما مستقبل"[٢]. وهو يختلف عن الاسم الذي يدلّ على معنى فقط[٣]، ومن حكمه (عليه السلام) التي جاءت مبنية على الجملة الفعلية قوله: "**قَدْ أَحَاطَ عِلْمُ اللهِ سُبْحَانَهُ بالبواطِنِ، وأحصى الظواهِرَ**"[٤]، وحكمته (عليه السلام) القصيرة: "**قَدْ سَمَّى اللهُ سُبْحَانَهُ آثَارَكُمْ، وَعَلِمَ أعْمَالَكُمْ، وكتَبَ آجالَكُمْ**"[٥].

إن الأفعال (أحاط، أحصى، سمّى، عَلِمَ، كَتَب) أفعال ماضية، والفعل الماضي يرتبط بأمر حدث في زمن مضى وانقطع حدوثه[٦]، فجاء السياق مستثمرًا دلالة الفعل الماضي للتعبير عن مضمون الحِكَم بعبارات موجزة مفادها: أن الله سبحانه وتعالى يعلم بواطن الأشياء وظواهرها عِلمًا أزليًّا لا تجدّد فيه، فهو العالم القدير الذي لا تخفى عليه خافية، لأن علمه بالأشياء علمًا أزليًّا لا يحتاج إلى تجديد، وأنّه سبحانه يعلم بأعمال العباد قبل مجيئهم، وكتب آجالهم قبل أن يولدوا، فكأن قول الإمام عليّ (عليه السلام) قد تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ

---

١) ينظر: مغني اللبيب: ٣٨/٢ .

٢) الأصول في النحو: ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (د.ط) (د.ت): ٣٨/١ .

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٧٩ .

٥) المصدر نفسه: ٢٨١ .

٦) ينظر: قواعد اللغة العربية: مبارك مبارك، ط٣، دار الكتاب العالمي . بيروت،١٤١٣هـ /١٩٩٢م: ٦ ، والدلالة الزمنية في الجملة العربية: علي جابر المنصوريّ، ط١، مطبعة الجامعة . بغداد، ١٩٨٤م: ٦١ .

عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، لقد ورد الفعل في كلا الجملتين مسبوقًا بـ(قد) التي أفادت تأكيد هذه الحقائق وتقويتها وترسيخها في أذهان الناس ليعتبروا بها ويتعضوا، وليدركوا عظمة الخالق وقدرته الواسعة، وعلمه الأزليّ بالأشياء والأحداث .

وفي حكمة أخرى يقول فيها (عليه السلام): "**قَدْ أفْلَحَ التَّقِيُّ الصَّمُوتُ**"[2].

جاءت الجملة الخبريّة (أفلح) بفعل ماضٍ يدلّ على أنّ الفوز والفلاح في مقياس الله سبحانه وتعالى هو من نصيب الأتقياء الذين يخشون ربهم ويخافون عقابه، وهي مسألة ليست جديدة؛ فقد أقرّها الله سبحانه وجعلها وسيلة المؤمن القويّ الذي لا تحكمه الأهواء ولا تخدعه مباهج الدنيا وزينتها، وجاءت الجملة مسبوقة بـ(قد) لتأكيد أهمية (التقوى) في نيل رضا الله والفوز برحمته وغفرانه .

ويختلف مدلول السياق في جملة خبريّة أخرى يستثمر فيها الإمام (عليه السلام) الفعل المضارع ودلالته على التجدّد في قوله: "**يَنْـزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ المُصِيْبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِه عَنْدَ مصِيبَتَه حَبِطَ أجْرُهُ**"[3].

فجملة (ينزل الصبر على قدر المصيبة) جملة فعلية فعلها مضارع، يرتبط حدوثه أي (نزول الصبر) بوقوع المصائب، والإنسان يتعرض في حياته بشكل دائم ومتواتر إلى ألوان من المصائب والبلايا المتباينة في حدتها وشدتها، فبيّن (عليه السلام) "أن الصبر هبة الله تعالى لعباده المبتلين ينقذ به حالهم، ويدبّر به وضعهم الراهن، ومن الطبيعي أن تكون تلك الهبة وما فيها من علاج وسيلة إنقاذ وافية بالمطلوب، مؤدية إلى الغرض المقصود، ولذا عبّر الإمام (عليه السلام) بأن الصبر يكون بمستوى حجم النازلة"[4]، مستثمرًا دلالة الفعل على الاستمرار والتجدّد في تأدية المعنى .

---

١) لقمان: ٣٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٨٠ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٧٤/١٨ .

٤) أخلاق الإمام عليّ(عليه السلام): محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان، ط٢، دار المرتضى . بيروت،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٤٣١ .

وبالمثل ورد هذا النمط في حكمته (عليه السلام): "**يَقْطَعُ البَلِيْغَ عَنْ المَسألَةِ أمرانِ: ذُلُّ الطَّلَبِ وَخَوْفُ الرَّدِّ**"[(١)].

فالرجل البليغ الساحر البيان، يصيبه العيّ والحصر عند سؤاله من غيره لشعوره بذلّ الحاجة، ولإشفاقه من أن يجيبه بعدم قضائها فيكون قد اجتمع عليه أمران مُرّان: ذلّ الطلب، وخوف الرد[(٢)]، وهو أمر يتعرض له الإنسان كثيرًا في حياته؛ لأنّه محتاج إلى الآخرين، وشؤونه مرتبطة بشؤونهم، فجاء مسار الحكمة متوافقًا مع مدلول الجملة الفعلية في توجيه المسلم وتنبيهه إلى ضرورة مراعاة حوائج الناس والمسارعة في قضائها، والتي لا تنتهي إلا بموته وهي متبدلة ومتنوعة زمانًا ومكانًا .

ومن هنا نلحظ دقة توظيف الإمام عليّ (عليه السلام) للدلالة الزمنية للأفعال المتباينة بين الانقطاع التجدّد، وبراعة انسجامها مع مسلكية النصّ، وأهدافه الإصلاحيّة والتربويّة في إطاره الوعظيّ الموجز.

ولمّا كانت حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، وكما سبقت الإشارة ـ في تعريفات الحكمة من هذا البحث ـ هي خلاصة تجارب الحياة المختلفة القائمة على أساس معرفيّ يسعى فيها المرسل ـ وهو الإمام (عليه السلام) ـ إلى إرساء قواعد سلوكية صحيحة تسهم في تقويم المجتمع وتصحيح مساره الدينيّ والدنيويّ، بالدعوة إلى الخير والفضيلة وقمع الشر والرذيلة، في قوالب وصياغات لغويّة تقف على حقائق الأمور وأحكامها الصحيحة البعيدة عن الشكِّ والجهل والغفلة، فإنَّه يمكن القول إن الكثير من هذه التراكيب الخبريّة ـ سواء أكانت اسمية أو فعلية ـ الواردة في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) إنّما تحمل أبعادًا دلاليّة حقيقية، الغرض منها إفادة المخاطب وإرشاده وتوجيهه عبر دلالة مباشرة لا تحمل بين طياتها هامشًا من التأويل وتعدّد المعاني، كما أنّ المتلقي نفسه يكون بمعية هذه الحكم القصار مستعدًا لتقبل كلِّ ما يُقال له؛ لأنّها حقائق ثابتة غير قابلة للمناقشة والخلاف، فضلاً عن أنّها

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٧٨ .

٢) ينظر: المصدر نفسه (الهامش): ٢٧٨ .

صادرة عن شخصية كشخصية الإمام عليّ (عليه السلام) جمعت بين البعد الدينيّ الروحيّ والسياسيّ في آنٍ واحد، ففي قوله (عليه السلام): "**نَوْمٌ عَلَى يَقِيْنٍ خَيْرٌ مِنْ صلاةٍ عَلَى شَكٍّ**"[1].

جاءت الحكمة في صياغتها الخبريّة لتفيد المخاطب، وتبيّن أهمية اليقين في منهج المسلم الإيمانيّ واعتقاده، فاليقين هو الإيمان المطلق بالله سبحانه وتعالى إيمانًا لا يشوبه شكّ ولا ريبة، ويعد مثل هذا الإيمان عبادة، بل هو المصدر والمنبع الذي تفيض منه العبادات والصالحات، فلا عجب أن يكون صاحب هذا اليقين عابدًا قانتًا في نومه، وكان الشاكّ عاصيًا ضالاً في صلاته[2]

وفي قوله (عليه السلام): "**قَدْ أَوْجَبَ الإيمَانُ عَلَى مُعْتَقِدِهِ إقَامَةَ سُنَنِ الإسْلاَمِ وَالفَرْضِ**"[3]، نجد أنّ الحكمة في صياغتها الخبريّة واضحة الدلالة في بيان ماهية الإيمان ومستوجباته، فالإيمان بالله تعالى يوجب على الفرد الإلتزام بسنن الإسلام وفرائضه التي شرّعها الله سبحانه ليختبر بها عباده مميزًا بين المؤمن منهم والعاصي، ولا يكتمل إيمان الفرد دون الإلتزام بهذه التشريعات، وهذا ما نلمسه في دلالة الفعل (أوجب) المسبوق بـ(قد) التي أفادت توكيده وتحقيقه[4]، بما لا يقبل الجدال أو المساومة .

ولأنّ الظلم من المفاهيم الجاهليّة التي حاربها الإسلام، ونهى عنه الله سبحانه وتعالى في آيات عدة منها قوله عزّ وجلّ:﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[5]، يوظّف (عليه السلام) الأسلوب الخبريّ بدلالته الحقيقية، للوقوف عند أبعاد الظلم وحدوده في حكمة قصيرة يقول فيها: "**العَامِلُ بالظُّلْمِ وَالمُعِيْنُ**

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٠٠/١٨ .

٢) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١١٣/٤ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٨٠ .

٤) ينظر:الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن القاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٢٥٥ .

٥) يونس: ٥٢ .

عَلَيْهِ والرَّاضِي بِهِ شُرَكَاءُ ثَلاثَةٌ"[1]، فلا يقتصر الظلم على من يقوم به، بل يدخل فيه كل من كانت له صلة (كالمعين عليه والراضي به)، إذ يحاسبهم الله حساب الظالم، ويعاقبهم عقابه، وإلمام المؤمن بهذه الحقيقة يغلق الباب أمام هذا الانحراف السلوكيّ، فلا يجد الظالم من يعينه على أمره، ولا من يرضى به .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمته القصيرة: "**الجَنَّةُ جَزَاءُ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُحْسِنٍ**"[2]. يجسّد الإمام (عليه السلام) أهمية الإيمان والإحسان في جملة خبريّة ذات دلالة مباشرة، فجزاء المسلم الذي اعتمد طريق الإيمان والإحسان ـ وما يندرج تحتهما من معانٍ إيحائية كثيرة ـ طريقًا ثابتًا في معتقده وسلوكه هو الجنة، وبذلك يتناص الإمام (عليه السلام) مع قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [3].

ومن هنا نجد أنّ الأخبار الحقيقية الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة جاءت ذات دلالات دينية ملزمة غير قابلة للتأويل أو التبديل، وهذا ما لمسته في حكم أخرى كثيرة لا يسع البحث لذكرها والوقوف عليها[4].

ومع كثرة الحكم القصيرة ذات الدلالات الحقيقية الإلزامية؛ فإنّنا لا نعدم نصوصًا حِكَمية خبريّة قد يخرج الخبر منها إلى أغراض مجازية تُفهم من السياق

---

1) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٣٦٥ .

2) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٥ .

3) البقرة: ٨٢ .

4) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٥، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٥٧، ٧١، ١٥٤، ١٦٦، ١٨٠، ٢١٣، ٢٦٨، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٦١، ٧٧، ١٢٥، ١٢٦، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٩، ٤٢، ٤٩، ٦٣، ٩٨، ٢٠٩، ٣٢٠، ٣٣٨، والمصدر نفسه: ١٠/ ٧٢، ٧٥، ٩١، ٣١٨.

وقرائن الأحوال[1] إذ يوظّف الإمام (عليه السلام) السياق الخبريّ في تأدية هذه الأغراض بوصفها وسيلة لتوسيع المعنى وتعميقه وترسيخه في أسماع المتلقين ونفوسهم، لذا يستثمرها (عليه السلام) في مقاصد شتى، وخدمة لأهداف متنوعة، وقد اقتصر بعضها على مقاصد بعينها دون سواها وهذا ما سأقف عليه في الصفحات القليلة القادمة .

إنَّ الحكمة قيمة إنسانيّة قائمة في مطلقها على الوعظ والنصح والإرشاد والتوجيه، لذا لا يعدو التحذير أن يكون جزءًا لا يتجزأ من مضمون الحكمة وأهدافها، ولاسيما حكم الإمام عليّ (عليه السلام)، فقد أخذ التحذير أبعادًا متنوعة نلمسها في الكثير من هذه الحكم القصيرة ومن ذلك قوله: "**إنّ يومًا أسْكَرَ الكِبارَ، وَشَيَّبَ الصِّغارَ لَشَديدٌ**"[2].

جاء السياق الخبريّ في صياغته الواضحة تحذيرًا للمنخدعين بالدنيا وأهوائها، والمنشغلين بها عن العمل ليومٍ شديدٍ لا يمكن الفرار منه وهو (يوم القيامة)؛ وفيه يعاقب الله سبحانه وتعالى المذنبين على ما اقترفوه من آثام وان كانت صغيرة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [3]، فعلى الإنسان أن يستعدّ لشدة هذا اليوم وعواقبه المهلكة بالتقوى والعمل الصالح .

ويحذّر (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى الإنسان المؤمن من الاستخفاف بالذنوب والإصرار عليها إذ يقول: "**أَشَدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ**"[4].

فالله عزّ شأنه يغفر للعبد المؤمن ذنوبه الصغيرة إذا صدرت عنه سهوًا وتاب عنها، إلاّ أن الاستخفاف بهذه الذنوب يستوجب الإيغال فيها، ويدلّ على عدم الخوف من الله عزّ وجلّ؛ لذلك عدّها (علماء الدين) . في حالة استصغارها والإصرار عليها . من الكبائر، وجاء تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (صاحبه) تحذيرًا واضحًا

---

١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٤٦٨/٢ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ٧٨ .

٣) الزلزلة: ٨،٧ .

٤) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥٥٥/٢٠ .

أراد فيه (عليه السلام) إبراز حالة الاستخفاف المرتبطة بالذنوب والتأكيد عليها؛ لإثارة الانتباه إلى مدى فداحة هذا الأمر ونتائجه السلبيّة الخطيرة .

وفي قوله (عليه السلام): "**شَرُّ الزَّادِ إلى المَعَادِ احْتِقَابُ ظُلْمِ العِبَادِ**"[1].

جاء السياق الخبريّ في دلالته المجازيّة تحذيرًا من الظلم؛ كونه "رذيلة عظيمة متعدية الأذى مستلزمة للشقاء"[2]، وجاءت الاستعارة في لفظة (الزاد) للإشارة عمّا يحمله الإنسان في سفرته ورحلته ليعينه عليها، فظلم العباد "من أدنى وأخسّ ما يحمله العبد في سفره إلى الآخرة عند مساءلته أمام جبار السموات والأرض"[3].

ويخرج التحذير من دائرة الوعظ والإرشاد الدينيّ[4] إلى غايات وأهداف إصلاحيّة أخرى، ومن ذلك ما جاء في حكمته (عليه السلام) القصيرة: "**الإلْحَاحُ دَاعِيَةُ الحِرْمَانِ**"[5].

جاءت الجملة الخبريّة في صياغتها اللغويّة الموجزة لتحذير الفرد من صفة رديئة هي (الإلحاح)، والإلحاح في الشيء كثرة السؤال والمبالغة فيه[6]، ولأنّ الاتصاف بهذه الصفة يؤدي إلى نتائج عكسية غير مرغوب فيها كالمنع والحرمان، بدت صيغة التحذير واضحة في توجيه المسلم وتحذيره من التخلّق بهذه الصفة الكريهة والتمسّك بها.

وفي حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة: "**أَشَدُّ النَّاسِ نَدَامَةً وَأَكْثَرُهُمْ مَلاَمَةً؛ العَجِلُ النَّزِقُ الَّذِي لاَ يُدْرِكُهُ عَقْلُهُ إلاَّ بَعْدَ فَوْتِ أمْرِهِ**"[7].

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٢٤/١٠ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٤٢٣/٥ .

٣) أخلاق الإمام عليّ: ١٣٢ .

٤) ورد هذا الغرض في مواضع أخرى من حكم الإمام(عليه السلام) القصيرة، ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٠، ٢٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٥٩، ٧٣، ١٠٩، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٨٢/١٠ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٧ .

٦) ينظر: لسان العرب: مادة (لحح) .

٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٨ .

يحذّر الإمام (عليه السلام) الإنسان من التعجّل في الأمور والتسرّع فيها في طيشٍ وحمقٍ وجهل، لأنّها من الصفات التي تجرّ عليه ويلات الندم والخسارة والملامة، فهو في خضوعه لهذه الصفات يبتعد عن الصواب في أقواله وأفعاله، لأنها لا تصدر عن رويّة وتأمُّل يسمح للعقل بأنّ يزنها ويُصفِّيها، ولذا فانّ الابتعاد عن هذه الصفات يجعل الإنسان في مأمن عن الندم والملامة .

ويخرج الخبر مؤديًا معنى الدعاء في غير موضع من حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة ، ويأخذ (الدعاء) أيضًا أبعادًا متنوعة منها قوله: "**رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رأى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، ورأى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا على صَاحِبِهِ**"[1].

أنَّ الصيغة التي جاءت بها الحكمة توحي بالدعاء للإنسان الذي يسعى إلى إقامة الحق ونصرته، ومحاربة الجور ودحضه، ترغيبًا بهذا السلوك الإيمانيّ الذي يحبه الله ورسوله، وتشجيعًا منه (عليه السلام) بالتمسّك به؛ لأنّه يسهم في بناء المجتمع بناءً سليمًا قائمًا على أسس صحيحة؛ لذا عمد (عليه السلام) إلى استعمال الألفاظ بدلالتها الواضحة المباشرة، وصياغتها الرصينة الموجزة، لتجسيد المعنى وتعزيزه[2].

وفي حكمة أخرى يقول (عليه السلام): "**رَحِمَ اللهُ امْرأً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ**"[3].

يدعو الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة لمن عرف منزلته، وحاسب نفسه في شؤون حياته المختلفة فلا يتورّط "بيده أو برجله أو بعينه أو بلسانه ... أو سائر أعضاء بدنه بما يجعله مُدانًا مُحاسَبًا يُطلَب منه تقديم الإجابة والتفسير لقوله أو فعله"[4]، ولأن انتفاء هذه المعرفة يؤدّي إلى الهلاك والخيبة والخسران؛ لأنّه يجعل

---

١) المصدر نفسه: ٢١٢.

٢) ينظر في المنحى نفسه: غرر الحكم ودرر الكلم: ٢١١، ٢١٢، وسجع الحمام في حكم الإمام: ١٢٨ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢١٢ .

٤) أخلاق الإمام عليّ: ٤٢١ .

الإنسان يتصدّى لأمور ليس لها بكفء، ويعيش في عالمٍ بعيد عن واقعه[1]، جاءت الحكمة في صياغتها اللغويّة الموجزة، واضحة في الحثّ على معرفة النفس ومحاسبتها مستثمرًا (عليه السلام) صيغة الدعاء في ذلك .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُم ذِكْرُ الآجَالِ، وَحَضَرَتْكُم كَوَاذِبُ الآمالِ**"[2].

خرج الأسلوب الخبريّ في حكمته (عليه السلام) القصيرة إلى معنى التوبيخ الذي يوجهه إلى الغافلين عن الموت ومصيرهم الحتمي، والمنخدعين بمباهج الدنيا الزائلة الكاذبة، وتأتي (قد) في أول الحكمة لتؤكد حقيقة غفلتهم عن مصيرهم الحتمي الذي لا بدّ منه، فضلاً عن تعلقهم بالآمال التي تجرهم إلى حُبّ الدنيا ومن ثم التعلّق بها لأنّها تقودهم إلى التيه والهلاك .

وفي حكمة أخرى يخاطب الإمام (عليه السلام) المسلمين الذين أغرتهم الدنيا الفانية في قوله: "**دَعَتْكُمُ الدُّنْيَا إلى مَرارَةِ الشِّقَاءِ وَمَحَلِّ الفَنَاءِ، وأنوَاعِ البلاءِ والعَنَاءِ، فأطَعْتُمْ وبَادَرْتُمْ وأسْرَعْتُمْ**"[3].

فهؤلاء على ما اتصفت به الدنيا من ألوان الشقاء وأنواع البلاء، قد أطاعوها وبادروا وأسرعوا إليها، فجاءت الحكمة القصيرة في صياغتها الخبريّة توبيخًا لهم على أفعالهم الشائنة، وركونهم لأهوائهم وغفلتهم عن آجالهم وما يلاقونه في آخرتهم .

ويستثمر الإمام (عليه السلام) دلالة الخبر المجازيّة في تقويم سلوك الفرد وتوبيخه للخروج عن الخط الإنسانيّ في التعامل مع النّاس إذ يقول: "**سَتْرُ مَا عَايَنْتَ، أَحْسَنُ مِنْ إشَاعَةِ مَا ظَنَنْتَ**"[4] .

يوبّخ الإمام (عليه السلام) الشخص الذي يتتبّع عيوب النّاس للتشهير بهم وهتك أستارهم متناسيًا عيوبه وأخطائه، وهي من السمات الخلقيّة الرذيلة التي يكرهها

---

١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤/٣١٦.

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٨٢ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٠٤ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٣٣ .

الله ورسوله، لذا جاء توبيخ الإمام (عليه السلام) لمثل هذا الشخص زجرًا له وردعًا عن الاستمرار في هذا السلوك الخاطئ .

ويأتي الخبر لتحريك همم المسلمين في حكمة أخرى من حكمه (عليه السلام) القصيرة؛ يدعو فيها إلى طلب العلم ويحثّ عليه إذ يقول: "**أشَرَفُ الأشْيَاءِ العِلْمُ؛ واللهُ تَعَالَى عَالِمٌ يُحِبُّ كلَّ عَالِمٍ**"[١]، فالإمام (عليه السلام) يصف العلم بأنّه (أشرف الأشياء) ترغيبًا به وتحفيزًا عليه، وزيادة في ذلك يبيّن مكانته ومنزلته عند الله تعالى بقوله (يُحبُّ كل عالم)، فجاء استخدام لفظة (كل) للإطلاق في بيان منزلة العلماء عنده عزّ وجلّ، إذ إنّها لا تختصّ بفئة بعينها وإنّما تشمل العلماء جميعهم لما يمثلونه من قيمة فكرية تسهم في بناء المجتمع بناءً صحيحًا .

ويجمع الإمام (عليه السلام) بين الجانب الدينيّ والدنيويّ في حكمة قصيرة يشحذ فيها همم المسلمين ويحثّهم على الأعمال المفيدة الصالحة إذ يقول: "**أطْوَلُ النّاسِ عُمْرًا مَنْ كَثُرَ عِلمُه فَتَأدَّبَ بِه مَنْ بَعدَهُ، أو كَثُرَ مَعرُفُه فَشَرُفَ بِهِ عَقِبُه**"[٢].

يحثّ الإمام المسلمين على أمرين مهمين (العلم، والمعروف)، والأول له دلالة اجتماعيّة لأنّه ينير العقل ويبصّر القلب ليسمو بصاحبه فوق آفات الجهل ورذائله المستعصية، أمّا الثاني فله دلالة دينيّة ترتبط بزيادة رصيد المسلم عند خالقه العظيم، فضلاً عمّا يناله صاحبه من مودة النّاس وقربهم، فجاء الترغيب بهذين العملين عن طريق عبارة موجزة يشخّص فيها (عليه السلام) طريق الخلود والديمومة التي سيحظى بها الإنسان الساعي إلى العلم والمعروف في قوله (أطول النّاس عمرًا)، فمن شأن هذين العملين أن يحققان الخلود الذي لا يستطيع الإنسان تحقيقه إلا بهما .

ومن الأغراض المجازية التي خرج إليها الخبر في قصار حكمه(عليه السلام) الخبر المنفي، ويوظّف الإمام (عليه السلام) هذا الغرض في توجيه الفرد بما يحقق له الصلاح في الدنيا والآخرة، كقوله (عليه السلام): "**لاَ صَوَابَ مَعَ تَرْكِ المَشُورَة**"[١].

---

١) المصدر نفسه: ٥٥ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ٥٧ .

المشورة تعني الأخذ بآراء الآخرين للوصول إلى الصواب[٢]، وتركها استبداد بالرأي يؤدي إلى الخطأ والزلل[٣]، فجاء السياق الخبريّ بدلالته المجازيّة ليلغي الإصابة في أي أمر يخلو من المشورة، مستثمرًا الدلالة العميقة على النفي في (لا النافية للجنس) في ذلك .

وفي حكمة قصيرة أخرى يقول (عليه السلام): "**لاَ شَفِيْعَ أَنْجَحُ منَ التَّوْبَةِ**"[٤].

نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) يوظّف صيغة (أفعل) في دلالتها على التفضيل بجانب (لا النافية للجنس) ليبيّن مكانة التوبة عند الله سبحانه وتعالى، إذ نفى جنس الشفاعة بطرقها كافة تاركًا طريق التوبة لأنّه طريقًا فيه خير للمجتمع وللنفس؛ لأن خير الخطائين التوابون، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[٥]، استدلالاً واضحًا على مكانة التائب الرفيعة، فلا يمكن للعبد أن يتنزه عن آثامه ومعاصيه إلاّ بالندم والتوبة؛ بوصفها وسيلة مقبولة عند الله ومضمونة لقبول العبد وتكفير خطاياه وذنوبه وإن كانت كبيرة .

ومما لا يمكن إغفاله أن صيغة الخبر المنفي وردت بكثرة في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام)[٦].

ويخرج الخبر عن دلالته الوضعية إلى دلالة مجازيّة مفادها (التذكير والتنبيه)، ويستثمر (عليه السلام) هذه الدلالة في انتشال المسلمين من التهاون والغفلة عن مصيرهم المحتوم الذي ترتبط به سعادتهم أو شقائهم الدائمان في مواضع كثيرة من حكمه القصيرة[٧] منها: "**الأَمْرُ قَرِيْبٌ، والاصْطِحَابُ قَلِيلٌ**"[١].

---

١) المصدر نفسه: ١٩٥ .

٢) ينظر: المعجم الوسيط: مادة (شار) .

٣) ينظر: سجع الحمام في حكم الإمام (الهامش): ١٩٥ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٩٥ .

٥) البقرة: ٢٢٢ .

٦) ينظر: على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، وسجع الحمام في حكم الإمام: ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .

٧) ينظر: على سبيل المثال: سجع الحمام في حكم الإمام: ٧٨ ، ٨٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٣

جاءت الحكمة لتذكير الإنسان بقرب الأجل، وموعد الرحيل إلى دار البقاء التي كنّى عنها (عليه السلام) بالأمر، "فالموت منه قريب بحيث يفاجئه في أية لحظة يقدّرها الله تعالى، وكل آتٍ قريب، فيعني ذلك أن موعد الحساب وهو يوم القيامة قريب أيضًا، فلا مجال للتراخي في تأدية الواجبات والتزوّد بزاد الآخرة"[٢].

وإذا كان الموت قريبًا فلا بدّ من أن يكون المكوّث في هذه الدنيا قليلاً محدودًا، فجاءت الجملتان الاسميتان في حكمته (عليه السلام)، لتعلنان عن ثبوتية هذا الأمر في حياة الإنسان، وحتمية وقوعه .

وفي قوله (عليه السلام): "**إنَّ للهِ مَلِكًا يُنَادِي في كُلِّ يَومٍ لَدوا للمَوتِ، واجْمَعُوا لِلْفناءِ، وابْنُوا للخَرابِ**"[٣].

بدت صيغة التذكير والتنبيه واضحة في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة من خلال الدلالة المتقاربة للألفاظ (للموت، للفناء، للخراب) التي جاءت لتفصح عن المصير النهائي الذي سيؤول إليه الإنسان مهما طال به الأمد، وما سينتهي إليه ما جمعه من أموال وما شيّده من عمران، وجاء اتصال للألفاظ بـ(لام العاقبة) دليلاً واضحًا على حتمية هذا المصير الذي أفادت (أن) الواقعة في بداية الحكمة تأكيده وترسيخه، فالموت ضريبة على كلّ إنسان أن يدفعها، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٤]وليس له أن يحمل معه ما جمعه من أموال وما شيّده من عمران، وخلاصة القول كما يراه ابن أبي الحديد "هو التنبيه على أن الدنيا دارُ فناء وعطب، لا دار بقاء وسلامة، وإن الولد يموت، والدُّور تخرَّب، وما يُجمع من الأموال يفنى"[٥].

، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ .

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥١٥/١٨ .

٢) أخلاق الإمام عليّ: ١١١ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/ ٤٦١ .

٤) آل عمران: ١٨٥ .

٥) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٦١/١٨ .

ويخرج الخبر إلى معنى التوعّد بوصفه وسيلة من وسائل ردع المسيئين من النّاس وزجرهم، فنراه يقترن بعقاب الله وأحكامه العادلة في حكمه (عليه السلام) القصيرة[1] ومن ذلك قوله: "**وَيْلٌ لِمَنْ سَاءَتْ سِيْرَتُهُ، وَجَارَتْ مَلْكَتُهُ، وَتَجَبَّرَ وَاعْتَدَى**"[2].

إن إلمام الإمام عليّ (عليه السلام) بتعاليم الدين الإسلاميّ وأحكامه يؤهله بأن يصرّح بالمصير الذي سينتهي إليه كلّ من أساء إلى غيره، وجار على رعيته وتجبّر. فجاءت الحكمة بدلالتها المجازية وأسلوبها الجزل الواضح تهديدًا للمعتدين والمتجبرين وتخويفًا لهم، ولا يمكننا أن نغفل المصاحبات اللغويّة التي أفضت إلى معنى التوعّد وذلك في (ويل) التي تصدرت الحكمة ومعناها المعجميّ "كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب. يقال : ويله وويلك وويلي، وفي الندبة : ويلاه ، ... والويل : حلول الشر"[3]. وهذا المعنى جاء متساوقًا مع التوعّد .

ويخرج الخبر في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة إلى معنى مجازيّ آخر هو(التعظيم) ومنه قوله (عليه السلام): "**سُبْحَانَ مَنْ نَدْعُوهُ لِحَظِّنَا فَيُسْرِعُ، وَيَدْعُونَا لِحَظِّنَا فَنُبْطِئُ، خَيْرُهُ إِلَيْنَا نَازِلٌ وَشَرُّنا إِلَيْهِ صَاعِدٌ، وَهو مَالِكٌ قادرٌ**"[4].

إن لعظمة الله سبحانه وتعالى آثارًا كثيرةً يقف (عليه السلام) على جانبٍ منها مجسدًا ثنائية العلاقة بين العبد وخالقه في طرفيها الإيجابيّ المرتبط بالله تعالى، الذي يُسارعُ بالخيرات فينزلها على عباده، وطرفها السلبيّ المرتبط بالإنسان الذي يبطئ في استجابة نداء الله . وإن كان خيرًا له . ولا يكترث بما يصدر عنه من الشرور والآثام التي يجب ألاّ تصدر منه، ويأتي التضاد بين الألفاظ (يسرع × يبطئ) و(نازل × صاعد) ليبرز المعنى ويوضحه عن طريق التقابل الدلاليّ بين العبارات وارتباطها بواسطة الواو التي أفادت المشاركة، وتتضح دلالة الفاء على التعقيب والترتيب في

---

1) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٠، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٢٦٤ .
2) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٠ .
3) لسان العرب: مادة (ويل) .
4) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٣٢ .

أبعاد هذه العلاقة، فلا يشرع العبد بالدعاء حتى ينال ما يناله من عناية الله ونعمه بأن يلبي حاجته أو يعوضه بما هو خير منها، ويختم (عليه السلام) حكمته القصيرة بجملة اسمية نلمس في دلالتها ملامح عظمة الله سبحانه وتعالى وثبوتيتها الدائمة في قوله (وهو مالك قادر) فإكرام الله لعباده لا ينبع من حاجته إليهم، فهو المالك القادر الذي يحتاجه العباد ولا يحتاج إليهم، بل تنبع من علوّ منزلته، وسموّ شأنه، وجلالة قدرته .

وأخيرًا لا بدّ لنا من ذكر النسب التي وردت فيها الجمل الاسميّة والفعليّة:

العدد	الجملة الاسميّة	الجملة الاسميّة خبرها فعل	الجملة الفعليّة
١٣٥٧٨	٦١٧٣	١١٤٨	٤٥٥
النسبة المئوية	%٤٥	%٨	%٣

من خلال هذا المخطط يتضح لنا أن الجملة الاسميّة هي المتصدرة بنسبة عالية جدًّا وهي تفوق الجملة الفعليّة ثم يليها بالمرتبة الثانية الجملة الاسميّة ذات الخبر الفعليّ، وبعدها بنسبة قليلة جدًّا الجملة الفعليّة، وهذا يعني أن الحكمة ذات منحى ثبوتيّ، فهي صالحة لكلِ زمان ومكان، وهذا ما عزّزه التركيب الخبريّ .

المبحث الثاني

التركيب الإنشائيّ :

الإنشاء لغة: أنشأ الله الخلق، ابتدأ خلقهم، وأنشأتُ حديثًا ابتدأتُهُ، والإنشاء هو الابتداء أو الخلق أو الابتداع[1].

الإنشاء اصطلاحًا: هو الكلام الذي "لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"[2]؛ لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه[3].

والإنشاء قسمان: الإنشاء غير الطلبيّ: وهو ما لا يستدعي مطلوبًا، ويأتي على أنواع هي: صيغ المدح والذم، والتعجّب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود، ولم تلقَ هذه الأنواع اهتمامًا كبيرًا من قبل البلاغيين لقلة الأغراض المتعلّقة بها؛ ولأنَّها في الأصل أخبارًا نقلت إلى معنى الإنشاء[4].

والقسم الآخر: الإنشاء الطلبيّ: "وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء"[5].

وقد حظيت هذه الأنواع باهتمام البلاغيين وعنايتهم؛ لأنها تتفاوت في التعبير ولخروجها عن الأغراض الحقيقية لتؤدّي معاني جديدة تظهر قدرات المبدع في التنقّل بين الأساليب وتمكّنه منها[1].

---

١) ينظر: لسان العرب مادة (نشأ)

٢) الإشارات والتنبيهات: محمد علي الجرجانيّ(ت٧٢٩هـ)، تعليق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٨٨ .

٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٣٢/١ ، وعلم المعاني: عبد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة . بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ٦٩ .

٤) ينظر: بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني: توفيق الفيل، (د.ط)، مكتبة الآداب . القاهرة، (د.ت): ١٩٦ .

٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٣٢/١ .

وسأتناول في هذا المبحث أبرز أساليب الإنشاء الطلبيّ التي كانت عليها قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) وحسب شيوع هذه الأساليب، ابتداءً من الأمر ثم النهي ثم الاستفهام ثم النداء .

١- الأمر :

الأمر في البلاغة طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، يقول العلويّ (ت٧٤٩هـ) "هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"(٢)، ويعرفه الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ) "قول القائل لمن دونه افعل"(٣)، وهو عند المحدثين "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"(٤).

ويخلص البلاغيون إلى أنّ للأمر صيغًا أربع هي: فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر(٥)، ويأتي الأمر بصيغه المختلفة ليشغل حيزًا بارزًا في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام)، فقد وظّفه الإمام توظيفًا دلاليًا دقيقًا في التعبير عن مضمونات الحكمة وأهدافها ومقاصدها المتنوّعة .

ولمّا كان الإمام عليّ (عليه السلام) المعلم الناصح، والموجه الكبير، بوصفه خليفة رسول الله في المسلمين، وراعياً مسؤولاً عن شؤون حياتهم المختلفة، يأتي أسلوب الأمر شاهراً إمكاناته الفنيّة والإيحائيّة في دائرة الأنساق اللغويّة التي يسعى فيها الإمام (عليه السلام) إلى إرساء القواعد والأُسس التي تسهم في بناء الإنسان

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٢/١ .
٢) الطراز: ١٥٥/٣ .
٣) التعريفات: ٣٨ .
٤) علم المعاني (عتيق): ٧٥ ، وينظر: علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي، ط٣ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ٧٥، وبلاغة التركيب: ٢٠٩ .
٥) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ط٢ ، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ١٤ ، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني):فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ١٤٩ .

بناءً دينيًّا وروحيًّا وفكريًّا، ولصيغة فعل الأمر الصريح ذي الدلالة الحقيقية أثر بارز في القيام بهذه المهمة الإصلاحيّة؛ لدلالتها الواضحة على توجيه الأمر على نحو مباشر، يقول الإمام (عليه السلام): **"لا تُقْضَى النّافِلَةُ فِي وُقْت فَرِيْضةٍ، إبْدَأْ بِالفَرِيْضَةِ ثمَّ صَلِّ مَا بَدا لَكَ"**[1] ، "ولا ريب أن من استغرق الوقت بالنوافل حتى أوقات الفرائض لم يفعل الفرائض فيها"[2]، فجاءت حكمته (عليه السلام) القصيرة على وجه الإلزام والتشدّد في المحافظة على الفرائض وعدم الانشغال عنها بالعبادة النفلية .

ويوظّف (عليه السلام) هذه الصيغة في حكمة أخرى يقول فيها: **"أطِيعُوا اللهَ حَسْبَ مَا أمَرَكُمْ بِهِ رُسُلُهُ"**[3].

بدأ الإمام (عليه السلام) حكمته الشريفة بفعل الأمر (أطيعوا) على وجه الإلزام والتشدّد في طاعة الله تعالى على وفق تعاليمه وسننه التي نصّ عليها سبحانه على لسان أنبيائه ورسله المكرمين، إذ أنَّ طاعة الله المستقيمة لا تكون إلا بالالتزام بهذه الفرائض والسنن بالطريقة التي بيّنها رُسُله الكرام وليس على وفق أهواء النّاس ورغباتهم المتنوعة .

وفي قوله (عليه السلام): **"تَمَسَّكْ بِحَبْلِ القُرْآنِ وَانْتَصِحْ، وَحلِّلْ حَلالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ وَاعْمَلْ بِعَزَائِمِهِ وَأحْكَامِهِ"**[4].

نلحظ أنّ النصّ الشريف انطوى على دلالة حقيقية ملزمة لمتلقيها، وهي وجوب الالتزام بدستور المسلمين . أي القرآن . فيما جاء به من أحكام الله وشرائعه، فما أحلّه كتاب الله فهو الحلال ولا خيار للمسلم فيما حرّمه واوجب تركه والابتعاد عنه، وبهذا تكون الطاقة الإلزاميّة واضحة المعالم في ضرورة الانصياع لأحكام الله التي وردت في كتابه الكريم، إذ يعدّ عدم الالتزام بها خرقًا لدستور الدين ومنهجه.

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٤٥٠/٩ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٤٥/١٩ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٨ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ٨٨ .

نلحظ أنّ دلالة الأمر الإلزاميّة المباشرة ارتبطت بحقائق دينيّة ثابتة توجب على متلقيها الانصياع والالتزام بما أقرّه الله تعالى على عباده، لأنّها السبيل الوحيد للفوز برضا الله وبما أعدّه للمؤمنين من حياة النعيم[١].

ويخرج أسلوب الأمر في حكمه (عليه السلام) القصيرة إلى دلالات ومعانٍ مجازيّة يستدلّ عليها من سياق الكلام في كلّ صيغة من صيغه المختلفة، وسأقف في الصفحات القليلة القادمة على أهم الأغراض المجازيّة التي خرج إليها أسلوب الأمر في قصار حِكَم الإمام عليّ (عليه السلام) والكيفية التي استعمل فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأغراض في الإفصاح عن معانيه وأفكاره الغنية والمتنوعة .

فقد خرج أسلوب الأمر في كثير من حكمه القصيرة إلى (الحثّ والترغيب)[٢]، إذ إنّه (عليه السلام) يستثمر دلالة الأمر وتأثيرها في المتلقّي في ترغيب الناس بالأعمال الصالحة المفيدة، وحثّهم على القيام بها، ومن هذه الحكم : "**اسْتَجِيْرُوا بِاللهِ تَعَالى، وَاسْتَخِيْرُوهُ في أُمُورِكُمْ، فإنَّهُ لا يُسْلِمُ مُسْتَجِيْرًا ولا يَحْرِمُ مُسْتَخِيْرًا**"[٣].

يأمر الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة القصيرة المسلمين في قوله (استجيروا، واستخيروا) بالالتجاء إلى الله تعالى والتوكُّل عليه في أمورهم المختلفة وشؤون حياتهم الكثيرة، ويأتي هذا الأمر مصحوبًا بالتعليل المنطقيّ الذي يستدرج (عليه السلام) من خلاله المسلمين بالقيام بهذا السلوك الإيمانيّ بالإفصاح عن نتائج هذا التوكّل وفوائده الكثيرة المضمونة في قوله (لا يسلم) و(لا يحرم) مستثمرًا دلالة الفعل المضارع على الاستمرار والتجدد في ذلك، فمن توكّل على الله في أي وقت من أوقات حياته، وفي أي شأنٍ من شؤونها المختلفة، يجد الله سامعًا مجيبًا، ومعطيًا

---

١) ينظر في المنحى نفسه: غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٥، ٩١، ٩٢، ٧٧، ٨٩، ٢٢١، ٢٥٦، ٤٠٩، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٥٦، ٥٧، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٧٧، ٣٥٢، ٢٤٤ .

٢) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٤٠٩، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٦٧ ، ٥٤ ، ١٥٨ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٥٣ .

كريمًا، وزيادة في الترغيب والاستدراج تأتي هذه الأفعال مسبوقة بـ(إنّ) التي عملت على تأكيد دلالة الأمر المجازية، و(لا النافية) التي أفادت القضاء على إمكانية عدم حدوثه .

وفي قوله (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى "**أَلْحِحْ بِالمَسْأَلَةِ تُفْتَحْ لَكَ أَبْوابُ الرَّحْمَةِ**"[1].

يأتي فعل الأمر (ألححْ) في دلالته على التكرار والإصرار لترغيب المسلمين بالدعاء، وحثّهم على الإكثار منه بوصفه وسيلة من وسائل الاتصال بالله تعالى، ونيل عطفه ورحمته وغفرانه، ويستدرج الإمام (عليه السلام) المسلمين لهذا الأمر عن طريق الكشف عن آثاره الإيجابيّة في قوله (تفتح لك)، فهذا الإلحاح كفيل بفتح أبواب الرحمة التي كانت مغلقة من قبل، وجاء التخصيص الناجم عن تقديم الجار والمجرور (لك) على نائب الفاعل (أبواب) ليعطي المتلقّي شحنة كبيرة من التشجيع والترغيب، فهذه الأبواب تفتح لمن دعا ربه دعاءً صادقًا لا يوقفه ضجر ولا يقطعه يأس ولا تبرم، دون غيره من سائر البشر.

وتتسع دائرة الحثّ والترغيب لتخرج عن إطار المكاسب الإيجابيّة الفرديّة إلى أهداف إصلاحيّة عامة نلمسها في قول الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة "**اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ**"[2]. إذ يأتي أسلوب الأمر لإثارة المتلقّي وترغيبه فيما سيحصل عليه وينالـه في حالـة التصدّق على الفقراء والمحتاجين والإحسان إليهم، فدلالة الفعل (استنزلوا) توحي بأن الصدقة هي السبب الوحيد والمباشر في استقطاب الرزق ونزوله، وكأنه (عليه السلام) يقدّم للإنسان طريقة مضمونة في الحصول على هذا الرزق والمحافظة عليه، وذلك بمساعدة المحتاجين والتصدّق عليهم، ساعيًا من وراء ذلك إلى "أن يجعل الإحسان والمساعدة عقيدة دينيّة يقوى بها

---

1) سجع الحمام في حكم الإمام: ٦٧ .

2) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٤٦٧ .

المجتمع وتعود عليه خيراتها وثمارها، وليس من شكّ في أن هذا الأسلوب من أجدى الأساليب في نجاح الدعوة"[1].

ويخرج الأمر إلى معنى مجازيّ آخر وهو (النصح والإرشاد)، إذ ينطلق الإمام (عليه السلام) بهذا الأسلوب ليأخذ دوره الإصلاحيّ في التربية الذاتيّة والنفسيّة للفرد المسلم، موظفًا صيغة (فعل الأمر) بدلالتها غير المباشرة على إيصال المعنى في ذلك، إذ يقول: "**نَقِّ قَلْبَكَ مِنْ الغِلِّ تَسْلَمْ**"[2].

ورد فعل الأمر (نَقِّ) في سياق طلبيّ لا إلزام فيه ليفصح عن ماهية (الغلّ)؛ بوصفه من الأمراض النفسيّة التي تحمل بين طياتها معاني أخلاقيّة سيئة كالحسد والكره والشماتة بالآخرين، وإيذائهم بالقول والفعل، لذا يجب على الإنسان معالجته والشفاء منه لنيل السلامة.

ولأن الصديق هو الشخص القريب الذي يؤثره الإنسان على سائر الناس، ويرتبط معه برباط روحيّ خاصّ، وبعلاقة استثنائيّة متينة، عبّر عنها (عليه السلام) بقوله: "**الصَّدِيْقُ نَسِيبُ الرُّوحِ، والأَخُ نَسِيْبُ الجَسَمِ**"[3]. تأتي حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة في إطار النصح والإرشاد ليقدّم للإنسان ما يبصره في هذا الشأن قائلاً: "**كُنْ بِالْوَحْدَةِ آنَسُ مِنْكَ بِقُرَنَاءِ السُّوْءِ**"[4].

ينصح الإمام (عليه السلام) هنا باجتناب أصدقاء السوء ومجافاتهم لما لهم من تأثير سلبيّ على شخصية الإنسان؛ لأنّه يأخذ منهم من الصفات والشمائل السيئة ما يؤثّر في خلقه وسلوكه؛ لذلك يأمر (عليه السلام) في قوله (كن) بإيثار (الوحدة) على مقاربة أصدقاء السوء والركون إليهم، جاعلاً منها . على الرغم مما توحي إليه من الوحشة والانفراد . رفيقًا مؤنسًا يستغني فيه الإنسان عن السيئ من الناس.

---

1) في ظلال نهج البلاغة: ٣٠٦/٤ .
2) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣١١/١٠ .
3) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٤٣ .
4) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٩٧ .

وفـي قولـه (عليـه السـلام): "**دَعِ القَـولَ فِيْمَـا لاَ تَعْـرِفُ، والخِطَـابَ فيمـا لا تُكَلَّفُ**"(١).

يأتي فعل الأمر (دَع) ليضعَ الإنسانَ عند حدود ما يعرفه، ناصحًا إياه بعدم تجاوزها، وليسمو به عن الفضول والجهل اللذين يحطان من قدره ومنزلته، فجاءت الحكمة لترسم للإنسان منهجًا واضحًا في التعامل والتفاعل مع ما يحيط به من أشخاص وأحداث تنمّ عن خبرة واسعة، وعقل مجرّب .

وقي قوله (عليه السلام): "**لِيَكُفَّ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ، لِما يَعْرِفُ مِنْ عَيبِ نَفْسِهِ**"(٢)، وقوله (عليه السلام) في حكمة أخرى: "**لِيَنْهَكَ عَنْ مَعَايِبِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ مِنْ مَعَايِبِكَ**"(٣).

يظهر الفعل المضارع المقترن بلام الأمر (ليكفّ) و(لِيَنهَكَ) ليدلّ على معنى النصح الذي يوجهه الإمام (عليه السلام) لمن يترصّد عيوب الناس وزلاتهم، متناسيًا عيوبه وزلاته، ويأتي النصح هنا متوائمًا مع القمع والتوجيه في توظيف مجازيٍّ يرمي من خلاله الإمام (عليه السلام) إلى القضاء على هذا السلوك غير اللائق، فجديرٌ بالمسلم أن ينشغل بإصلاح عيوبه وأخطائه بدلا من تتبع عيوب الناس وزلاتهم .

وفـي حكمـة قصـيرة أخـرى ينصـح الأمـام (عليـه السـلام) المسـلمين بـالتحلّي بالقناعة والتمسّك بها قائلاً: " **كُنْ قَنعَاً تَكُنْ غَنِيّاً**"(٤)، مجسداً أهمية القناعة في أخلاقيات المسلم وسلوكه، بوصفها الأساس الذي تنطلق منه الصفات والمزايا الفاضلة بأشكالها المختلفة .

أنَّ غنى الإنسان الروحيّ هو الذي يجعله مكتفياً عن غيره، غير محتاج إليهم، فيعلو بذلك فوق سلطة الأطماع وعبودية الأهواء والرغائب التي تدفع بصاحبها إلى التنـازل والتـذلّل والتملّـق، لـذا يـربط (عليـه السـلام) غنـى الإنسـان فـي قولـه (تكـن)

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٢٠ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣١٠ .

٣) المصدر نفسه: ٣١١ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٩٨ .

بالقناعة في قوله (كن) جاعلاً اتصاف الإنسان بالقناعة صفة ثابتة في خلقه ونفسه، سببًا رئيسًا في وقوفه أمام مغريات الحياة الكثيرة، وأهوائها المختلفة، زاهدًا غير مباليًا لها .

ومن الجدير ذكره أن خروج الأمر إلى معنى النصح والإرشاد ورد في كثير من قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام)[1].

ويخرج الأمر إلى غرض (التذكير والتنبيه) ومن ذلك قوله (عليه السلام): "**كُوْنُوا مِمَّنْ عَرَفَ فَنَاءَ الدُّنْيَا فَزَهِدَ فيها وعَلِمَ بَقَاءَ الآخِرَةِ فَعَمِلَ لَهَا**"[2].

نلاحظ أن صيغة الأمر التي وردت في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة جاءت إشارة إلى تذكير الناس وتنبيههم من غفلتهم بأسلوب وعظيّ ذلك أن "الوعظية هي جزء متمم لتنظيم طبيعة العلاقة بين العبد وربِّه"[3]، وهذا ما نلمسه في فعل الأمر (كونوا) الذي ابتدأت فيه الحكمة، وقد أفاد تذكير المؤمنين وتنبيههم على أهمية (الزهد) و(العمل) لأنّهما مبدأين أساسيين في عقيدة المسلمين ومنهجهم الإيمانيّ، وتأكيدًا على ضرورة التمسّك بهما تأمينًا لعاقبتهم ومصيرهم .

وفي قوله (عليه السلام): "**اذْكُروا انْقِطَاعَ اللَّذَاتِ وَبَقَاءِ التَّبِعَاتِ**"[4].

يأتي فعل الأمر (اذكروا) ليرسّخ في الذهن حقيقة ثابتة على الإنسان ألاّ يغفل عنها وهي أن زوال الدنيا ولذاتها أمرٌ حاصلٌ لا بدّ منه، وتأتي الواو في دلالتها على المشاركة لتفصح عن أمر مهم، فهذا الزوال ليس زوالاً تامًّا، وإنما تبقى منه أعمال الإنسان وانعكاساتها السلبيّة والإيجابيّة، فجاءت الحكمة لتجسّد بعبارة موجزة يسعى

---

1) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١١٠، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ٢٢١، ٣١١، ٤٩٦ .

2) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٩٩ .

3) الخطاب في نهج البلاغة: حسين العمريّ، ط١ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠١٠م: ٢٦٦ .

4) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٢٤/٢٠ .

فيها الإمام (عليه السلام) إلى تذكير الناس "بأنّ الأمور تقاس بآثارها وما يترتب عليها من خير وشرّ"[1].

ويخرج غرض التذكير في حكمة أخرى من قصار حكم الإمام (عليه السلام) من إطار الوعظ الدينيّ ليؤدي دورًا إصلاحيًّا يسعى فيه (عليه السلام) إلى ترويض النفس وتهذيبها إذ يقول: "**ضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ**"[2].

أفادت هذه الحكمة الكريمة تذكير المسلمين بالمصير الحتميّ الذي سينتهي إليه كلّ إنسان وهو (القبر) الذي سيسهم في القضاء على الكثير من الصفات السيئة والخصال الرديئة كالفخر والعجب والتعالّي على الناس والتكبّر عليهم، فجاءت الجمل (ضع، احطط، اذكر) بصيغة فعل الأمر (افعل) في تسلسل دلاليّ يهدف من وراءه (عليه السلام) إلى زجر النفس وردعها، بتذكيرها بمصيرها المحتوم، فانتهاء الإنسان جثة هامدة يُلقى عليها التراب، سبب كافٍ لتهذيب النفس والسيطرة عليها .

وينهج التذكير نهجًا مغايرًا نلمسه في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة: "**مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَتُهُ فَلْيَذْكُرِ المَوْتَ، فإنَّها تَهُوْنَ عَلَيْهِ، وَمنْ ضَاقَ بِهِ أمْرٌ فَلْيَذْكُرِ القَبْرَ، فإنَّهُ يَتَّسِعُ**"[3].

إذ يأتي تذكير الإنسان بنهايته الحتمية الأكيدة، عاملاً مساعدًا في مواساته وحثِّهِ على الصبر على مصائب الحياة الكثيرة ومشاكلها المتنوعة، موظّفًا (عليه السلام) صيغة فعل الأمر المقترن بـ(لام الطلب) في قوله (فليذكر) التي أفاد التكرار تأكيد قدرتها المعنويّة الخفية على تحقيق دلالة الأمر المجازيّة .

ومن الأغراض المجازية التي يخرج إليها الأمر (التحذير) ولا شكّ في أنه حينما يوجّه بفعل الأمر تكون له قوة، وقد تزداد هذه القوة إذا جاء التحذير بصيغة الأفعال الصحيحة، المبنية على السكون التي تقطع فيها الحركة، مع قوة الصوت

---

١) في ظلال نهج البلاغة: ٤/٤٦٧ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٩/٣٠٠ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٤٠ .

الناجمة عن حدة الموقف[1]، وفي ذلك قوله (عليه السلام): "**احْذَرِ دَمْعَةَ المُؤْمِنِ فِي السَّحَرِ، فإنَّها تَقْصِفُ مَنْ دَمَّعَهَا، وَتُطْفِئُ بُحُورَ النِّيْرَانِ عَمَّنْ دَعَا بِهَا**"[2].

فعلى الرغم من أن الظلم كثيرًا ما يرد في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) محثًّا بالابتعاد عنه مرة، ومحذِّرًا من الركون إليه مرة أخرى[3]، إلاّ أننا نقف أمام صورة مؤثرة يرسم فيها الإمام (عليه السلام) صورة المظلوم وهو متوجه بالدعاء إلى الله تعالى ساكبًا دموعه، شاكيًا إليه مظلوميته، ثم يبيّن (عليه السلام) تأثير هذه الدموع والنتائج المترتبة عليها في قوله (تقصف) و(تطفئ) ، لتفصح دلالة الفعل (تقصف) عن الدمار والفناء اللذين سيؤول إليهما الظالم، ويأتي الفعل (تطفئ) في دلالته على السكون ليعلن عن مكانة المظلوم ومنزلته الكبيرة عند الله عزّ وجلّ، ويؤكد (عليه السلام) هذا التأثير الكبير لدمعة المظلوم بـ(إنّ) ليأخذ التحذير شكلاً دلاليًّا يرسّخه في ذهن المتلقّي .

ونلمس صيغة التحذير في حكمة أخرى من قصار حكمه (عليه السلام) في قوله: "**احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ**"[4].

إنّ نِعَم الله سبحانه وتعالى التي ينعم بها على عبادة كثيرة، لا تُعدّ ولا تُحصى، فجاء التحذير في قوله (عليه السلام) (احذروا) من ذهاب هذه النعم أو بعضها، إذ يسلبها الله تعالى من عبده الكافر الجاحد إذا لم يُحسن المحافظة عليها والتعامل معها بما يليق بمستوى عطاء الله وكرمه وسخائه، واستعار (عليه السلام) "لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها بالنعم، وحذّر منه حثًّا على تقييدها بالشكر، ونبّه على وجوب ذلك الحذر بقوله (فما كلُّ ... إلى آخره"[5].

---

1) ينظر: شعر مهيار الديلمي دراسة بلاغية: صالح كاظم صكبان عباس العبوديّ، أطروحة دكتوراه، كلية التربية/الجامعة المستنصرية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ١٥٤ .

2) سجع الحمام في حكم الإمام: ٣٧ .

3) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ٢١٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٥١، ١٤٧، ١٧٨، ٢٠٠ .

4) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٧٦/١٩ .

5) نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ، ٤٣٣/٥-٤٣٤ .

ويأتي التحذير ممزوجًا بالوعيد الذي عمل على تقويته ودعمه في حكمة قصيرة أخرى من حكم الإمام (عليه السلام) إذ يقول: "**إيَّاكَ وَالخِيَانَةَ، فإنَّها شَرُّ مَعْصِيَةٍ، وإنَّ الخَائِنَ لَمُعَذَّبٌ بالنَّارِ عَلَى خِيَانتِهِ**"[١].

فإياكَ منصوبة على التحذير بفعل محذوف وجوبًا[٢]، و"يحذف لفظ الفعل استغناءً بشواهد الحال، وذلك عندما يكون سياق الكلام سياق الطلب"[٣]، وجاء السياق الطلبيّ لغرض التحذير من أمر خطير على الإنسان أن يجتنبه وهو (الخيانة) إذ يصفها الإمام(عليه السلام) بـ(شرّ معصية) مؤكدًا هذه الحقيقة بـ(إنّ) التي أكدت مضمون الجملة وذلك بتأكيد المصير الذي سيلقاه الخائن ونهايته البائسة في قوله (عليه السلام) (لمعذب في النار) في جملة اسمية دالة على الثبوت والاستمرار، أي أن تعذيبه أمر ثابت لا مراء فيه، ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بذكر التوكيد بـ(إنّ) وإنما جاء بـ(اللام المزحلقة) التي أضفت على التأكيد بـ(إن) قوة وزيادة في المعنى، إذ إن المتلقي سيغوص في دوامة التفكير بما سيؤول إليه مصير الخائن. لقد زاوج الإمام (عليه السلام) بين تركيبين(إنشائيّ وخبريّ) على نحو بليغ ليخرج لنا هذه الدلالة الأخلاقيّة الراقية.

ولا بدّ من أن نذكر أن هذا الغرض قد نهض بدوره الدلاليّ في مواضع أخرى من قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام)[٤].

ومن الأغراض التي خرج إليها الأمر هو (التهديد) ومنه قوله (عليه السلام): "**اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ في الخَلَوَاتِ، فَإنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الحَاكِمُ**"[٥].

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٥ .

٢) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: قيس إسماعيل الأوسي (د.ط)، المكتبة الوطنية . بغداد، ١٩٨٨م: ١٣٥ .

٣) المصدر نفسه: ١٣٢ .

٤) ينظر: على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٨٧ ، ٨٨ .

٥) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٩ /٢٠٣ .

أفاد فعل الأمر (اتَّقُوا) تهديد المخاطب وتخويفه من معصية الله والانحراف عن طاعته في أوقات الخلوة والابتعاد عن الناس؛ لأن الله سبحانه "محيط بنا، ومطّلع علينا، وقد أودع كلّ واحد منا ما يسجّل عليه أعماله، فلا يمكن للعاصي أن ينكر معصيته أو يزوّر في كيفيتها بما ينجي به نفسه"[1]، وهذا ما أكدته الجملة الاسمية (فإن الشاهد ...) المسبوقة بـ(إنّ) التي تجلّى فيها معنى التهديد واضحًا .

ومما ورد فيه الأمر دالاً على التهديد والتخويف أيضًا قوله (عليه السلام): "**اسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنِهَا**"[2].

في هذه الحكمة الموجزة جعل الإمام (عليه السلام) من التهديد والتخويف محرِّكًا فعَّالاً يدفع من خلاله الإنسان للقيام بالأعمال الصالحة المفيدة في قوله (اسعوا) لأنّها كفيلة بتحريره من عذاب الله وسخطه يوم القيامة وفي ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3]، لذا يدعو (عليه السلام) الفرد المسلم بإنقاذ نفسه قبل أن (تغلق رهائنها) كناية عن انتهاء الأجل وتوقف الثواب، فجاءت الحكمة لتضع المسلم عند هذه الحقيقة مستثمرًا فيها (عليه السلام) صيغة التهديد في ذلك.

٢- النهي :

هو طلب الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام[4]، وله صيغة واحدة هي المضارع المسبوق بـ(لا) الناهية الجازمة، و(لا) "موضوعة لطلب الترك، وتختصّ بالدخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطبًا نحو ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١)، أو غائبًا نحو ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (آل عمران: ٢٨)، أو متكلّمًا نحو (لا أَرَيَنَّكَ ههنا)"[5].

---

١) أخلاق الإمام عليّ: ٥٣ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٧ .

٣) المدثر: ٣٧ .

٤) ينظر: الطراز: ١٥٦/٢ ، وعلم المعاني، دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني: ١٠١/٢.

٥) مغني اللبيب: ٢٦٢/١ .

وهذه الأداة يطلب بها ترك الفعل، ويسند إليها الفعل عن طريق المجاز؛ لأن الناهي هو المتكلم[1].

وبالنظر إلى أسلوب النهي في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) نجد أنه يأخذ دورًا واضحًا في تشخيص مواطن التصدّع في القيم الاجتماعيّة والدينيّة ومحاولة إصلاحها.

ويأتي النهي للقيام بهذا الدور بمعناه الحقيقي ولاسيما في الحكم ذات الدلالة الدينيّة التي يسعى فيها (عليه السلام) إلى ترسيخ دعائم الدين التي يجب على المسلم تطبيقها والالتزام بها كقوله (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة: "**لا تَشْتَغِلْ بالرِّزْقِ المَضْمونِ، عَنِ العَمَلِ المَفْرُوضِ**"[2].

نلحظ أن الفعل (لا تشتغل) جاء على وجه الوجوب والإلزام في مراعاة فرائض الله عزّ وجلّ، وعدم التهاون بها أو الانشغال عنها بالأعمال الدنيويّة حتى ولو كان (طلب الرزق)، فالله سبحانه بيده أرزاق العباد وقد قدّرها لهم جميعًا ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[3]، ولا يستطيع العبد أن يتحكم برزقه وعطائه إلاّ بإذن الله ومشيئته وحكمه، وهذا ما نصّ عليه تعالى في كتابه الكريم قائلاً: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[4]، فالأولى بالعبد المؤمن الاهتمام بعباداته المفروضة التي تعدّ وسيلته المضمونة في تحقيق مكاسب الدنيا والآخرة.

---

١) ينظر: التعريفات: ٢٠٠ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٥ .

٣) النحل: ٧١.

٤) الرعد: ٢٦ .

ويرد النهي بدلالته الحقيقية المباشرة في حكمة أخرى من حكمه (عليه السلام) القصيرة يقول فيها: "**أَوْصِيكُمْ بالصَّلاةِ الَّتي هِيَ عَمُوْدُ الدِّيْنِ وَقِوامُ الإسْلامِ فَلا تَغْفُلُوا عَنْهَا**"[1].

ينهى الإمام (عليه السلام) في قوله (لا تغفلوا) عن إهمال الصلاة أو التغافل عنها، معللاً ذلك بقوله (عمود الدين) و(قوام الإسلام)، ومما لاشك فيه أنّ عملاً يوصف بأنّه عمود الدين وقوامه لابدّ للمسلم أن يقيّمه ويحافظ عليه بما يتلائم مع مكانته وقيمته الروحيّة والمعنويّة، ولهذا فانّ قوله (عليه السلام) (لا تغفلوا) جاء في سياق النهي المباشر عن ترك الصلاة أو إهمالها.

وفي قوله (عليه السلام): "**لا تُضَيِّع الفَرَائِضَ وتَتَّكِل عَلَى النَّوافِل**"[2].

جاء الفعل (لاتضيّع) على وجه الوجوب والإلزام في المحافظة على الفرائض العبادية المتمثّلة بـ(الصلوات) اليومية الواجبة وعدم التغافل عنها والاتكال على النوافل، فالإمام (عليه السلام) تناول في حكمته القصيرة هذه مسألة دينيّة فقهيّة تتعلّق بالواجب والمستحب، فـ(الصلاة) من الأعمال الواجبة على الإنسان، أمّا (النوافل) فهي من المستحبات، والواجب أولى من المستحب، لذا فإنّ النهي عن التهاون في (الصلاة) الواجبة والاعتماد على النوافل جاءت ملزمة لمتلقيها وغير قابلة للمخالفة أو التأويل .

ويأخذ النهي دلالته الحقيقية المباشرة في مواضع أخرى من حكمه (عليه السلام) القصيرة[3].

وقد يخرج من هذا الأسلوب دلالات بديلة عن معناه الحقيقي يُستدل عليها من السياق والقرائن، كالدعاء، والالتماس، والتمني، والتهديد، والتحقير، والإرشاد[4]. ومن

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٧١/١٠ .

٢) المصدر نفسه: ٤٣٣/٩ .

٣) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٠، وسجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٦، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٤٤٠/٩، ٤٥٦ .

٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٤٤/٣، والأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٦.١٥ .

أهم الأغراض التي وردت في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) هو (النصح والإرشاد)، ولعلّ ما ينطوي عليه أسلوب النهي من قوة في الحثّ على ترك الفعل جعله متوائمًا مع غرض النصح والإرشاد، إذ إن الإمام (عليه السلام) يهدف من ورائه إلى السمو بالنفس الإنسانيّة نحو الكمال والفضيلة، ولتجسيد ذلك نقرأ له قوله (عليه السلام): "**سِرُّكَ دَمَكَ، فلاَ تَجْرِيَنَّهُ إلاّ في أوْدَاجِكَ**"[1].

يُسخّر الإمام (عليه السلام) أسلوب النهي لينصح الإنسان بحفظ أسراره، مفتتحًا حكمته القصيرة بجملة اسمية تتجّلى فيها قدرة التشبيه واضحة في إبراز المعنى وتعميقه في النفس، فأسرار الإنسان كدمه الذي يجري في عروقه، ووجه الشبه بينهما أن مكان الدم الطبيعي هو في داخل جسد الإنسان، وخروجه يؤدي به إلى فساده، وكذلك الحال في الحفاظ على الأسرار، فإن خروجها يؤدي إلى مشقة الإنسان وهلاكه، فجاءت الصورة التشبيهيّة متآزرة مع أسلوب النهي في قول الإمام عليّ (عليه السلام) (لا تجرينّه) في نصح المخاطب وإرشاده .

وفي حكمة أخرى يقول (عليه السلام): "**لا تَسْتَشِرِ الكَذَّابَ فإنَّهُ كالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عليكَ البعيدَ ويُبَعِّدُ عليكَ القريبَ**"[2].

أفادت صيغة النهي (لا تستشر) معنى النصح الذي يقدّمه الإمام (عليه السلام) للمخاطب، ناصحًا إياه بترك مشاورة الكذّاب والاستعانة به في الوصول إلى حقائق الأمور وصوابها؛ لأنّه (كالسراب) ووجه الشبه بينهما هو تزييف الحقائق وتحريفها، فهو (يقرّب البعيد) و(يبعّد القريب) فجاء التضاد بأروع صوره في التساوي بين الأشياء عند الكذّاب فالبعيد والقريب عنده واحد .

ويأتي أسلوب النهي حاملاً دلالة النصح والإرشاد في قوله (عليه السلام): "**لاَ تَعْمَلْ بِالخَدِيْعَةِ، فإنّها خُلُقٌ لَئيمٌ**"[3].

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٣٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٥ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٨ .

ورد النهي في هذه الحكمة ليضع الإنسان عند صفة مقيتة ينصح الإمام (عليه السلام) بالابتعاد عنها في قوله (لا تعمل)، فاللؤم والخداع من الصفات الخلقيّة التي لا تنسجم مع أخلاقيات المسلم وسلوكه، ويعلّل (عليه السلام) أسباب النهي عن مثل هذا السلوك في الجملة الخبريّة (فإنها خلق لئيم) مؤكدًا المعنى بـ(إنّ) لتأخذ النصيحة بعدًا مؤثّرًا يرسخها في ذهن المتلقّي، وينهض غرض النصح والإرشاد بدوره الإصلاحيّ في حكم قصيرة أخرى من حكمه (عليه السلام)[1].

ويخرج أسلوب النهي في حكم الإمام (عليه السلام) إلى غرض (التحذير) ومما ورد دالاً على هذا المعنى قوله: "**لا تُعَوِّدْ نفْسك الغِيْبَةَ، فإنَّ مُعْتَادَهَا عَظِيْمُ الجُرْمِ**"[2].

والغيبة "ذكر المؤمن المعين بما يكره، سواء أكان ذلك في خَلْقه أو في خُلُقه أو مختصاته"[3]. وهي من الصفات الذميمة التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها عباده المؤمنين في نصّ قرآنيّ صريح يقول فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[4]، لذا يستثمر (عليه السلام) صيغة النهي في قوله (لا تُعوّد) ليحذّر من خلالها المؤمنين من هذا السلوك الخطير، جاعلاً من الجملة الاسميّة في دلالتها الثبوتية (فإنّ معتادها ...) سندًا منطقيًّا ينطلق منه في تحذيره هذا، مؤكداً على أن هذا الجرم ثابت وعظيم لمن تعوّد على التعريض بالمؤمنين.

---

١) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٨، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٥٠ ، ١٨١ ، ١٨١ ، ١٨٥ ،١٨٦، ١٨٧ ، ١٩٢، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠ /٤٧ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٣٦٩ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٩ .

٣) أخلاق أهل البيت: ١٤٨ .

٤) الحجرات: ١٢ .

وفي حكمة قصيرة أخرى يقول (عليه السلام): "**لا تفْرَحْ بِسَقْطَةِ غيْرِكَ، فإنّكَ لاَ تدْري ما تَتَصَرَّفُ الأيّامُ بِكَ**"[١].

أفاد أسلوب النهي هنا تحذير المخاطب من الشماتة بالآخرين والتشفّي بهم أوقات المحن والمصائب، وليأخذ هذا التحذير بعدًا دلاليًّا مؤثّرًا، جاءت الجملة الخبريّة (فإنك لا تدري ...) وهي جملة اسميّة تحمل دلالة الثبوت في المعنى لتذكر الإنسان بحقيقة الحياة الخادعة، وأحوالها المتقلّبة، فالمصائب والبلايا دول بين الناس، ولا يعرف الإنسان ما تخبئ له الأيام .

ونلحظ ورود غرض التحذير في حكم كثيرة أخرى من قصار حكم الإمام (عليه السلام)[٢].

ومن الاستعمالات المجازيّة لأسلوب النهي خروجه إلى معنى التوبيخ في قوله (عليه السلام): "**لاَ تتَبِعَنَّ عُيُوبَ النَّاسِ فإنَّ لك عُيُوبًا إنْ عَقَلْتَ مَا يَشْغَلُكَ أنْ تَعيبَ أحدًا**"[٣].

يفصح السياق عن معنى التوبيخ الذي يوجهه الإمام (عليه السلام) لمن يتتبع عيوب الناس ويترصد زلاتهم، ويأتي اتّصال صيغة النهي (لا تتبعنّ) بنون التوكيد الثقيلة ليعمل على دعم المعنى وترسيخه بما لا يقبل الشكّ أو التردّد، فلكلِّ إنسان عيوبه وأخطاؤه التي تشكّل معرفته لها معرفة حقيقية سببًا كافيًا يكفّه عن عيوب الناس وأخطائهم.

ويستثمر (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى صيغة النهي الدالة على التوبيخ في توبيخ المذنبين والمخطئين الذين يتناسون أنفسهم وشياطينهم التي

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٨ .

٢) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٣، وسجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٩، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٤٥٦، ٤٣٦ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٢ .

أغوتهم، وسوّلت لهم الذنوب إذ يقول: "**لاَ تَحْمِلُوا ذُنُوبِكُمْ وخَطَايَاكُمْ علـى اللهِ، وتَذَرُوا أنفسَكُم والشَّيْطانَ**"(١).

فقد عبّر الإمام (عليه السلام) عن التوبيخ بواسطة أسلوب النهي (لا تحملوا) جاعلاً منه وسيلة مثمرة في ردع المذنبين والمخطئين عن سلوكهم السيئ .

ويستعمل الإمام (عليه السلام) صيغة النهي في (الحثّ) على الأعمال الصالحة والترغيب فيها إذ يقول: "**لاَ يُزْهِدَنَّكَ فِي المَعْرُوْفِ مَنْ لا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَم يَسْتَمْتع بِشَيْءٍ مِنْهُ**"(٢).

جاءت صيغة النهي (لا يزهدنّك) وقد اتصل بها نون التوكيد الثقيلة لتوكيد الحثّ والترغيب في استدامة صنائع المعروف والمواظبة عليها، من دون المبالاة في من لم يكن أهلاً لذلك، فالخير أو المعروف من الأعمال التي يحبّها الله سبحانه وتعالى، ويجازي عليها عباده بالحُبِّ والإيثار، لذا يحثّ (عليه السلام) المسلمين على الإقدام عليه والعمل به من دون الاكتراث بالعثرات والعوائق .

وفي قوله (عليه السلام): "**لا تَسْتَحِ مِنْ إعْطَاءِ القَلِيلِ، فَإنَّ الحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ**"(٣).

وردت صيغة النهي (لا تستحِ) ترغيبًا بمساعدة الفقراء والمحتاجين، التي يستقطب إليها الإمام (عليه السلام) المسلمين بقوله (فإنّ الحرمان) مؤكدًا المعنى بـ(إنّ) زيادة في الحثّ والترغيب، فمساعدة المحتاج . وان كانت قليلة . فهي أفضل من الحرمان لأنّها تسهم في سدِّ حاجته بقدر الإمكان، والله يبارك لمن يشاء، وهو تعالى "يراقب الجميع فمن سعى بمسعى كريم كافأه أحسن الجزاء ومن بخل أو تعطّل أحوجه إلى ذلك ليجد ألم الردّ وصعوبة الجَبْه والردّ"(٤).

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٢ .

٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/١٩١ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٣٦٩ .

٤) أخلاق الإمام علي: ٢٩٠ .

٣- الاستفهام :

هو استعلام ما في ضمير المخاطب وقيل هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإنْ كانت تلك الصورة متعلقة بوقوع نسبة بين شيئين فحصولها هو التصديق وإلّا هو التصوّر[١].

ويعرف البلاغيون الاستفهام على أنَّه "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل"[٢].

فهو أسلوب لغويّ يراد به "طلب الفهم والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم"[٣]، ويعدّ أحد أساليب الإنشاء الطلبيّ في الجملة العربية سواء كان لهدف محدّد ومباشر أم كان لتصور إيحائّي جماليّ غير مباشر عند المتكلم، فالاستفهام قد لا يبحث فيه المتكلم عن إجابة محددة، وإنما يهدف إلى تصور ما يتحدّث عنه فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتى، ويكون بواسطة أدوات سميت بأدوات الاستفهام، تستعمل في أقسامه، وأدوات الاستفهام هي: (الهمزة، وهل) وهما حرفان، و(ما، ومَن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان) وهي أسماء.

ومن أغراض الاستفهام المجازية الواردة في قصار حكم الأمام عليّ (عليه السلام) قوله: "**أَلا تائبٌ مِنْ خَطِيئتِهِ قَبْلَ حُضُورِ مَنِيَّتِهِ**"[٤].

استعمل الإمام (عليه السلام) الاستفهام بالهمزة الداخلة على حرف النفي (لا) - وهي نافية للجنس . مدخلاً لتأكيد حقيقة النهاية الحتمية (الموت) ولتأكيد جدلية الموت لا الحياة، واختلف العلماء في (ألا) أهي مركبة أم بسيطة، ويرى صاحب كتاب الجنى الداني أنها متكونة من همزة الاستفهام و(لا) النافية للجنس فلا تعدّ

١) ينظر: التعريفات: ١٧ .

٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/١٨١ .

٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، ط١، دار القلم . دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ١/٢٥٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٨ .

حرفًا واحدًا بل حرفين[١]، ومن الأغراض التي تخرج إليها (ألا) المركبة هي: النفي، والتمني، والتوبيخ[٢]، ومما ورد في حكمه (عليه السلام) من هذه الأغراض هو التوبيخ فقط، والتوبيخ: هو التهديد والتأنيب واللوم[٣] .

ففي حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة وردت الهمزة دالة على التوبيخ، والذي خرجها إلى هذه الدلالة هو السياق الذي وردت فيه، إذ إن الإمام (عليه السلام) يوبّخ الذين لا يتعظون من الموت، بوصفه خير واعظ، ومما دلّل على خروج الهمزة إلى هذا المعنى أيضًا أنها دخلت على (لا) النافية للجنس، وهذا النفي شمل جنس غير التائبين، وهم كثر، وغير مبالين بالتوبة، وقد شغلتهم الدنيا عن ذكر الآخرة .

وفي قوله (عليه السلام): "**ألاَ مُنْتَبِهٌ مِنْ رَقْدَتِهِ قَبْلَ حِيْنِ مَنِيَّتِهِ**"[٤].

خرجت الهمزة إلى معنى التوبيخ أيضًا، فهو (عليه السلام) يوبّخ الغافلين عن سيئاتهم وأعمالهم غير المرضية لله، وينبههم بذكر الموت قبل حين أجله، ونلاحظ أيضًا دخول (لا) النافية للجنس بعد الاستفهام بالهمزة، مما دلّل على قلة المنتبهين في الدنيا .

ويأتي التوبيخ ممزوجًا بالإرشاد في حكمة أخرى من حكمه (عليه السلام) القصيرة يقول فيها: "**كَيْفَ تَبْقَى عَلى حَالَتِكَ والدَّهْرُ مُسْرِعٌ فِي إحَالَتِكَ**"[٥].

دلّ اسم الاستفهام (كيف) على (التوبيخ والإرشاد)، إذ إن هذه الدلالة تولّدت عن طريق السياق، فالذي نستشفه أن الإمام عليّ (عليه السلام)، لا يرضى عن الذين لا يسعون في تطوير أنفسهم نحو السمو بالعلم والخير والأخلاق الحسنة الفاضلة، ومعرفة أحكام الله سبحانه وتعالى، ويعطي (عليه السلام) تعليلاً بواسطة (الواو) الحالية التي من معانيها أن تكون بمعنى (إذ)[٦] وهو تعليل ذو بلاغة عالية،

---

١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٣ .

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٤ .

٣) ينظر: لسان العرب، مادة (وبخ) .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٩ .

٥) المصدر نفسه: ٣٩٢ .

٦) ينظر: حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ(ت٣٤٠هـ)، تحقيق:

هو أن الدهر أو الزمن في سرعته متجه إلى نقل من لا يجدّ في عمله في الدنيا، إلى عالم آخر لا ينفع فيه إلاّ ما كسب في الدنيا من الخير، ويضرّ معه ما اكتسب من الإثم فيها .

ولنتأمل قوله (عليه السلام) في حكمته القصيرة: "**هَلْ يَدْفَعُ عَنْكُمُ الأقَارِبُ أو تَنْفَعُكُمُ النَّوَاحِبُ**"(١).

أفادت (هل) هنا معنى الاستفهام الذي أشرب معنى النفي، لأن (هل) تقرير لفعل ينفيه عن المخاطب(٢)، فالمخاطب يعلم أن الأقارب لا يدفعون الموت إذا أقبل، ويعلمون أن النواحب لا تنفع إذا توفي أحد المقربين، فجاءت حكمته (عليه السلام) تبصيرًا للناس وإيقاظًا لهم .

وفي قوله (عليه السلام): "**هَلْ يَنْتَظِرُ أهْلَ غَضَاضَةِ الشَّبَابِ إلاَّ حَوَاني الهَرَم**"(٣).

خرجت (هل) إلى معنى النفي أيضا، والذي خرج (هل) إلى معنى النفي (إلاّ) التي أفادت الحصر والقصر، والمعنى: لا ينتظر أهل غضاضة الشباب إلا حواني الهرم، إذ إن هؤلاء الشباب لا بدّ لهم أن يهرموا وتتحني ظهورهم. ويسمى هذا النوع من الاستفهام (استفهام إنكار) والمعنى فيه على أن ما بعد الأداة منفي، ولذلك تصحبه (إلاّ)(٤).

أما قول الإمام عليّ (عليه السلام): "**هَلْ مِنْ خَلاصٍ أوْ مَنَاصٍ أوْ مَلاذٍ أوْ مَعَاذٍ أوْ قَرَارٍ أوْ مَجَازٍ**"(٥).

فقد دلّت فيه (هل) على التمني، وكأن هذه الحكمة لسان حال المقصر في أداء واجباته، فيتمنى في يوم الحشر أن يكون له ملجأ أو مفر أو ملاذ أو أي شيء

علي توفيق الحمد، ط١، دار الأمل . الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٣٦ .

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٠ .

٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤٢ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٠ .

٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/١٨٥ .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٠ .

يهتدي إليه، ولكن هذا التمني لا يتحقق؛ فلا مفر من عذاب الله وعقابه يوم الجزاء والحساب.

ومن الأغراض المجازية الأخرى التي خرج إليها الاستفهام في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة (التعجب) وفي ذلك قوله (عليه السلام): **"مَا بَالُكُمْ تُأمِّلونَ مَا لاَ تُدْرِكُونَهُ، وَتَجْمَعُونَ مَا لاَ تَأْكُلونَهُ، وَتَبْنُونَ مَا لاَ تَسْكُنُونَهُ"**[1].

خرجت (ما) الاستفهاميّة إلى معنى مجازيّ وهو التعجّب، لدلالة السياق عليها، فالإمام عليّ (عليه السلام) يتعجب من عقول بعض الناس الذين يلههم الأمل في الدنيا، وينسون الآخرة ونعيمها الأبديّ، إذ إنّهم يجمعون من المال، ويبنون القصور الفخمة، وهم زائلون، ناسين أو متناسين العمل لآخرتهم . والذي عزّز هذه الدلالة لفظ (البال) إذ إن من معانيه "بال النفس: وهو الاكتراث"[2]، وهذا يعني أن الإمام (عليه السلام) تعجّب من عدم اكتراثهم، ولهذا لم يقل: (ما لكم .. لا)، من غير كلمة (بالكم) لأنّها لا تعطي دلالة الاكتراث .

ومن دلالة الاستفهام على التعجب قوله (عليه السلام): **"مَا لابْنِ آدَمَ والفَخْرَ؟ وإنَّما أوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وآخِرُهُ جِيْفَةٌ، لاَ يَرْزِقُ نَفْسَهُ وَلاَ يَدْفَعُ حَتْفَهُ"**[3] .

يتعجب الإمام عليّ (عليه السلام) من الذين يفتخرون بأنفسهم، لأنّهم لا يعلمون حقيقتهم الماديّة، فأولهم نطفة، وبعد الموت جيفة، إذ إنهم لا حول ولا قوة لهم، ولذلك خصّهم بنفي الرزق لأنفسهم، ودفع الموت عنها. وهذا السياق أكسب (ما) الاستفهاميّة هذه الدلالة .

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: **"عَجِبْتُ لِمَنْ يَعْلَمُ أنَّ لِلأعْمَالِ جَزَاءً كَيْفَ لا يُحْسِنُ عَمَلَهُ"** [4].

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٨١ .

٢) العين: مادة (بول) .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢١٩ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم:٢٦٢.

خرجت (كيف) إلى معنى التعجّب، إذ دلّ ما تقدّم من الحكمة على ذلك، وهو سبق اسم الاستفهام بالفعل (عجبت) الذي عبّر عن اندهاش الإمام (عليه السلام) ممّن يعلم أن الله يجازي عباده على ما قدّموا في حياتهم الدنيا من أعمال ولا يعمل صالحًا؛ فإن الله جلّ جلاله جعل الجنة ملاذًا آمنًا للمحسنيين، وعكس ذلك النار التي أعدّها الله تعالى عقابًا للمذنبين وفي ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[1].

ويأخذ غرض التذكير والتنبيه حيزًا ملموسًا في قصار حكم الإمام (عليه السلام)، نلمسه في قوله: "**أَيْنَ تَتِيهُونَ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَعَلامَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الصِّدْقِ وَأَلسِنَةُ الحَقِّ**"[2].

حشد الإمام عليّ (عليه السلام) مجموعة من أدوات الاستفهام، وهي (أين مرتين، وأنى، وعلام) لكي ينبّه على أحقية أهل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم التي أوجبها الله عزّ وجلّ بالمودة لهم وموالاتهم، ولذلك ينبّه أنهم يتيهون، ولا يعرفون أين يأتون ؟، ثم انتقل من السؤال بـ(أين) إلى الحال بـ(أنّى)، ومن ثم انتقل إلى السؤال بـ(ما) المسبوقة بحرف الجر (على)، وهذا الانتقال خلق جوًّا معتمًا عند التاركين لأهل البيت لأنّه شمل المكان والزمان، وهذه الشمولية لم تترك لهؤلاء سبيلاً يلجؤون إليه، وانتقص بعد ذلك من المخالفين بسؤاله عنهم بـ(ما) التي تدلّ على غير العاقل، لأنّهم لا يعقلون فضله وأهل بيته، فهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً .

وترد (أين) الاستفهامية في حكم الأمام (عليه السلام) القصيرة، في مواضع التأمل، وأخذ العبرة، وفي أغلب ما استعملت في هذا المعنى[3]، وفي ذلك يقول (عليه السلام): "**أَيْنَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ، وَتُبَّعُ وَحِمْيَرُ**"[4]، وفي حكمة أخرى يقول: "**أَيْنَ**

---

١) الرعد: ٣٥.

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٢.

٣) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ .

٤) المصدر نفسه: ١٠٢ .

مَـنْ كَـانَ أطْـوَلَ مِـنْكُمْ أعمـارًا، وأعظـمَ آثـارًا"[١]،وكـذلك قولـه (عليـه السـلام): "**أَيْـنَ الجَبابِرَةُ وَأَبْناءُ الجَبابِرَةِ**" [٢].

ويعدّ هذا المعنى الذي أضفاه الإمام عليّ (عليه السلام) سمة أسلوبية، أكسبت نصـوص الحكـم أبعـادًا مـن التأمـل والغـوص فـي عمـق التـاريخ، وتصـوّر مـا حـلّ بالسابقين من الأشخاص والأمم، وكأن الإمام (عليه السلام) قد تناص مع الكثير من الأحداث والشخصيات التأريخية ليخرج بدرسٍ أخلاقيّ هو العبرة لمن اعتبر .

٤- النداء :

النداء هو: "طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً"[٣] ، وتتميز صيغة النداء بأنّها صيغة مزدوجة الوضع من حيث وجود حرف يدلّ على طلب الإقبال وفي الوقت نفسه يكون هذا الطلب ناتجًا عن تحمّل الحرف لمعنى الفعل (أدعوا)[٤].

وحروف النداء هي: " يا، وأيا، وهيا، وآ، وأي، والهمزة"[٥]، ويعدّ النداء من الأساليب التي قلّت نسبة ورودها في حكم الإمام عليّ (عليه السلام)، ويكاد يقتصر ما ورد منه في حكمه (عليه السلام) على استعمال الأداة (يا) وهي أم أدوات النداء فهي "تستعمل في جميع ضروب المناديات من: مندوب ومتعجب منه، ومستغاث به وغير ذلك، قريباً كان أو بعيداً"[٦]، والنداء على الرغم من قلة شيوعه في حكم الإمام

---

١) المصدر نفسه: ١٠٣ .

٢) المصدر نفسه: ١٠٢ .

٣) شرح التلخيص: كمال الدين بن محمد البابرتي(ت٧٨٦هـ)، تحقيق: محمد مصطفى رمضان صوفيه، (د.ط)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع . طرابلس،١٣٩٢هـ/١٦٨٣م: ٣٦٧ .

٤) ينظر: جدلية الإفراد والتركيب: محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية، لونجمان . القاهرة، ١٩٩٥م: ٢٠٠ .

٥) معاني النحو: ٢٧٥/٤ .

٦) المقرّب: ١٧٥/١ .

(عليه السلام) القصيرة إذا ما قورن بأساليب الإنشاء الأخرى إلا أنَّه أنطوى على دلالاتٍ ومعانٍ قيّمة لها أثرها الفاعل في توجيه المخاطب وارشاده.

ومن اللافت للنظر أنه ورد في حكمه (عليه السلام) النداء على وفق تركيب (يا أيها الناس) في أكثر من موضع[1]، ولنقرأ له (عليه السلام) النصّ الآتي: "**أَيُّهَا النَّاس إيّاكُمْ وَحُبَّ الدُّنْيَا فَإنَّها رَأسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ وَبابُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَقِرانُ كُلِّ فِتْنَةٍ وَدَاعِي كُلِّ رَزِيَّةٍ**"[2] .

والتقدير (يا أيها النّاس)، وهو خطاب يشمل النّاس جميعهم، مما ناسب دور الحكمة وأهدافها الإصلاحية الموجهة إلى كافة البشر على اختلاف أجناسهم، وأزمانهم، وأمكنتهم، ونلاحظ أنّ النداء جاء في سياق التنبيه الموجه إلى المخاطبين وتحذيرهم من مكائد الدنيا وغرورها، وهذا ما نلمسه في صيغة الأمر (إياك) المنصوبة على التحذير بفعل محذوف وجوبًا[3]، ويعلّل الإمام (عليه السلام) لهذا الأمر بـ(إنَّ) التي تفيد التأكيد لبيان صفات الدنيا السيئة، ذلك أنّ النّاس يميلون إلى الدنيا كلّ الميل، وهو تأكيد جاء متناسبًا مع التأكيد الذي يتضمنه النداء بـ(يا أيها)، "لأنّ فيه أوجهًا من التوكيد وأسبابا من المبالغة منها: ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرج من الإبهام في (أي) إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد"[4]، فجاء التأكيد ليرسخ صفات الدنيا ومساؤها التي ذكرها الله سبحانه وتعالى وبيّنها وحذّر منها في عدة آيات من كتابه الكريم منها قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [5]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا

---

1) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٤٤، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٢٦٩، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/ ٤٠، ٧٣، ٥٢٧، ٦٤١، والمصدر نفسه: ١٠/٣٥، ٣٨، ١١٢، ١٩١، ٢١٠، ٢٢١، ٣٧١، ٤١١ .

2) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٨٨/٩ .

3) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ١٣٥ .

4) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطيّ(ت٩١١هـ)، ط١، دار الفكر . لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٦٩م: ٢٢٣/٢ .

5) آل عمران: ١٨٥.

وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [1]، في أذهان الناس ونفوسهم .

ومن نداء غير العاقل نداء الدنيا، لأنّها كثيرًا ما تثير الإمام (عليه السلام) بما تفعله بالعباد، وغالبًا ما يكون خطاب الدنيا بواسطة النداء، ومما ورد من نداء الدنيا في حكم الإمام (عليه السلام) قوله: "**غُرِّي يَا دُنْيَا مَنْ جَهِلَ حِيَلَكِ وَخَفِيَ عَلَيْهِ حَبَائِلُ كَيْدِكِ**"[2]، ويخاطب (عليه السلام) الدنيا في حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**يَا دُنْيَا لا تَتَعَرَّضِيْنَ لِي وَلا تَتَشَوَّقِيْنَ إليَّ وَ لا تَغُرِّيْنِي فَقَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاثًا لاَ رَجْعَةَ لِي عَلَيكِ**"[3].

نلاحظ مدى اللوعة والتوّجع اللتان يحملهما الإمام (عليه السلام) من الدنيا وبغضه لها، لأنّها لا تجلب إلا السوء لصاحبها وتشغله بطول الأمل، ونلاحظ اختلاف السياق في مخاطبة الدنيا في الحكمتين القصيرتين، إذ ورد في الأولى فعل الأمر (غرّي) للدلالة على أنّ المغرور بالدنيا هو الجاهل والمنصاع لها كل الانصياع لا تستوقفه حقيقتها، ولكن الإنسان في الحكمة الثانية هو ذات الإمام، ولذلك خاطبها (عليه السلام) بصيغة النهي التي تكررت في النصِّ القصير ثلاث مرات (لا تتعرضين، ولا تتشوقين، ولا تغرّيني)، تقريعًا لها وتنبيهًا على أنّ من يناديها هو الإمام (عليه السلام) نفسه العالم بحقيقتها وخفاياها، وجاء استعمال الفعل (لا تغرّيني) بخلاف الحكمة الأولى التي ورد فيها الفعل (غرّي) في باديء الحكمة، كون الأول مغرور واقع في حبائلها، ثم يبيّن (عليه السلام) موقفه من الدنيا في قوله (فقد طلقتك) مؤكدًا المعنى بـ(قد) التي عملت على تأكيد الفعل الماضي وتحقيقه، فموقف الإمام (عليه السلام) من الدنيا ومكائدها معروف وواضح، وأراد منه تنبيه المتلقي إلى مخاطر الدنيا ومساوئها، بوصفها لا تجلب إلا البلاء.

---

١) الأعراف: ٥١.

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٩ .

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٤٩٠/٩ .

وقد ورد في أسلوب النداء أن يأتي المنادى مضافًا ومن ذلك قوله (عليه السلام): "**يا عَبْدَ الله لا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ عَبْدٍ مُذْنِبٍ فَلَعَلَّهُ مَغْفُوْرٌ لَهُ وَلا تَأَمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيْرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهَا**[1].

ورد المنادى مضافًا في قوله (عبد الله) وقد أضيف العبد إلى أشرف اسم وهو لفظ الجلالة، وذلك لما في الإضافة من "المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن"[2]، فهو ينادي العبد وهو اسم مفرد ويريد بذلك الجمع .

وفي حين آخر لا يريد من الإضافة المجاملة واللطف، ولكن يريد منه التبكيت والزجر ومن ذلك قوله (عليه السلام): "**يا أُسَرَاءَ الرَّغْبَةِ**[3] **أقْصُرُوا**[4]،
فَإِنَّ المُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لاَ يَرْدَعُهُ إلاَّ صَرِيْفُ[5] **أنْيَابِ الحِدْثَانِ**[6]"[7].

ورد المنادى مضافًا ولكنه دلّ على التقريع، وهذا ما نستشفه من المضاف إليه في قوله (أُسراء الرغبة)، إذ استعار (عليه السلام) لفظة (أُسراء) لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبّه لها، ومن ثم يأمرهم بالكفّ عن الانعطاف لها والميل نحوها، إذ لن ينالوا من ذلك إلا الويل والهوان .

وفي حكمته (عليه السلام): "**يا أهْلَ المَعْرُفِ وَالإحْسَانِ لاَ تَمُنُّوا بِإحْسَانِكُمْ فَإنَّ الإحْسَانَ وَالمَعْرُوْفَ يُبْطِلُهُ قَبِيْحُ الامْتِنَانِ**"[8].

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٤٥ .

٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ(ت٥٣٨هـ)،(د.ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر، ١٣٨٥هـ/١٩٩٦م: ٥١٠/٢ .

٣) الرغبة: الطمع، ينظر: لسان العرب: مادة (رغب) .

٤) اقصروا: كفوا، ينظر: المصدر نفسه: مادة (قصر) .

٥) الصريف: صوت الأسنان وغيرها عند الاحتكاك، ينظر: المصدر نفسه: مادة (صرف) .

٦) الحِدثان: النوائب، ينظر: المصدر نفسه: مادة (حدث) .

٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٤٣.

٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٤٤ .

نجد أنّ المنادى ـ وهو مضاف ـ ورد في سياق التحذير من صفة سيئة وهي (المَنّ) على الآخرين بالإحسان إليهم، إذ يحذّر منها (عليه السلام) بعبارة صريحة قائلاً (لا تمنّوا) معللاً النهي بـ(إنّ) التي أفادت تأكيد المعنى وتقويته وترسيخه، فالمَنّ بالأعمال الصالحة يُبطل ثوابها عند الله تعالى فضلاً عن بطلان فائدتها عند النّاس، لأنّ مثل هذه الصفة لا تترك إلا أثرًا سيئًا يتنافى مع غاية الجميل والإحسان .

المبحث الثالث

التركيب الشرطيّ :

الشرط لغة: "إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، والجمع شروط...، والشَّرَط ، بالتحريك: العلامة، والجمع أشراط"[1].

والشرط في الاصطلاح "أسلوب لغويّ ينبني . بالتحليل . على جزأين الأول: منزّل منزلة السبب، والثاني: منزّل منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقّق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأن الثاني معلق على وجود الأول، نحو: إنْ جاء خالد جئتُ"[2].

ولهذا تتألف جملة الشرط من عبارتين لا استقلال لإحداهما عن الأخرى، فالأولى تسمى شرطًا والثانية تسمى جوابًا أو جزاء[3] .

فأسلوب الشرط قائم على تعليق جملة الجواب على جملة الشرط، وعلى أساس هذا التكامل في المعنى تقوم طبيعة الشرط، ولجملة الشرط نظام خاص يغلب إتباعه، وذلك أن تتصدر أداة الشرط وتليها عبارة الشرط ثم عبارة الجواب[4] .

وهذا ما سيجعلها . إي الأداة . ركنًا أساسيًا في توجيه التركيب الشرطي (بناءً ودلالةً)، الأمر الذي دفعني إلى استعراض أبرز التشكلات الشرطية في قصار الحكم، منطلقة من (أداة الشرط) التي وقع عليها الاختيار من قبل الإمام عليّ (عليه السلام) على التأسيس لتلك التراكيب الشرطية .

١- **مَنْ** :

وهي من أسماء الشرط الجازمة المختصة بالعاقل[1]، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ

---

١) لسان العرب: مادة (شرط) .

٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزوميّ، ط٢، دار الرائد العربي . بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٢٨٤ .

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٤ .

٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٩ .

حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2]، وهذه الأداة قد شاعت في قصار حكم الإمام (عليه السلام) شيوعًا لافتًا، ذلك أن الحكمة تخاطب دائمًا البشر، وهم المقصودون في ذلك، وهي مناسبة لأنّها للتعميم من غير تخصيص[3]، وممّا جاء في حكمه (عليه السلام) القصيرة قوله: "**مَنْ عَذُبَ لِسَانَهُ كَثُرَ إِخْوَانُهُ**"[4].

يستثمر الإمام عليّ (عليه السلام) اسلوب الشرط في تنبيه النّاس إلى ضرورة الابتعاد عن جرح الآخرين وإظهار معايبهم، ومن اللافت للنظر أن الإمام (عليه السلام) استعمل أسلوبًا بلاغيًّا جميلاً وهو خلاف المعهود، إذ ورد فعل الشرط (عَذُب) للسان والمعروف أن اللسان لا يَعذُب، بل الكلام الصادر عن اللسان، وهو نوع من أنواع المجاز المرسل "تذكر فيه الآلة ويكون المراد ما يصدر عنها"[5]، ويقصد باللسان هنا تحسين القول وتهذيبه بما يتلاءم مع الذوق الأخلاقيّ الرفيع في التعامل .

وقوله (عليه السلام) أيضًا: "**مَنْ جَهِلَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ ذَلَّ**"[6].

أفاد الشرط هنا العموم للأشخاص العاقلين، الذين يجب عليهم معرفة طريق الصواب لكي لا تزلّ أقدامهم، وتذلّ نفوسهم، وتعلّق الجواب وهو ذلّ الأنفس بسبب فعل الشرط وهو جهل موضع القدم، وعبّر عنه (عليه السلام) بالذلّ، لأنَّ السير في غير طريق الصواب يؤدي إلى الهوان والذلِّ والمشقة.

---

١) ينظر: معاني النحو: ٧٥/٤ .

٢) النساء: ١٧٢.

٣) ينظر: شرح التسهيل: لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجّياني الأندلسيّ(ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط١ ، هجر للطباعة والنشر . مصر، (د.ت): ٦٨/٤ .

٤) سجع الحمام في حكم الأمام: ٢٣٩ .

٥) فنون التصوير البياني: توفيق الفيل، ط١، ذات السلاسل . الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: ٦٣ .

٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٤٠ .

ويقول الأمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُه، لَمْ يُسْرِع بِهِ حَسَبُهُ**"[1].

تُمثّل حكمة الأمام (عليه السلام) دعوة صريحة إلى العمل الجاد والنافع، مستثمراً دلالة الشرط في ذلك، فقيمة الإنسان لا ترتبط بأية اعتبارات خارجة عن مجال جده واجتهاده كالنسب أو الحسب أو المفاخرة بالآباء والأجداد، بل هي في عمومها قائمة ومرتبطة بجهده وعمله بمختلف مستوياته المقبولة، وأشكاله المتعددة، التي لا تخالف الشرع أو العرف أو العقل، وعنوانه الاجتماعيّ لايكتمل إلا بمقدار ما يقدمه من خدمات وانجازات ينتفع بها الناس والمجتمع، وتحقق له الشرف والفضيلة[2].

ويخاطب الأمام (عليه السلام) المسلمين في حكمة أخرى يقول فيها: "**مَنْ كَثُرَتْ طَاعَتُهُ كَثُرَتْ كَرَامَتُهُ وَمَنْ كَثُرَتْ مَعْصِيَتُهُ وَجَبَتْ إهَانَتُهُ**"[3].

تكرّر أسم الشرط (من) مرتين لبيان الوسيلة التي تزيد من رصيد الفرد ومكانته عند الله سبحانه وتعالى، فالتزود بطاعة الله واجتناب معاصيه شرط لنيل العزة والكرامة والنعيم الدائم، وعكس ذلك يؤدي إلى الذلّ والهوان .

٢- إذا:

وتعدّ ظرفًا لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط، وتختصّ بالدخول على الجملة الفعلية[4]، ويرى علماء المعاني أنها تستعمل مع المتوقع وقوعه كثيرًا قال القزوينيّ (ت٧٣٩هـ): "والأصل في إذا أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه كما تقول إذا زالت الشمس آتيك ... وغلب لفظ الماضي مع إذا لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرًا إلى اللفظ" [5].

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٠٨/١٨ .

٢) ينظر: أخلاق الإمام عليّ(عليه السلام): ٣٥٤ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٦٠ .

٤) ينظر: مغني اللبيب: ١١٣/١، ومعاني النحو: ١٧٨/٢ .

٥) الإيضاح: ٨٨/١ .

ومن اللافت للنظر أن (إذا) وقعت في حكم الإمام (عليه السلام) دالة على ما كان كثير الوقوع إلاّ ما ندر، ومثال الكثير وقوعه قوله (عليه السلام): "**المُؤْمِنُ إذَا وُعِظَ ازْدَجَرَ، وإذَا حُذِّرَ حَذَرَ، وإذَا عُبِرَ اعْتَبَرَ، وإذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ، وَإذَا ظُلِمَ غَفَرَ**"[1]

تكررت (إذا) الشرطية غير الجازمة في النصّ خمس مرات لحشد مجموعة من الصفات التي ينماز بها المؤمن في هذه الحكمة، فهو كثيرًا ما يتعظ ويحذر ويعتبر ويذكر ويغفر حينما يُظلم، ولهذا دلّت (إذا) على الكثرة في وقوع الشرط .

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة أخرى من حكمه القصيرة: "**إذَا نَـزَلَ القَدَرُ بَطَلَ الحَذَرُ**"[2].

يستثمر الإمام (عليه السلام) دلالة (إذا) على المعاني الكثيرة الوقوع، والمقطوع بحصولها[3]، في تذكير الإنسان بنهايته الحتمية الأكيدة، فموت الإنسان وانقضاء اجله هو أمر واقع يتكرّر في كل يوم وفي كل لحظة، وحَذَر الإنسان قد يفيده في سائر الأمور إلاّ في (الموت) الذي قدّره الله تعالى على عباده جميعًا .

ومثال ما كان قليلاً حصوله في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة قوله: "**إذَا أَمْكَنَتْكَ الفُرْصَةُ فَانْتَهِزْهَا فَإنَّ إضَاعَةَ الفُرْصَةِ غُصَّةٌ**"[4].

دلّت (إذا) على معنى قليل حصوله ولهذا قال (عليه السلام) (أمكنتك) لأنّها لا تأتي إلا قليلاً أو مرة واحدة في العمر، وأيضًا قال (فرصة) ولم يقل (فرص) وهو ما يؤيد ندورها، ونلاحظ في النصّ التوكيد بـ(إنّ) وهو توكيد للغصة التي تحلّ في الذي يتهاون معها، وهذا التوكيد مناسب لقلة الحصول .

٣- إنْ :

ورد استعمال الشرط بالأداة (إن) في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، بوصفها أمّ أدوات الشرط[1]، جاء في الكتاب: "وزعم الخليل أنّ (إنْ) هي أم حروف

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٦ .

٢) المصدر نفسه: ١٦٢ .

٣) ينظر: معاني النحو: ٦١/٤ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٥٧ .

الجزاء فسألته، لمَ قلتَ ذلك فقال: مِنْ قِبلِ أنِّي أرى حروف الجزاء قد يتصرفْنَ فيكُنّ استفهامًا، ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء، وهذه . يقصد (إنْ) . على حال واحدة أبدًا لا تفارق المجازاة"[٢]، وغالبًا ما تستعمل في المعاني التي يحتمل وقوعها، أو مشكوك في حصولها، أو استحالة الحصول فيها[٣]، وفي ذلك يقول القزوينيّ (ت٧٣٩هـ): "إن الأصل في أن لا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه كما تقول لصاحبك أن تكرمني أكرمك وأنت لا تقطع بأنه يكرمك"[٤] ولكن ما لمسته في حكم الإمام (عليه السلام) أنّ (إنْ) كثرت في ما كان متوقعًا حصوله، وربما كان لجو الحكمة الأثر في هذه الدلالة كون الحكمة لا تخرج إلا لجانب الوعظ والتذكير والإرشاد، والحضّ على فعل الخير وترك جانب الشرّ، وهذا الحضّ ملائم لكثرة الوقوع، لأن الحكمة تنظر إلى الجانب الإيجابيّ من الحياة.

يقول الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة: "**إنْ أتَاكُمُ اللهُ بِنِعْمَةٍ فَاشْكُرُوا**"[٥].

ورد في هذه الحكمة أداة الشرط (إن)، وقد دلّت على ما هو متوقع حصوله، ففعل الشرط في قوله (إن أتاكم) متوقع حصوله من الله عزّ وجلّ، فهو عزّ شأنه ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[٦]، وهذا الإتيان متعلّق بجواب الشرط أي بالشكر، فمتى ما شكر العبد ربه زاده في الرزق، وهناك ما عزّز السهولة في الرزق، وهو فعل الشرط (أتى) لأنّ هذا الفعل يرد فيما هو سهل وغير شاق، بخلاف الفعل (جاء)

---

١) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٧٠، ٧١، ٧٢ .

٢) الكتاب: ٦٣/٣ .

٣) ينظر: معاني النحو: ٥٩/٤ .

٤) الإيضاح: ٩٦.

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤١ .

٦) المائدة: ٦٤ .

الذي يرد لما هو شاق وصعب[1]، ولهذا ناسب مجيء فعل الشرط بهذا اللفظ؛ لأن الله سبحانه لا يصعب ولا يشق عليه شيء .

ونلاحظ أن فعل الشرط ماضيًا في اللفظ، ولكنه مستقبلا في المعنى، ومجيء هذه الأفعال وإن كانت ذات دلالة مستقبلية فهي متيقّنة الحصول، وبمنزلة الماضي في التحقيق، فهي تفسير عامّ للتعبير عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية [2].

و في قول الإمام (عليه السلام): "**إنْ آمَنْتَ بِاللهِ أمِنَ مُنْقَلَبُكَ**"[3].

دلّت (إن) على معنى متحقق حصوله أيضًا؛ لأن الإيمان بالله تعالى والتوكّل عليه وعدم الإشراك به هو من أولويات المسلم، والركيزة الأساسية في سلوكه ومنهجه الإيماني، ولن يستطيع العبد أن ينال رضاه عزّ وجلّ إلا بإيمانه الصادق المطلق الذي لا يشوبه شيء .

ومما جاء قليلاً وقوعه قوله (عليه السلام): "**إنْ أَرَدْتَ قَطِيْعَةَ أَخِيْكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إليها إنْ بَدَا لَهُ ذَلكَ يَوْمًا مَا**"[4].

دلتّ (إن) الشرطية على معنى مشكوك في حصوله، وهو قليلاً ما يقع، فالإنسان بطبعه كائن اجتماعيّ ميّال لإقامة العلاقات مع الآخرين، والقطيعة منافية لهذا الطبع إلاّ ما ندر من أصحاب الأنفس الضعيفة، حتى وإن فعل ذلك، فالإمام (عليه السلام) يوصي بترك شيء أو بقية توصل إلى التفاهم في المستقبل، ثم يكرّر الإمام الأداة (إن) مرة أخرى وهي دالة هنا على معنى متحقق حصوله؛ لأنّ هذه البقية لا بدّ من أن تبدو للآخر إن أراد الطرف الأول . صاحب القطيعة . الرجوع عن فعله .

٤- لـو :

---

١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل: فاضل السامرائيّ، ط٥ ، دار عمار . عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م: ٩٧ .

٢) ينظر: معاني النحو: ٤/ ٤٧. ٤٨ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤١ .

٤) المصدر نفسه: ١٤٢ .

وتأتي لتعليق ما امتنع لامتناع شرطه، فتقتضي جملتين ماضيتين، الأولى منهما مستلزمة للثانية لأنها شرط والثانية جوابه"[1]، ويرى أهل المعاني أنَّها "للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء، كانتفاء الأكرم في قولك(لو جئتني لأكرمتك) ولذلك قيل: هي لامتناع الشيء لامتناع غيره"[2].

ومن ورودها في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) قوله: "**الرَّاضِي عَنْ نَفْسِهِ مَسْتُورٌ عَنْهُ عَيْبُهُ، وَلَوْ عَرَفَ فَضْلَ غَيْرِهِ لَسَاءَهُ مَا بِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالخُسْرَانِ**"[3].

تدور الحكمة عن الشخص الذي يرضى عن نفسه من دون تفحّص لما فيها من نقص، ولا يسعى إلى تحسين ما فيها، ولهذا وردت (لو) دالة على معنى بعيد الوقوع؛ لينبئ منذ البدء عن عدم السعي عن بعض الكمال، لا بل مجرد التفكير فيه، وهذا مستفاد من استعمال (لو) ودلالتها على هذا المعنى، فهو قد قطع منذ البدء بإطلاق لفظ (الراضي عن نفسه) بصيغة اسم الفاعل، وهي صيغة تدل على استمرارية الحدث[4]، أي أنّه متصف بهذا الوصف من غير دلالة على الانفكاك، فهذا الشخص الراضي عن نفسه لا يسوؤه ما به من النقصان لأنّه لا يعرف فضل غيره، وهذا معنى امتناع الجواب لامتناع الشرط .

وقد جاء جواب (لو) مؤكداً باللام وهذه تلحق جواب (لو) المثبت كثيرا[5]، في قوله (عليه السلام): (لساءه) أي لتأكيد الإساءة لو حصلت المعرفة بفضل غيره من الناس .

وتأتي (لو) للدلالة على التمنّي[6]، وذلك في قول الإمام (عليه السلام): "**لَوْ رَأَيْتُمُ الإحْسَانَ شَخْصًا لَرَأَيْتُمُوهُ شَكْلاً جَمِيْلاً يَفُوقُ العَالَمِينَ**"[7].

---

١) شرح التسهيل: ٩٤/٤ .

٢) الإيضاح: ١٠١ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٤ .

٤) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٥٨ .

٥) ينظر: مغني اللبيب: ٢٨٧/١ .

٦) ينظر: معاني النحو: ٧٦ .

٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣١٩ .

دخلت (لو) على الفعل الماضي المسند إلى تاء الفاعل إشارة منه (عليه السلام) إلى الذين يبخلون بأموالهم، فهو يتمنى منهم أن يروا الإحسان على شكل مادي، وفي ذلك ترغيب لهم في الإنفاق، وزيادته، فضلاً عن التأكيد في الجواب باللام، لتأكيد رؤية الإحسان على شكل رائق جميل، وإن كان مستحيلاً ذلك .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**لَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ، لَخَتَمْتَ عَلَى لِسَانِكَ**"[1] .

خرجت أداة الشرط (لو) إلى معنى التمنِّي، وهذا ما يدلّ عليه سياق الحكمة القصيرة، فالإمام (عليه السلام) يوجّه حديثه إلى من يخوض في سيرة النَّاس، وشؤونهم بالقول السيئ، ويتمنى أنْ يستطيع مثل هذا الشخص أنْ يرى ما في ميزانه من الذنوب نتيجة ذلك، لأنَّ كلّ ما يتكلم به الإنسان محاسب عليه، فجاء استخدام أداة الشرط (لو) توجيهاً للمسلم في الامتناع عن التعرّض إلى النَّاس بالكلام السيئ .

ومن هنا نجد أنَّ لجملة الشرط أثرها الفاعل في التعبير عن مضمونات الحكمة، وأهدافها الإصلاحيّة المتنوعة، بأسلوب فنيّ يعكس مهارة صاحبه اللغويّة، وإمكاناته الفكريّة المتميزة .

والجدول الآتي يبيّن نسبة ورود الجملة الشرطيّة في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة:

من	إذا	إن	لو
١٧٣٣	٢٠٣	١٣٧	٤٨
المجموع: ٢٢٢٠	**النسبة المئوية**: ١٦%		

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٠٧ .

المبحث الرابع

الأساليب التركيبية في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام):

١- الفصل والوصل :

يعدّ الفصل والوصل من الأساليب المهمة التي استأثرت بعناية البلاغيين واهتمامهم حتى قيل إن البلاغة هي معرفة الفصل والوصل[١]، وذلك لدقته وغموضه، فقد وصفه الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) بقوله: "ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه أنّه خفيّ وغامض، دقيق وصعب إلاّ وعِلمُ هذا الباب أغمضُ وأَخْفَى،

١) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨/١ .

وأدقُّ وأصعب"[١]. وعُدّ من أسرار البلاغة، وأحد أهم فنونها ومسالكها التي لا تأتي إلا لمن طُبعوا على البلاغة، وأوتوا حظًّا من المعرفة في ذوق الكلام[٢]، و"الفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على بعض"[٣].

ويقصر علماء المعاني دلالة الوصل على عطف الجمل بـ(الواو) من دون غيرها من حروف العطف؛ لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويتطلّب فهم العطف بها دقة في الإدراك، وهي تدلّ على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من حروف العطف فتفيد مع الاشتراك معانٍ أخرى[٤].

ولكلٍّ من الفصل والوصل مواضع خاصة، تدعو الحاجة إليها، ويقتضيها المقام، ومما نجده في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) منها قوله: "**الحَقُّ يُنْجِي، والباطِلُ يُرْدِي**"[٥].

جاء توافق الجملتين الخبريتين تركيبًا في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة ليسوّغ الوصل بينهما بواسطة (الواو)، إذ يرى البلاغيون أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين خبرًا أو إنشاءً، لفظًا ومعنى[٦]، فالحكمة تفيد توجيه المخاطب وإرشاده إلى أمرين معًا، على الدرجة نفسها من الأهمية الدينيّة والأخلاقيّة وهما: أهمية الحقّ وإيجابيته، وآثار الباطل ومساوئه، فالأول (ينجي) والثاني (يردي)، وهذا التقابل جاء نتيجة الوصل الذي حققته (الواو) في ربطها بين المتضادات .

---

١) دلائل الإعجاز: ٢٣١ .

٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٢ ، وعلم المعاني (عتيق): ١٦٠ .

٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١١٨/٣ .

٤) الفاء توجب الترتيب من غير تراخٍ، و(ثم) توجبه مع التراخي، و(أو) تردد الفعل بين شيئين تجعله لأحدهما بعينه، ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٤ ، وعلم المعاني (عتيق): ١٦١ .

٥) سجع الحمام في حكم الإمام: ١١٠ .

٦) ينظر: الإيضاح: ١٤٩ .

وفي المعنى نفسه جاءت حكمة أخرى للإمام (عليه السلام) يقول فيها: "**إنَّ الحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ**[1]**، وإنَّ البَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ**"[2].

نلاحظ أن جملة (إنّ الباطل ...) معطوفة على جملة (إن الحقّ ...)، والعلة في ذلك توافق الجملتين الخبريتين لفظًا (تركيبًا) ومعنى، وعمل الوصل هنا على الجمع بين صورتين، صورة الحق (الثقيل) لصعوبته على من يكون عليه، ويصفه الإمام (عليه السلام) بـ(المريء) لاستلزامه للراحة في الآخرة، وصورة الباطل (الخفيف) لسهولته على أهله، ويصفه الإمام (عليه السلام) بـ(الوبيء)؛ لأنّه سببًا لهلاكهم في الآخرة[3]، في إطار واحد يقف من خلاله الإنسان على أهمية الحق وعاقبته المحمودة ومغبة الباطل وعاقبته المذمومة.

وعلى وفق هذا المسوّغ للوصل تأتي حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة: "**العُقُولُ أئمَّةُ الأفْكَارِ، وَالأفْكَارُ أئِمَّةُ القُلُوبِ، والقُلُوبُ أئمَّةُ الحَواسِ والحَواسُ أئمَّةُ الأعْضاءِ**"[4].

فالجمل الخبريّة في حكمة الإمام (عليه السلام) هذه جاءت مترابطة بعضها بالبعض الآخر، ترابطًا دلاليًّا قائمًا على التوضيح والتفسير عبر نسق تصاعديّ تسلسليّ، فالعقول تودي إلى الأفكار، والأفكار إلى القلوب، والقلوب إلى الحواس، والحواس إلى الأعضاء، وقد أسهم الوصل إسهامًا فنيًا في صناعة هذه الدلالة. ولابدّ من الإشارة إلى أنَّ توافق الجمل الخبريّة توافقًا تركيبيًا جاء مسوغًا للوصل بينها في كثير من حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة[5] .

---

١) مريء: من مرأ الطعام مريئًا، أي هنيء حميد العاقبة، ينظر: لسان العرب: مادة (مرأ)، وبيء: أرض وبيئة كثيرة الوباء وهو المرض، ينظر: المصدر نفسه: مادة (وبأ) .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ٧٣ .

٣) ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٥/٥٠٦ .

٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٣١٦ .

٥) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٦٧، ٨٥، ٩٩، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٣٥، ٣٦، ٣٧ ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ونهج السعادة في مستدرك نهج

ويأتي الجمع بين الجملتين الإنشائيتين عاملاً من عوامل الوصل بينهما في مواضع كثيرة من حكمه (عليه السلام) القصيرة[1]، ومن ذلك قوله: "**لا توادُّوا الكَافرَ، ولا تُصَاحِبوا الجَاهِلَ**"[2].

إذ جاء الوصل بين الجملتين (لا توادّوا) و(لا تُصاحبوا) بـ(الواو) العاطفة لاتفاق الجملتين تركيبًا ومعنى، فالجملتان الطلبيتان جاءتا بصيغة النهي، وخرجتا إلى معنى مجازيّ يسعى فيه الإمام (عليه السلام) إلى إفادة المخاطب وتبصيره بما يحقق له الكرامة والسلامة في الدنيا والآخرة، ناصحًا إياه بتجنّب (الكافر) و(الجاهل) وصولاً إلى ذلك .

وحقّق الوصل بين الجملتين بواسطة حرف العطف (الواو) إشراك الجملتين في الحكم الإعرابيّ، فجملة (لا تصاحبوا) معطوفة على جملة (لا توادّوا)، فضلاً عن الترابط الدلاليّ الذي عمل على بيانه وتوضيحه .

وفي قوله (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**بَادِروا آجالَكُم بأعْمَالِكُم، وابْتَاعُوا مَا يَبقى لَكُم بِمَا يَزولُ عَنْكُم**"[3].

نلاحظ أنّ توافق الجملتين الطلبيتين (بادروا ...) و(ابتاعوا ...) تركيبًا ودلالةً، مسوغٌ واضحٌ للوصل بينهما بواسطة (الواو)، إذ أفاد الوصل رسم صورة واحدة يسعى من خلالها الإمام (عليه السلام) إلى توجيه المخاطب وحثّه على الأعمال الصالحة التي تحقق له السعادة والفوز برضا الله ونعيمه، والابتعاد عن الأعمال الطالحة التي

البلاغة: ٩/ ٩، ١٠، ١١، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٣١، ٣٩، ٧١، والمصدر نفسه: ١٠/١٥، ٣٢، ٦٠، ٩١، ١٠٠، ١٢٢، ١٣٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٠ .

١) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ١٣٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٧، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦١، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٢٢، ٣٤، ٤٤، ٣٧، ٤٨، ٧١، ٨٢، ١٦٩، ٢٢٢، ٢٢٩، والمصدر نفسه: ١٠/١٦، ١٧، ٧٤، ٧٧، ٩٠، ١٢٧، ١٣٤، ١٦٢، ١٧٠، ١٨٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢٣ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٦٨ .

من شأنها أن تسبب له التعاسة والخسران قبل مبادرة الموت وحلول الآجال، فجاء الوصل تجسيدًا للدلالة الواحدة التي أسهمت الجملتان الطلبيتان في بيانها وتوضيحها .

ومن المواضع التي يرد فيها الوصل أن يكون للجملة المعطوف عليها محلّ من الإعراب، وأُريدَ إشراك الثانية في ذلك الحكم الإعرابيّ[1]، ومنه قوله (عليه السلام): "**الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، وَيُجَدِدُ الآمَالَ، وَيُقَرِّبُ المَنيَّةَ وَيُبَاعِدُ الأُمْنِيَةَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصَبَ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ**"[2].

إذ وقع الوصل بين الجمل الفعلية (يخلق) و(يجدد) و(يباعد)، بحرف العطف (الواو)، ويأتي الوصل هنا ليحقق المشاركة في المحل الإعرابيّ، فهذه الجمل الفعليّة شاركت الجملة الفعليّة الأولى (يخلق الأبدان) في حكمها الإعرابيّ؛ لأنّها أخبارًا للمبتدأ (الدهر)، ولا يكون إشراك جملتين في حكم إعرابي حتى يكون هنالك معنى يقع ذلك الإشراك فيه[3]، وهو الكشف عن ماهية الدهر وأحواله المختلفة المستلزمة لشقاء الإنسان وتعبه الدائم، ونلحظ أنّ وصلاً آخر وقع في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة، إذ جاء توافق الجملتين (من ظفر...) و (من فاته...) تركيبًا ومعنى ليسوغ الوصل بينهما، فكلتاهما جملتان شرطيتان قائمتان على اسم الشرط (مَنْ) وفعله وجوابه، فحقق الوصل هنا ترابطًا دلاليًا أسهم في توضيح المعنى وتجسيده .

وشبيه الحكمة السابقة قوله (عليه السلام): "**سُوءُ الظَّنِ يَدْوِي القُلُوب، ويَتَّهِم المَأمُون، وَيُوحِشُ المُسْتَأْنِس، ويُغَيِّرُ مَوَدَّةَ الإِخْوَان**"[4].

---

١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٤، واللغة في الدرس البلاغي: عدنان عبد الكريم جمعة، ط١ ، دار السياب ـ لندن، ٢٠٠٨م: ١٩٩ .

٢) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٣٧٤/١٨ .

٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٤ ، والمثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية: عبد الهادي عبد الرحمن الشاويّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ١١١ .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٣٦.

فالجمل الفعليّة (يدوي، يتّهم، يوحش، يغيّر) جاءت مترابطة بواسطة (الواو) التي أفادت المشاركة في الدلالة والمحل الإعرابيّ، إذ شاركت الجمل (يتّهم، يوحش، يغيّر) جملة (يدوي) الواقعة خبرًا للمبتدأ (سوء الظن) في حكمها الإعرابيّ، وجاءت هذه المشاركة في سياق التحذير من صفة سيئة وخطيرة لها أثرها الفاعل في نسف حبال المودة والتآلف بين النّاس وهي (سوء الظن).

ومن الجدير بالذكر أنَّ الوصل من السمات الإسلوبية الغالبة على حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، ولعلّ السرّ في ذلك هو انّها قائمة على فكرة واحدة مكونة من قضايا متعددة ومن مجموع هذه القضايا المترابطة تقوم هذه الفكرة الواحدة، يقدّمها الإمام (عليه السلام) للمتلقي واعضًا، وناصحًا، ومرشدًا، وبذلك يأتي دور الوصل في تعميق هذا الترابط بما يملكه من خاصية الجمع والمشاركة .

أما الفصل: وهو ترك وصل بعض الجمل على بعض، فيرد في قصار حكم الإمام (عليه السلام) لأسباب ومسوّغات توجب ترك الوصل فيها، كقوله (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة: "**الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ**"[١].

جاء الجزء الثاني من الحكمة (صبر على...) حتى نهاية الحكمة، مستأنف لسؤال مقدّر يُستدلّ عليه من قوله (عليه السلام) الصبر صبران، فكأنّه قيل: وما هما؟ فيأتي الجواب عن ذلك في قوله (صبر على ما تكره ...)، فجاءت الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى لذا وجب الفصل بينهما، وهو ما اصطلح عليه بلاغيًا بـ(شبه كمال الاتصال)[٢].

وفي قوله (عليه السلام): "**لِلمُنافِقِ ثَلاَثُ عَلامَاتٍ: يُخالِفُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ، وَقَوْلُهُ فِعْلَهُ، وَعَلانِيَتُهُ سَرِيرَتَهُ**"[٣].

---

١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٣٥٢/١٨ .

٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٢٢/٣ .

٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٢٧/١٠.

فصلت جملة (يخالف لسانه...) حتى نهاية الحكمة، عن الجملة التي قبلها لشبه كمال الاتصال؛ ذلك أنّها جاءت جوابًا عن سؤال افتراضيّ هو: ما هي؟ وهي أيضًا أفادت الإيضاح والتفصيل في بيان علامات المنافق وطبيعته المخادعة المتلونة، ممّا أوجب الفصل بينهما .

وهذا ما نجده في حكمة أخرى يجسّد فيها (عليه السلام) علامات المؤمن قائلاً: "**لِلمُؤْمِنِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: العِلْمُ باللهِ؛ وَمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ يَكْرَهُ**"[1].

فقد جاء قوله (عليه السلام) (العلم بالله...) تركيبًا استئنافيًّا وقع جوابًا لسؤال مقدر، يوحي إليه سياق الجملة الأولى (للمؤمن ثلاث علامات) فما هي هذه العلامات؟، ولأن "من دواعي فصل كلام عن كلام آخر سابق وجود سؤال مقدر غير متجلٍّ في سطح الخطاب"[2]، وجب الفصل بين الجملتين في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة .

وقد يقع الفصل بين الجملتين إذا كان بينهما اتحاد تام، ذلك أن تكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى أو بيانًا لها أو بدلاً منها، وهو ما يسمّى بـ(كمال الاتصال)[3]. كقوله (عليه السلام) في حكمة قصيرة: "**اعْرِفُوا الحَقَّ لمن عرَفَهُ لكم صغيرًا كانَ أو كبيرًا، وضيعًا كان أو رفيعًا**"[4].

إذ فصلت جملة (صغيرًا كان أو كبيرًا...) عن جملة (اعرفوا الحق لمن عرفه لكم)؛ لأنّها جاءت تفسيرًا لها وبيانًا، فالإمام (عليه السلام) بعد أنّ جاء على ذكر (مَنْ عرف الحقّ) عامةً وكلاً، أنتقل في الجملتين التاليتين إلى بيان صفاته، فالحق قيمة ثابتة يجب أن يراعيها الإنسان ويلتزم بها، بصرف النظر عن صفات صاحبها ومنزلته وحالته، ويأتي التضاد بما يحمله من دلالة ليجعل من المعنى وحدة مترابطة

---

١) المصدر نفسه: ٩/٩ .

٢) لسانيات النصّ، محمد الخطابيّ، ط٢ ، الدار البيضاء . المغرب، ٢٠٠٦م: ١٠٩ .

٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١١٩/٣ ، وبلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني: ١٦٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٨ .

وهذا ما نلمسه في (صغيرًا × كبيرًا) و(وضيعًا × رفيعًا)، إذ عزّز هذا التضاد من القيمة المعنويّة في ما يحمله الحق في كبرياته وصغرياته، إذ ليس هناك وسطٌ في الحق .

٢- التوكيد :

التوكيد: هو"تمكين الشيء في نفس السامع وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عمّا أنت بصدده"[١] .

وهذا يعني أنّ فائدة التوكيد تتجلّى في ترسيخ المعنى وتثبيته في نفس السامع، فهو من الوسائل اللغويّة المهمة في توجيه المخاطب وإرشاده، الأمر الذي جعله يشغل حيزًا بارزًا في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، الساعية لتصفية النفس، وتطهيرها من شوائب الشكِّ والشبهة والريبة، وغرس براعم البرِّ والخير والفضيلة. يقول الإمام (عليه السلام): "**إنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مَنْ أطاعَ اللهَ، وإنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ**"[٢].

نلحظ في الحكمة الشريفة دلالة واضحة في تأكيد الخبر، إذ جاء مؤكدًا بـ(إنَّ)، ويلجأ المتكلم إلى تأكيد الخبر إذا كان المتلقي مترددًا في الحكم ، فيؤكد حينئذ الكلام الملقى إليه لتقوية الحكم وتمكينه في نفسه، ويسمى هذا الضرب من التوكيد (طلبياً)[٣].

فالمتلقي في درجة من التردد في أن يكون وليًّا للرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في طاعته لله والتزامه بتعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف التزامًا صادقًا وصحيحًا، لذا يؤكد (عليه السلام) حكمته الشريفة بـ(إنّ) لإزالة الشكِّ من نفوس المتلقين في أنّ ولاية الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لا تكون إلا بالتقوى والطاعة لله وحده.

---

١) الطراز: ٢/٩٤ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤٠.

٣) ينظر: المطول: ١٢٥ .

وفي المنحى نفسه ننتقل إلى حكمة قصيرة أخرى للإمام (عليه السلام) يقول فيها: "**إنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْ عَصَى اللهَ وإنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ**"[١].

فإذا كانت ولاية الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقرابته لا تتحقق إلا بالطاعة والتقوى، فأنّ خلافها يعطي حكمًا مغايرًا يبيّنه (عليه السلام) في حكمته الموجزة المؤكدة بـ(إنّ) ليقضي على الشكِّ في نفوس المتلقين ويقوي جانب التقوى على جانب النسب، إذ أنّ بعض المسلمين يعتقدون أنّهم بقربهم من الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سينالون القرب منه في الجنة، وهذا خلاف ما هو معهود في الإسلام الذي لا يفرّق بين أسود وأبيض وعربيّ وأعجميّ.

ويقول (عليه السلام) في حكمة أخرى: "**إنَّ التَّقْوَى عِصْمَةٌ لَكَ فِي حَيَاتِكَ، وَزُلْفَةٌ لَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ**"[٢].

الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة المباركة أراد أن يوضح قضية دينيّة مهمة في الإسلام وهي (التقوى)؛ ذلك أن من المخاطبين . وهم المسلمون . مَنْ كان يعتقد أن المال و شرف النسب هما العاصمان لهم في دنياهم، وأن الغني مُكرّم حتى في آخرته، ولهذا جاء التوكيد لإزالة هذا الوهم الذي هم فيه، ثم الكلام لو خلا من (إنّ) لكان المعنى قد أخذ منحًى آخر، إذ عملت على تأكيد أهمية التقوى في أنّها عصمة وزلفة .

ولنتأمل قوله (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**كَمَا أَنَّ العِلْمَ يَهْدِي المَرْءَ وَيُنْجِيْهِ كَذَلِكَ الجَهْلُ يُضِلُّهُ وَيُرْدِيهِ**"[٣]

أكّد الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة جملة (العلم يهدي ...) بـ(أن) المفتوحة الهمزة، وهي من الحروف المؤكدة للخبر تنصب الاسم وترفع الخبر، وهي فرع عن (إنّ) المكسورة[٤]، ولم يؤكد جملة (الجهل يضله) بـ(أن) إذ إن المراد تأكيد

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٢ .

٢) المصدر نفسه: ١٢٥ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٠٠ .

٤) ينظر: مغني اللبيب: ٦٢/١ .

قدرته على الهداية التي تعدّ سبيلاً للنجاة هو (العلم)، أما أن يكون الجهل سبيلاً للضلالة، فهو من باب تحصيل الحاصل ولهذا لم يؤكدها (عليه السلام) .

وفي قوله(عليه السلام): "**قَد خَاطَرَ بِنَفْسِه، مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأيِهِ**"[1]، جاء الفعل (خاطر) مؤكداً بـ(قد)، التي أفادت تأكيده وتحقيقه[2]، والمراد من حكمة الإمام (عليه السلام) الشريفة، تنبيه المسلمين على أهمية المشاورة والأخذ بآراء الآخرين وصولا إلى الصواب، والابتعاد عن الاستبداد بالرأي والتمسّك به على غير هدى وبصيرة، لأنّه يعرّض صاحبه للمخاطر التي تسوءه وتضرّه، فجاء التوكيد ليضع المستبد عند هذه الحقيقة الحتمية التي تقضي على تسلطه واستبداده في الأقوال وما يتبعها من أفعال معتقداً بصواب فعله ورجاحة عقله .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمته القصيرة: "**إنَّ الدُّنْيَا لَمُفْسِدَةُ الدِّيْنِ مُسْلِبَةُ اليَقِيْنِ وَإنَّهَا لَرَأْسُ الفِتَنِ وَأصْلُ المِحَنِ**"[3].

نلحظ أن الحكمة جاءت مؤكدة بمؤكدين، هما(إن واللام)، ويؤكد بـ(إنّ واللام) إذا كان المتلقي منكرًا للحكم الذي يُراد إلقاؤه إليه، ومعتقدًا بخلافه، ولهذا يُؤكد الكلام بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر على حسب إنكار المتلقي قوة وضعْفًا، نحو (إنّ محمدًا لقادمٌ) ويسمى هذا الضرب من توكيد الخبر (إنكاريًا)[4].

إنّ المتمعن في هذا النصّ الشريف يشاهد ملامح حركية يدور فيها النصّ كـ(السلب، والفتن، والمحن)، وهذا يضفي على جوّ الحكمة حالة من التأمّل يعجز عن إدراكها اللاهية قلوبهم والمنخدعين بالدنيا ومباهجها الزائلة، ولهذا أكّد الإمام (عليه السلام) الخبر بـ(اللام) التي تكررت في النصّ الشريف مرتين، ذلك أن المتلقي منكر الحكم جملةً وتفصيلاً، فهؤلاء الذي زيّن لهم الشيطان الدنيا، وجعلهم يغترون بها ويميلون إليها، لا يرون الأمور على حقيقتها، بل يظنون بأنّهم يجب أن يستمتعوا

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٦٣ .

٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٥٥ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٢٩ .

٤) ينظر: المطول: ١٩، وجواهر البلاغة: ٤٣ .

بهذه الدنيا متناسين بذلك حياتهم الأبديّة الأخرى، وجاء تكرار (أن واللام) في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة ليكون المتلقي على يقين من أحوال الدنيا وسماتها التي لا تجلب إلا السوء لصاحبها .

ويقول (عليه السلام) في حكمة قصيرة: "**إنَّ الحَيَاءَ وَالعِفَّةَ لَمِنْ خَلائِقِ الإيْمَانِ، وَإِنَّهُمَا لَسَجِيَّةُ الأحْرَارِ وَشِيمَةُ الأبْرَارِ**"[1].

أكّد الإمام (عليه السلام) الجملتين اللتين تقوم عليهما الحكمة بـ(إنّ واللام) ذلك أن المتلقي يعتقد خلاف ما يعتقده المتكلم في أن الحياء والعفة من خلائق الإيمان، ومن سجية الأبرار، والسبب في إنكار المتلقي هذه الأمور هو النقصان في الإيمان، وبهذا يريد الإمام (عليه السلام) تنبيه الناس إلى أهمية الحياء والعفة في إشاعة البرِّ والفضيلة بين الخلق إلى جانب تأكيده أنّهما من سمات الأحرار البارين الذين يكتمل بهم بناء المجتمع الصالح .

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة أخرى من حكمه القصيرة: "**لاَ تُمَازِحَنَّ صَدِيْقاً فَيُعَادِيَكَ وَلاَ عَدُوّاً فَيُرْدِيكَ**"[2].

ورد الفعل (تمازح) مؤكدًا بنون التوكيد الثقيلة، وتتصف النون بقدرتها على تقوية المعنى لشدتها[3]، ذلك للمبالغة والتأكيد على عدم خدش مشاعر الأصدقاء؛ لأن ذلك سيؤول إلى فقدانهم بصورة حتمية مما يؤدي إلى مضاعفات اجتماعيّة وخلق البغضاء بين المتآلفين، ونلاحظ عدم تكرار الفعل في الجملة المعطوفة في قوله (عليه السلام) (ولا عدوًّا) ذلك أنه ذكر الفعل فيما له أهمية وهو الصديق وهو المقصود بالحكم، لأن العدو متحققة عداوته بخلاف الصديق، ولهذا أكّد الإمام (عليه السلام) الفعل لغرض "تأكيد المعنى وتقويته بأقصر لفظ، وتخليص المضارع للزمن المستقبل، وتقوية الاستقبال في الأمر"[4].

---

1) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٢٦ .

2) المصدر نفسه: ٤٢٢ .

3) ينظر: الكتاب: ٥٠٩/٢ .

4) النحو الوافي: عباس حسن، ط٣، دار المعارف. مصر، (د.ت): ١٦٩/٤.

ولنقرأ للإمام عليّ (عليه السلام) حكمة أخرى مؤكّدة بنون التوكيد الثقيلة في قوله: "**لاَ تَحْقِرَنَّ صَغَائِرَ الآثَامِ فَإِنَّهَا المُوبِقَاتُ وَمَنْ أحَاطَتْ بِه مُحقرَاتُهُ أهْلَكَتْهُ**"[1].

ورد الفعل (تحقرَنّ) مؤكدًا بنون التوكيد الثقيلة زيادة في النهي والمبالغة في تجنبه، لأنّ صغائر الآثام تتكاثر على مرّ الدقائق والساعات والأيام والشهور والسنين إلى آخر المطاف، فلو أراد إنسان ما حساب ما يجترحه من معاصي لا يعتد بها لوقف على جبال من المعاصي لا يمكن حساب ذرات رملها، ولذلك عبّر عنها سيّد الحِكَم إذا اجتمعت بقوله الموبقات، إذ أراد منها المهالك التي تقصم الظهر .

ويرد التوكيد في قوله (عليه السلام): **مَا أُعْجِبَ بِرَأيِهِ إلاَّ جَاهِلٌ**"[2].

جوّ الحكمة العام يدور حول صفة مقيتة ينهى عنها الإمام (عليه السلام) لأنّها تتنافى مع سلوكيات الإنسان العاقل الكيّس ومنهجه العام؛ وهي (الإعجاب بالرأي)، والإصرار عليه، وعدم مشاورة الآخرين والإفادة منهم، لذا يؤكد الإمام (عليه السلام) بأسلوب القصر بـ(النفي وإلاّ) اتصاف الجاهل بهذه الصفة دون غيره من النّاس، ودلالة (الجاهل) في هذه الحكمة هو الذي لا يعرف آثار هذه الصفة السيئة ونتائجها الخطيرة، وعلى الرغم من وجود صفات أخرى ينماز بها (الجاهل) إلاّ انّ صفة (الإعجاب بالرأي) جاءت مقتصرة عليه، وهذا النوع من القصر يسمى القصر الإضافي، وهو اختصاص المقصور عليه بالقياس إلى شيء معيّن لا إلى جميع ما عداه .

ومما ورد أيضًا في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة قوله: "**هل يَنْتَظِرُ أهْلَ غَضَارَةِ الصِّحَةِ إلاَّ نَوَازِلُ السَّقَمِ**"[3].

الملاحظ أن الحكمة ابتدأت بـ(هل) الاستفهامية التي خرجت إلى معنى مجازيّ وهو النفي، والغاية من عدم استعمال النفي بصورة صريحة يبدو في تحريك ذهن المتلقي، وجعله يدور في دوامة من تساؤلات تسيطر على كيانه ونفسيته، ولا يمكن

---

1) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٣.

2) المصدر نفسه: ٣٧٨ .

3) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٠ .

للنفي الصريح أن يعطي هذه الدلالة كما يؤديها الاستفهام الذي خرج إلى دلالة مجازيّة، ونلاحظ أن الإمام (عليه السلام) قصر ما ينتظره أهل الغضارة أي الذين يعيشون بصحة وعيش طيّب، على نوازل السقم، وهذا القصر أضفى جوًّا مربكًا عند هؤلاء في الإكثار بالتمعّن لما سينتهي إليه حالهم من الأسقام، وقد عزّز هذه الدلالة تقديم المفعول به (أهل غضارة) على الفاعل (نوازل) فأفاد بذلك العناية بالمتقدم ولفت الانتباه إليه، ومن الجدير ذكره أن كلا الفريقين من الأغنياء والفقراء سيلاقون المرض شاؤوا أم أبوا، ولكنه (عليه السلام) حدّد فريق الأغنياء لأن الوقع عليهم أصعب، فهم يعيشون في ترف ونعمة، بخلاف البؤساء الذين لا يرتجون شيئًا حتى وإن أتاهم السقم فهم يتوقعونه لأنّهم في بيئة لا تساعدهم على توافر الصحة، وذكر الإمام (عليه السلام) نوازل الأسقام، ولم يقل الأسقام: لأن النازلة في اللغة هي "الشديدة تنزل بالقوم، وجمعها النوازل... والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس"[1].

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة جديدة أخرى: "**إِنَّمَا الدُّنْيَا جِيْفَةٌ وَالمُتَوَاخُونَ عليها أَشْبَاهُ الكِلابِ، فلا يَمْنَعُهُمْ إِخْوَتُهُم لهَا مِنَ التَّهَارُشِ عَلَيْهَا**"[2].

استعمل الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة القصيرة الأداة (إنّما) لغرض تأكيد حال الدنيا إذ جرّد عنها كل ما تملكه من طبيعة خلابة وسحر يستهوي العقول، ومال وبنين و... الخ بواسطة الأداة (إنما)، وأثبتت (إنما) ما تَنْفر منه النفوس وتشمئز منه الأعين، وهذا ما نلاحظه في الألفاظ الواردة (جيفة، أشباه الكلاب، التهارش) وهذه الألفاظ توحي إلى الطبيعية الشريرة التي يخشاها أي إنسان، ولهذا فإن معنى (إنّما) "إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه"[3]، وهذا ما لاحظناه في إثبات الرذائل إلى الدنيا ونفى المحاسن عنها، ومن الجدير ذكره أن ما ذكره الإمام

---

١) لسان العرب: مادة (نزل) .
٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٥١ .
٣) لسان العرب: مادة (أنن) .

(عليه السلام) مواضع لا يجهلها المخاطب ولا ينكرها، لأنها وردت في سياق (إنّما) التي تجيء في المواضع التي لا يجهلها المخاطب ولا ينكرها[1] .

ويوظّف الإمام (عليه السلام) التوكيد بـ(إنَّما) في الدعوة إلى التنزُّه من الحسد بوصفه من الصفات السيئة المقيتة إذ يقول في حكمة قصيرة من حكمه: "**كأنَّ الحَاسِدَ إنَّما خُلِقَ ليَغْتَاظَ**"[2].

يبين الإمام (عليه السلام) حال الحاسدين من الناس بشكل طريف يقف فيه على الصفات النفسيّة التي يتصف بها هؤلاء والتي من شأنها أن تجعلهم في غيظ دائم لا يبارحهم ولا يبارحونه، فقد قصر (عليه السلام) الغيظ الدائم عليهم دون غيرهم، لأنّهم لا يغتاظون لما ينزل بهم من المصائب والبلايا ....، التي يحزن الناس من جرائها ويغتاظون، ويزول حزنهم وغمّهم بانتهائها ورحيلها، بل ويغتاظون أيضاً لمّا يرزق الله به عباده من الخير، وليس من شكّ في أنَّه سبحانه وتعالى رزّاق كريم، يجود على من يشاء من عباده بالخير الكثير، الدائم، المستمر، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، وبهذا فإن الحاسد في غيظ كثير، دائم، مستمر .

ومما ورد مؤكدًا بـ(إنما) في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة قوله: "**إنَّمَا سرَاةُ النَّاسِ أوُلُوا الأحْلامِ الرَّغِيْبَةِ والهِمَمِ الشَّرِيْفَةِ وذَوُوا النُّبْلِ**"[4].

نلاحظ أن الإمام عليّ (عليه السلام) قصر صفة الشرف الذي يحصل عليه بعض الناس على الأحلام الواسعة، والهمم العالية، والنبل، وهذا النوع من البلاغة يسمى قصر الصفة على الموصوف وهو ألا تتجاوز الصفة عن ذلك الموصوف إلى موصوف آخر، لكن لذلك الموصوف صفات أخرى، وما نلاحظه في هذه الحكمة أنه أولو الأحلام والهمم والنبل لهم خصال أخرى ينمازون بها غير كونهم من سراة

---

١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٣٠ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٦٨.

٣) البقرة: ٢١٢ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٥١ .

الناس وأشرافهم، كأن يكونوا أتقياء أو زاهدين ...الخ، ولكنَّ الإمام (عليه السلام) خصَّ هذه الخصال التي ذكرها تأكيدًا عليها وبيانًا لأهميتها دون سواها من الخصال الأخرى، وإنَّما هي دون سواها مصدر من مصادر الشرف الإنسانيّ .

ومن كل هذا يتبيّن لنا دور التوكيد وأهميته البارزة في دائرة النصح والإرشاد التي تدور فيها حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، ولابدّ من الإشارة إلى أنّ هنالك وسائل أخرى للتوكيد أستثمرها الإمام (عليه السلام) في حكمه، كالتكرار الذي تناولته في المستوى الصوتيّ، لأنني غلّبتُ الوظيفة الإيقاعيّة الصوتيّة له، والتقديم والتأخير الذي سأتناوله مستقلاً في الفقرة التالية .

٣- التقديم والتأخير :

إن الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، وعلى الرغم من ذلك خلّف لنا اللغويون رتبًا معينة تحفظ لهذه الأجزاء، ويمثّل العدول عن هذه الرتب نوعًا من الانزياح عن اللغة الاعتيادية، لغة التفاهم في المواقف الطبيعية إلى اللغة الإبداعيّة[١]،وقد اهتم الجرجانيّ(ت٤٧١هـ) بدور التقديم و التأخير في إبراز مرونة اللغة العربية وسماتها الفنيّة الإبداعيّة، فأفرد له بابًا واسعًا، ووصفه بأنّه: "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتَرّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ... فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٢] .

فهو أذن من أبرز مظاهر العدول في البناء اللغويّ للجملة، لما يحققه من علاقات متميزة تظهر فيها قدرات الأديب ومواهبه الفنيّة، وهذه الفنيّة المتشابكة مع حسه الشعوريّ واللاشعوريّ، هي التي تدخل في تركيب العبارة[٣]، ولهذا فُسّرت

---

١) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٣٢٩. وشعر إيليا أبي ماضي دراسة لغوية: أحمد عيسى، رسالة ماجستير، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ١٧٤ .

٢) دلائل الإعجاز : ١٠٦ .

٣) ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، ط١ ، منشأة المعارف . الإسكندرية، (د.ت): ٧٩ .

سياقات التقديم والتأخير في ضوء تصورات يعود بعضها إلى المبدع وحركته الذهنيّة، ويعود بعضها إلى المتلقي واحتياجاته الدلاليّة[1].

فالتقديم والتأخير لا يُبتغى منه تغير مواقع العناصر المكونة للجملة فحسب، وإنما يؤدي دورًا دلاليًّا يحدده مبنى النصّ وسياقه، وهذا ما تناوله البلاغيون فجعلوا للتقديم أسبابًا ومسوغات: كالاهتمام، والاختصاص، والتشويق... [2].

ولأسلوب التقديم والتأخير في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، أثر كبير في تجسيد المعنى وتقديمه بشكل فنيّ متميز يثير المتلقي ويلفت انتباهه، فقد استثمره (عليه السلام) في الإفصاح عن الكثير من المعاني التي لها أهمية خاصة في سلوك المسلم الإيمانيّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ.

فيقدّم الإمام (عليه السلام) الجار والمجرور على باقي أجزاء الجملة في حكمة قصيرة يحثُّ فيها المسلم على توثيق صلته بخالقه العظيم والمحافظة عليها في إطارٍ إيمانيٍّ سليم إذ يقول: "**فِي الذِّكْرِ حَيَاةُ القُلُوبِ**"[3]، والذكر هو "التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الله وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان، سواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء، أو ذكر رسله أو أنبيائه وما يقرّب من الله من فعل أو سبب"[4].

نلحظ في الحكمة الموجزة تقديم الجار والمجرور (في الذكر) وهو خبر على المبتدأ (حياة القلوب)، وهذا التقديم لم يأتِ عرضيًا من دون غرض أو قصد، بل أراد به (عليه السلام) التأكيد على أهمية (الذكر) وانفراده بإحياء القلب بنور الإيمان وجلاله اللذين يحولان دون قسوة القلوب الميتة الخالية من ذلك.

---

١) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى : ٢٣٨ .

٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٢٧.٣٢٦ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٧٢ .

٤) فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م: ٦٣٠ .

ومن الجدير بالذكر أنّ تقديم الجار والمجرور من الأنماط التركيبيّة الشائعة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة[1]، ففي حكمته (عليه السلام): "**مِنْ أَفْضَلِ الدِّينِ المُرُوءَةُ وَلاَ خَيْرَ فِي دِيْنٍ لاَ مُرُوةُ فِيِه**"[2].

تقدّم فيها الخبر وهو قوله (من أفضل الدين) على المبتدأ (المروءة) وذلك لحصر المروءة بجعلها من ضروريات دين الله عزّ وجلّ، والذي عزّز هذه الدلالة في إفادة الحصر استعماله (لا) النافية للجنس في قوله (ولا خير)، إذ إنّه (عليه السلام) نفي جنس الخير كله في الدين، ثم بيّن بعد الإبهام سبب هذا النفي، بنفي آخر في قوله (لا مروءة فيه) إذ إن الدين الذي لا تكون فيه مروءة لا يكون فيه أي فضل أو خير أو مزية. وهذا النفي عزّز دلالة الحصر في تقديم الخبر على المبتدأ.

ويوظّف (عليه السلام) فنية هذا الأسلوب في ترسيخ القواعد السلوكيّة الصحيحة التي من شأنها أن تسهم في بناء المجتمع بناءً سليمًا إذ يقول: "**فِي قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ حُلُولُ النِّقَمِ**"[3].

نلحظ أنّ تقديم الجار والمجرور وهو خبر على المبتدأ (حلول النقم) قد أفاد النصّ جمالاً ودلالة، فمن الناحية الجمالية أزال من النصّ الرتابة النحوية المعهودة في الجملة العربية، كتقديم المبتدأ على الخبر، بخلاف لو قال: حلول النقم في قطيعة الرحم، وفي ذلك يقول أبن الأثير (ت٦٣٧هـ): "وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم، وإذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص"[4] .

---

١) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، وسجع الحمام في حكم الإمام: ٩٣، ١٦١، ١٦٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٩، ١١، ٢٠٧، ٣٦٥، ٤٧٥، ٤٧٩، ٥٢٩، ٢٤٩، والمصدر نفسه: ٢٦/١٠، ٢٧، ٨٩، ٩١، ١٠٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٥، ٢٤٤، ٣٠٩، ٣١١ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٧١ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٧٣ .

٤) المثل السائر: ٢١١/٢ .

أما من الناحية الدلاليّة، فقد جاء التقديم ليحذر من يحاول قطع رحمه بأنّ المصائب ستحلّ عليه، وهذا التحذير نابع من الاختصاص الذي أفاده التقديم، وقد نظر البلاغيون في هذا النمط من التركيب، معللين سبب تقدم الخبر على المبتدأ بالاختصاص، ولجلب الاهتمام[1] لدى المتلقي المقصود من التحذير صوب القضية الأساسية لهذه الحكمة ألا وهي (قطيعة الرحم)، ولولا التقديم والتأخير لما كان هذا المقصد الذي يسعى فيه (عليه السلام) إلى المحافظة على كيان الأسرة وبنائها ليكون .

وفي قوله (عليه السلام): "**بِالعَدْلِ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ**"[2].

قدّم الإمام عليّ (عليه السلام) المعمول (بالعدل) على عامله (تصلح) ليضفي على التركيب جمالاً مختلفا عن نمطه المعتاد، فضلاً عن الدلالة المتحققة من هذا التقديم، فهو (عليه السلام) قدّم الوسيلة التي من شأنها أنْ تحقق الصلاح تخصيصاً لها واهتماما بها، وإنّ سبب ذلك هو شخصية الإمام (عليه السلام) القائمة على العدل والمساواة بين الرعية بنفسه، فهو (عليه السلام) يسعى دومًا إلى الخير بواسطة عدله وإنصافه، ولإيمانه (عليه السلام) بأولوية العدل في ميزان (الراعي) وأهميته في التعامل الإنسانيّ الأمثل .

وفي حكمة أخرى يقول الأمام (عليه السلام): "**فِي الضِّيقِ يَتَبَيَّنُ حُسْنُ مَوَاسَاةِ الرَّفِيقِ**"[3].

ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى جانب اجتماعيّ آخر وهو (الصداقة)، فيقدّم المعمول (في الضيق) على عامله (يتبيّن)، للعناية ولفت الانتباه إلى المتقدم، إذ إن الضيق من الأشياء التي يشمئز منها الإنسان، فهو ميّال بطبعه إلى الراحة والسعة، ولهذا قدّم الضيق، وهو الشدة وسوء الحال على عامله (يتبيّن)، لأنّه غير مرغوب فيه عند البشر، ولدوره الفاعل في الكشف عن حقيقة الصداقة وعمقها وجوهرها.

---

١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٠٧ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم:١٦٥ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم:: ٢٧٣ .

ومن أنماط التقديم الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة قوله: "**كِيْفَ يَدِّعِي حُبَّ اللهِ مَنْ سَكَنَ قَلْبَهُ حُبُّ الدُّنْيَا**"[1].

نلحظ أن الإمام (عليه السلام) قدّم المفعول به على الفاعل مرتين، فقد قدّم (حبّ الله) المفعول به في المرة الأولى، وقدّم (قلبه) المفعول به في المرة الثانية في سياق الحديث عن مَنْ يجمع حبين في آن واحد، فلا ضير أن يجتمع الحبان في آنٍ واحد، ولكن الضير في من زاد حب الدنيا عنده على حب الله، وهنا يأتي التعجب في قوله (كيف يدّعي) إذ إنّه (عليه السلام) تعجب ممن سكن قلبه حب الدنيا، ويدّعي حب الله، ونلاحظ أيضًا في جوّ الحكمة أن الإمام (عليه السلام) كرّر التقديم مرتين في قوله (حبَّ اللهِ) و(قلبه)، وهذا التقديم لم يكن من اعتباط، وإنما جاء متوافقًا مع الدلالة العامة للحكمة، فحُبّ الله هو المقصود في أول الأمر، وبعد ذلك كان المقصود (قلبه) ولم يكن المقصود (حب الدنيا)، ولذلك أخر (حب الدنيا) عن القلب، لأن القلب هو الجامع للحبين .

وفي قوله (عليه السلام): "**لا تَصْحَبْ مَنْ تَحْتَاجُ إلى أن تَكْتُمَهُ مَا يَعْرِفُ اللهُ مِنْكَ**"[2].

قدّم الإمام (عليه السلام) المفعول به (الهاء) على الفاعل (ما) في سياق الحثّ على اختيار الصديق الأمين الذي يحفظ الأسرار، وبواطن الأحوال التي لا يطلّع عليها ألا الله تعالى، وغاية الإمام (عليه السلام) من تقديمه هذا؛ توجيه الاهتمام والعناية صوب الحالة التي يجسدها الضمير(الهاء)، وهي إخفاء الأشياء وعدم إظهارها بسبب الخوف والحذر الذي يرافق الإنسان عند مصاحبة مَنْ لم يتصف بالأمانة والصدق والوفاء التي هي من صفات الصديق الحقيقي .

وبعد هذا كله يتبيّن أن النصّ ـ لولا التقديم والتأخير ـ لفقد الكثير من خصائصه الدلاليّة والفنيّة، وهذا هو الجانب الرائع المستفاد من مرونة اللغة، في تحويل مراتبها وإبرازها الفكرة بقالب جميل يسحر المتلقي ويؤثر فيه[1].

---

١) المصدر نفسه: ٢٩٢ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٦ .

٤- الحذف :

هو من آليات التعبير الفنيّ القائم على الإيجاز في تقديم الأفكار وعرضها بطريقة مكثفة من دون إخلال بالمعنى، وذلك "بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف"[٢]، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه[٣]، ويصف عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) هذا النوع من الإيجاز بأنّه" باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن"[٤] .

والحذف من السمات التركيبيّة التي بُنيت عليها حكم الأمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، كونه ضربًا من الإيجاز، والقصر هو المقياس الذي اعتمده البلاغيون في النضرة إلى الإيجاز، وذهب بعضهم إلى أنَّ الإيجاز هو البلاغة[٥].

وبهذا يمكننا القول بأنَّ الأمام عليّ (عليه السلام) قد ملك ناصية البلاغة بجمله الحكيمة التي امتزج فيها الإبداع الفنيّ بالفكريّ في إطار لغويّ موجز.

ويأتي استثمار هذه السمة الفنيّة في حكمه (عليه السلام) بغية سرعة الوصول وشدة التأثير فيما يهدف إليه من النصح والإرشاد، وذلك بإثارة ذهن المتلقي بجمله القصيرة المشحونة بالدلالات الواسعة، فضلاً عن سرعة حفظها ورسوخها في الذهن، فالألفاظ كلما كانت قصيرة في التعبير عن المعاني كانت أوقع في القلب وأشدّ تأثيرًا في النفس، ولعل الوقوف على بعض هذه الحكم القصيرة يكشف عن هذه الحقيقة بصورة واضحة جلية.

---

١) ينظر: شعر إيليا أبي ماضي دراسة لغوية: ١٧٧ .

٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٤٩/١ .

٣) ينظر: المثل السائر: ٢٦٤/٢ .

٤) دلائل الإعجاز: ١٤٦ .

٥) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٤٤/١ .

يقول الإمام (عليه السلام) في إحدى حكمه: "**إمْحَضْ أخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أمْ قَبِيحَةً**"[1].

في النصّ الشريف إيجاز حصل عن طريق الحذف، إذ تناولت الحكمة في طياتها لزوم الإخلاص في النصيحة والعمل بها، وحذفت همزة الاستفهام بدلالة القرينة اللفظية الواردة في النصّ عليها، فـ" الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوفات، فإن لم يكن هنالك دليل على المحذوف فأنَّه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب"[2]، والذي دلّ على حذف الهمزة وجود (أم) المعادلة، فلهذه الهمزة المحذوفة أثرها الواضح في إرادة التسوية في النصائح وجعلها في وعاء واحد.

وشبيه الحكمة السابقة قوله (عليه السلام): "**جَالِس العُقَلاءَ: أعْدَاءً كَانُوا، أم أصْدِقَاءَ، فإنَّ العَقْلَ يَقَعُ عَلَى العَقْلِ**"[3].

وقع الحذف في حكمة الإمام (عليه السلام) في همزة الاستفهام التي خرجت إلى معنى التسوية، ويدلُّ عليها وجود (أم) المعادلة، فالإمام (عليه السلام) يأمر بمجالسة العقلاء من النّاس مساويًا بين الصديق منهم والعدو، جاعلاً للعقل السيادة والأفضلية في اختيار الجلساء، ويعلّل ذلك بـ(إنّ) التي تفيد التوكيد، وهو تعليل ذو بلاغة عالية، فالإنسان العاقل لا يأنس إلى لمن هو على شاكلته، وبذلك تتضاءل النوازع النفسيّة أمام سلطة العقل وهيمنته .

نجد أنَّ حذف الهمزة في الحكمتين السابقتين جاء مقترنًا بالجانب الإرشاديّ الاجتماعيّ الذي يسعى فيه الإمام (عليه السلام) إلى توجيه الفرد وحثِّه على المصيب والهادف من الأقوال والأفعال، وهذه الصيغة وردت في موضع أخر من حكمه (عليه السلام) القصيرة[4].

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٦٩ .

٢) المثل السائر: ٢٦٨/٢ .

٣) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٠٤ .

٤) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٨ .

وفي المنحى نفسه يحذف الإمام (عليه السلام) الفاعل في حكمة أخرى يقول فيها: "**إِذَا خِفْتَ صُعُوبَةَ أمْرٍ فَاصْعُبْ لَهُ يَذِلّ لَكَ وخَادِع النَّاسَ عَنْ أمْثَالِهِ تَهُنْ عَلَيْكَ**"[١] .

وقع الحذف في قوله (عليه السلام): (تهن عليك)، والتقدير: تهن عليك صعوبته، وحُذف الفاعل (صعوبته) لدلالة السياق عليه، إذ إنَّه (عليه السلام) بدأ حكمته الشريفة بأداة الشرط (إذا) في سياق الحديث عن الصعاب التي تواجه الإنسان في شؤون حياته المختلفة، مقدمًا الوسيلة التي من شأنها أن تساعده في تجاوز هذا الأمر الشاق . أي الصعوبة . والتغلّب عليه، وهي الجدّ والمثابرة والنباهة وعدم التهاون، إذ إنَّ من شأن هذه السمات أن تذلّل الصعاب وتجعلها هيّنة يسيرة، فحقّق الحذف هنا إيجازًا فنيًا واضحًا قائمًا على اختزال العبارة وذلك بعدم تكرار الكلمة المحذوفة لدلالة السياق عليها .

ويسخّر الإمام (عليه السلام) دلالة الحذف الإيحائيّة في دعم الجانب الروحيّ الدينيّ من سلوك الإنسان وتقويته، فيحذف المفعول به في إطارٍ صياغيٍّ آخر يحثُّ فيه الفرد على (الاستغفار) إذ يقول: "**اسْتَغْفِرْ تُرزَقْ**"[٢].

نجد أنّ تكثيفًا دلاليًا اتسمت به حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة، فالحكمة القصيرة متكونة من كلمتين فقط، جاءتا في سياق الحثّ على الاستغفار والترغيب فيه، ووقع الحذف في مفعول الفعل المتعدي استغفر، والتقدير: (استغفر الله)، والقرينة التي قادتنا إلى ذلك دلالة النصّ القصير على الكلمة المحذوفة، فالاستغفار لا يكون ألا لله وحده، لأنّه القادر على أن يمحو الذنوب ويعفو عن الخطايا، لذا عمد (عليه السلام) إلى حذف لفظة الجلالة (الله) إجلالا وتقديسًا، فضلاً عمّا حققه الحذف من إثارة ذهن المتلقي إلى دلالة الفعل (استغفر) ومكاسبه الكثيرة الإيجابيّة التي عملت اللفظة الثانية على بيانها وتوضيحها.

١) المصدر نفسه: ١٥٨ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٧٩ .

وثمة حذف آخر ورد في النصّ القصير، فقد حذف (عليه السلام) المفعول به الثاني للفعل (تُرزق)، بعد أن بنى الفعل للمجهول وجعل المفعول به الأول (ضمير المخاطب) نائبًا عن الفاعل، جاعلاً المتلقي يدور في حركة ذهنية باحثًا عن الرزق الذي سيناله باستغفاره هذا، وجاء الحذف هنا للإطلاق في دلالة النصّ، فعدم ذكر الرزق العائد على العباد لم يأتِ اعتباطًا، وإنما قصد منه الإمام (عليه السلام) أنّ أرزاق الله تعالى كثيرة لا يمكن عدّها أو حصرها، كالصحة والمال والذكاء والجاه والستر والرحمة والتوفيق ...الخ، وبهذا فانّ الحكمة القصيرة قد حققت إيجازًا فنيًا قائمًا على اختزال العبارة وتوسيع الدلالة.

وفي قوله (عليه السلام): "**أَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَقُولَ الحَقَّ فَلَمْ يَقُلْ**"[1] .

قراءة الحكمة توحي بأنَ الكلمة المحذوفة هي مفعول الفعل (فلم يقل)، والتقدير: (فلم يقل الحقَّ)، والقرينة التي قادتنا إلى ذلك ما تقدّم من قولٍ سابق يحثُّ فيه (عليه السلام) على قول الحقّ قائلاً: (من قدر...يقول الحقّ)، ثم تأتي عبارة (فلم يقل) المتصلة بالجملة الأولى بالفاء لتبيّن أن الأكثر خسارة من النّاس في ميزان الله سبحانه وتعالى، هو الذي قدر على أن يقول الحقّ وامتنع عن قوله، فحقّق الإمام (عليه السلام) بهذا الحذف بعدًا جماليًا نابعًا من الابتعاد عن الإسفاف والضعف المتولّد من تكرار الكلمة المحذوفة لدلالة السياق عليها، فضلاً عمّا أفاده في إثارة ذهن المتلقي بالتركيز على الفعل والتنبيه عليه، فالمراد هنا العناية بدلالة الفعل (لم يقل) لذلك حذف مفعوله وانزله منزلة اللازم، وقد تجلّى حذف المفعول به في حكم أخرى من حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة[2].

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٧ .

٢) ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه: ١٣، ٧٧، ٨٠، ٨١، ١٢٦، ١٥٥، ٢٩٩، ٣١٩ .

ومن صيغ الحذف الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) قوله: "**قَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ نَفْعًا وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاً فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ**"[1].

نجد أنّ حذفًا وقع في خبر كان من قوله (عليه السلام) (فيكون عليكم)، والتقدير: (فيكون عليكم ضرًا)، وعلة الحذف هنا دلالة السياق عليها، فالحكمة الشريفة متكونة من جملتين متطابقتين، جاءتا معطوفتين بـ(واو) العطف التي أفادت اشتراكهما في الحكم والإعراب، وورد التطابق في سياق الحثّ على الأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان ولا تضره، وهذا ما أفادته دلالة الألفاظ (قدّموا × تخلفوا) و (بعضًا × كلاً) و (يكن لكم × يكن عليكم)، فالتقابل الدلاليّ الحاصل بين حرفي الجرِّ (لك × عليك) عمل على تعضيد دلالة النصّ للوصول إلى اللفظة المحذوفة، فما يكون للإنسان هو النفع وعكس ذلك الضرّ الذي لا يكون إلاّ عليه، فأفاد الحذف هنا إطلاق دلالة النصّ في بيان عمق الأضرار التي ستحلّ بالإنسان العاصي وحجمها .

ومن حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة التي يوظّف فيها فنية الحذف في التعبير عن المعنى قوله في بيان علامات المرائي: "**لِلْمُرائِي ثَلاثُ عَلامَاتٍ: يَنْشَطُ إذا رَأى النَّاسَ؛ وَيَكْسِلُ إذا خَلا، وَيُحِبُّ أنْ يُحْمَدَ فِيْ جَمِيْعِ أُمُوْرِهِ**"[2].

وقع الحذف في قوله (عليه السلام) (ويكسل إذا خلا) والتقدير: (يكسل إذا خلا منهم)، والدليل على ذلك نستمده من القرينة المتمثلة بالعلامة التي جعلها (عليه السلام) مرافقة لنشاط المرائي وهي رؤية الناس، لأنّه يقصد غير الله تعالى في أعماله وأفعاله، ومراده منها حمد النّاس وثنائهم، فجاء حذف الجار والمجرور (منهم) للإطلاق والمبالغة في إثبات صفة الكسل والتهاون لهذه الفئة، جزءًا لا يتجزأ عن حقيقتهم المتلونة المخادعة، فضلاً عن المصاحبات اللغويّة التي عملت على توضيح الدلالة وتأكيدها، إذ تكررت (إذا) الشرطية غير الجازمة في النصّ القصير مرتين،

---

١) المصدر نفسه: ٢٨٣ .

٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٠/٩ .

وتختص (إذا) بدخولها على الكثير الوقوع والمقطوع بحصوله[1]، فأسهمت في تجسيد حالة المرائي فهو كثيرًا ما يقترن نشاطه وجهده بوجود النّاس وحضورهم، وهي حالة ثابتة ومتجددة في سلوكه نلمسها في هيمنة الأفعال المضارعة (ينشط، يكسل، يحمد) الدالة على الحدوث والتجدّد، فالوقوف على علامات المرائي وتشخيصها يعدّ توجيهًا واضحًا للابتعاد عن هذه الصفات الرذيلة التي يكرهها الله تعالى وصاحبها، ويحذف الإمام (عليه السلام) الجار والمجرور في مضان أخرى من حكمه القصيرة[2].

ويجمع الإمام (عليه السلام) أضربًا من الحذف في حكمة قصيرة أخرى يدعو فيها الفرد المؤمن للقيام بالأعمال التي تفيده وتقرّبه إلى الله تعالى يقول فيها: "**اعْمَلُوا وَالعَمَلُ يَنْفَعُ وَالدُعَاءُ يُسْمَعُ وَالتَّوْبَةُ تُرْفَعُ**"[3].

يتضح من النصِّ الشريف أنَّ حذفًا وقع في بنائه وتكوينه، فقد حذف (عليه السلام) مفعول الفعل المتعدي (اعملوا)، والتقدير: (اعملوا صالحًا)، وهذا الحذف نستشفه من دلالة العبارة التالية (ينفع)، إذ أنَّ الأعمال تنقسم على صالحة وطالحة، وما ينفع الإنسان منها هو الصالح، ونجد أنّ حذفًا آخر وقع في قوله (عليه السلام): (ينفع)، والمحذوف هنا مفعول الفعل المتعدي الذي نستطيع تقديره بـ(صاحبه)، والقرينة التي قادتنا إلى ذلك هي أنّ العمل الصالح ينفع صاحبه بالدرجة الأولى والمقام الأول، فحقّق الحذف بهذا جمالاً فنيًا قائمًا على تكريس المعنى في عبارات قليلة وبليغة.

ويحذف (عليه السلام) الجار والمجرور أيضا في قوله (تُرفع)، فهذه الأعمال الصالحة والدعاء الخالص والتوبة الصادقة ترفع إلى السماء أو إلى الله سبحانه وتعالى لتوضع في رصيد الإنسان المفتوح عند خالقه العظيم .

---

١) ينظر: معاني النحو: ٤/٦١ .

٢) ينظر على سبيل المثال: غرر الحكم ودرر الكلم: ٨١، ١٦٢، ١٠٨، ٣٢٤، ٣٥٢، ٣٨٢، ونهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩/٩ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٨٩ .

ولو نظرنا إلى سياق الحكمة نشعر أنّ حذفًا ورد في سياق الأفعال يمكن تقديره بـ(ادعوا والدعاء يُسمع، وتوبوا والتوبة تُرفع)، والمسوغ المنطقيّ لهذا الحذف السياق الذي جاءت عليه مقدمة الحكمة القصيرة في قوله (عليه السلام): (اعملوا والعمل ينفع)، فلو جعلنا السياق واحدًا في بقية الأعمال التي يطالب (عليه السلام) الإنسان المسلم بالقيام بها والمواظبة عليها، لوجدنا أنّ الأفعال المحذوفة (ادعوا وتوبوا) قد قامت بدور دلاليّ إيحائيّ في تجسيد المعنى وتقديمه، ومن هنا نجد أنّ الإمام (عليه السلام) قد جمع ألوانا من الحذف في حكمة قصيرة موجزة، جسّد فيها أعمال العباد التي من شأنها أن تعمّق ارتباطهم بالله عزّ وجلّ وتمدّ جسر التواصل الإيمانيّ به، وإذا كتبنا الحكمة بصياغتها اللغويّة المعهودة في كتابة الجملة العربية تصبح على هذا النحو: (اعملوا صالحًا والعمل ينفع صاحبه، وادعوا الله والدعاء يُسمع، وتوبوا إليه والتوبة ترفع إلى الله)، وبالمقارنة بالصيغة التي جاءت عليها حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة، يتضح جمال البناء وفنيته القائمة على اختزال الألفاظ وتوسيع الدلالة بصورة إيحائيّة مكثفة بعيدة عن الرتابة والإطالة التي تسيطر على النصّ لولا الحذف .

فضلاً عن نصوص أخرى كثيرة استثمر فيها (عليه السلام) فنية الحذف في التعبير عن الكثير من الأفكار المتفرعة إلى غايات وأهداف متنوعة، لها وقعها الخاص في ذهن المتلقي ووجدانه، لما تضمنته من تكثيف دلاليّ إيحائيّ يجذب المخاطب ويشدّه إليه، وقد تناول بحثنا كثيرًا من حكمه (عليه السلام) القصيرة، كانت روعة في الإيجاز والتكثيف الدلاليّ، الأمر الذي أغنى عن الإطالة في هذه الفقرة .

توطئة

تعدّ الصورة من أهم العناصر التي يُشكَّل بها النصّ اللغويّ، ولاسيما الأدبيّ الإبداعيّ؛ لذا استأثرت قضية الصورة باهتمام وعناية اللغويين والنقاد والباحثين القدماء والمحدثين، ولعلّ من أقدم الذين تعرّضوا إلى قضية (الصورة) في مجال النصّ الإبداعيّ هو أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في معرض حديثه عن الشعر قائلاً: "إنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ ... وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر الألفاظ، وسهولة المخرج ... فإنّما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[١]. إذ يرى أنّ المعاني إنّما تكسب روعتها وخصوصيتها من خلال تآلف الكلمات في صور خاصّة تجسّد براعة المبدع وقدراته الذهنية .

واقتفى قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) أثر الجاحظ حين قال: "المعاني للشاعر بمنزلة المادّة الموضوعة والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كلّ صناعة من أنّه لا بدّ فيها من شيء يقبل تأثير الصورة فيها مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة"[٢]، مشيرًا إلى أنّ الصورة هي الإطار الخارجيّ الذي تنصهر فيه المعاني والأفكار على نحوٍ فنيّ متميز .

أمّا عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) فيفصّل الحديث عن الصورة مانحًا إيّاها بعدًا دلاليًّا نلمسه في قوله: "الصورة إنّما تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[٣]، وذلك لأنّ كلاً من التمثيل والقياس إنّما هي وسائل أساسية في صناعة الدلالات، وهو يرى أنّ أهمية الصورة وقيمتها الفنيّة الإبداعيّة تأتي من خلال قدرتها العجيبة على الجمع بين الأجزاء المختلفة والأشياء المتباينة في إطار متكامل تتآلف فيه المتناقضات إذ يقول: "فإنّك تجد الصورة المعمول فيها كلّما كانت

---

١) كتاب الحيوان: ٣/٥٣ .

٢) نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (د.ط)، دار الكتب العلمية . بيروت،(د.ت): ٦٥.

٣) دلائل الإعجاز: ٥٠٨ .

أجزاؤها أشدّ اختلافًا في الشكل والهيأة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتمّ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب، والحذق لمصوّرها أوجب"[١].

أمّا نقادنا العرب المحدثون فقد انقسموا في معالجتهم لقضية (الصورة) على ثلاثة اتجاهات أساسية، فأصحاب الاتجاه الأول ظلّوا محافظين على نظرة القدماء إلى موضوع الصورة مفهومًا وقضايا ومعالجة. أمّا ممثلو الاتجاه الثاني، فقد أرادوا (الموضوعيّة) في دراسة هذا الموضوع، فعمدوا إلى المزاوجة بين موقف القدماء وما استجد على الساحة الفكريّة العربية من أفكار ومذاهب، هي ثمرة منطقية للتلاقح مع الفكر الغربي الوارد إلينا. وفي الاتجاه الثالث، كانت القطيعة مع الفكر العربيّ القديم هي المنطلق، فاجتهد أصحابه في نبذ كلّ ما يمتّ إلى القديم بصلة، والأخذ بـ(الجديد) القادم من الغرب مفهومًا وقضايا ومعالجة .

وبعيدًا عن الدخول في تفاصيل هذه المسألة إذ ليست من همومي البحثية، فسوف اكتفي بنزرٍ مبتسرٍ من تلك الآراء التي تمثّل موقف المحدثين إزاء موضوع الصورة، فقد عدّها بعضهم "نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه وإنما تعني إعادة تشكيل واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادّة أو المتباعدة"[٢]، فهي ذات دلالات متشظية وليست مجرّد ألفاظ مجتمعة في نسق معين، تتنوّع مستوياتها التعبيريّة من مبدعٍ لآخر، فهي دومًا تعلو على لغة التواصل الاعتيادية إلى لغة الإيحاء[٣]، ويأتي تجاوز الصورة الفنيّة للغة الاعتيادية من كونها "خيال ممتزج بالحقيقة بصورة عفوية من خلال التشبيه

---

١) أسرار البلاغة: ١٤٨ .

٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: جابر أحمد عصفور، دار الثقافة . القاهرة، ١٩٧٤م : ٣٧٣ .

٣) ينظر: الظواهر الفنية في شعر الموصل (١٩٦٨-١٩٨٠) دراسة في المجاميع: عبد الغفارعبد الجبار الدليميّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م : ١٦.

والاستعارة والكناية"[1]، فهي إذن "مجموعة العلاقات اللغويّة والبيانيّة والإيحائيّة القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون"[2]. ويرى آخر أنَّ الصورة "بأوضح معانيها طريقة التعبير عن المرئيات والوجدانيات لإثارة المشاعر وجعل المتلقي يُشارك المبدع أفكاره وانفعالاته"[3]؛ بوصفها وسيلة الشاعر والأديب "لعرض أفكاره وأغراضه عرضًا أدبيًّا مؤثّرًا فيه طرافةً ومتعةً وإثارة"[4].

ومهما اختلفت تعريفات الصورة فهي لا تخرج عن كونها الوسيلة المثلى التي يترجم من خلالها المبدع أفكاره وعواطفه بلغة شعريّة مستندة إلى طاقة اللغة الانفعالية بمجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها في خلق الاستجابة والإحساس عند المتلقي، سواء أكانت الاستجابة حسيّة بصريّة أم معنويّة تجريديّة[5].

وانطلاقًا من أهمية الصورة في بناء النصّ الإبداعيّ بشكل مؤثر يكشف عن براعة المُنشئ وقدرته الفكريّة والفنيّة، ولأنّها تمثّل ملمحًا بارزًا من ملامح قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) الفنيّة، سوف أقف في هذا الفصل على البناء التصويريّ في قصار حكمه (عليه السلام) وفقًا لأهم الوسائل البلاغيّة التي أسهمت في تشكيلها .

---

١) الصورة البيانية في شعر الراعي النميريّ: انتهاء عباس عليوي الجبوريّ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (د.ت): ١٠ .

٢) الصورة الفنية في المثل القرآني: محمد حسين علي الصغير، ط١ ، دار الهادي . بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ٣٧ .

٣) الصورة الشعرية في شعر الأخطل الصغير: أحمد مطلوب، (د.ط)، دار الفكر للنشر والتوزيع . عمّان، ١٩٨٥م: ٣٥ .

٤) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: صلاح الدين عبد التواب، ط١ ، الشركة العالمية للنشر. مصر، ١٩٩٥م: ١٠ ، وينظر: الصورة الشعرية: مجيد عبد الحميد ناجي، مجلة الأقلام، ع: ٨ ، دائرة الشؤون الثقافية . بغداد، ١٩٨٤م : ٥ .

٥) ينظر: مستقبل الشعر وقضايا نقدية: عناد غزوان، ط١ ، دار الشؤون الثقافية . بغداد، ١٩٩٤م: ١١٩ .

المبحث الأول

الصورة التشبيهيّة :

التشبيه لغة: الشَّبَهُ والشبيه المِثْل، والجمع: أشباه، وتشابه الشيئانِ واشتبها، أشبه كلٌّ واحد صاحبه، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات، والتشبيه التمثيل[1].

واصطلاحًا: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[2]، فهو من أصول التصوير البيانيّ القائم على عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر لاشتراكهما في صفة من الصفات أو أكثر[3]، بأداة ملفوظة أو ملحوظة كالكاف ونحوها لغرض مقصود[4] .

والمتصفح لآثار العرب الشعريّة والنثريّة القديمة يجد أنّ التشبيه من أكثر الصور البيانيّة استعلامًا لديهم لأنّه "يجمع صفات ثلاث هي: المبالغة، والبيان، والإيجاز"[5]، وترجع حقيقة الدلالة في التشبيه إلى قدرتها على الكشف عن غاية مزدوجة هي استعمال الألفاظ المفردة بدلالة حقيقية واستعمالها مؤلفة بدلالة أخرى في تشكيل الصورة التشبيهيّة[6]؛ لذا فهو محاولة بلاغيّة جادّة لصقل الشكل وتطوير اللفظ، مهمته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيًّا، ومن ثمّ فهو ينقل اللفظ من صورة إلى أخرى على النحو الذي يريده المصوّر من حيث الحسنُ أو القبح[7].

فالتشبيه عنصر بنائيّ مهم في تشكيل الصورة الفنيّة المتميزة بقدرتها على إثارة المتلقّي واستقطابه، الأمر الذي جعله يأخذ موقعًا بارزًا في قصار حكم الإمام

---

١) ينظر: لسان العرب: مادة (شبه) .

٢) الإيضاح: ١٨٨ ، وينظر: المطوّل: ٥٦ .

٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/١٧٠ .

٤) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، (د.ط)، دار الفكر العربي . القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ٣٥ .

٥) المثل السائر: ٢/١٢٢ .

٦) ينظر: اللغة في الدرس البلاغي: ١٠٦ .

٧) ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، ط١ ، دار المؤرخ العربي . بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م: ٧٨ .

عليّ (عليه السلام)، لقدرته على تقريب المعنى وتمثيله في عبارات قصيرة موجزة لم تقتصر أو توظف في غرض بعينه، بل جاءت لتحقّق أغراضًا شتّى، في سياقات وأنماط لغويّة صالحة لكلّ زمان ومكان .

يقول الإمام عليّ (عليه السلام): "**مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، والسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الغِرُّ الجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ العَاقِلُ**"[١].

يسعى الإمام (عليه السلام) في حكمته القصيرة إلى مقصدية تنفير النّاس عن الانخداع بمباهج الدنيا وزينتها الفانية؛ والتنفير من مزايا التشبيه وسماته إذ يعمل إمّا على الترغيب في الشيء أو التنفير عنه، يقول ابن الأثير (ت٦٣٧هـ): "إنّك إذا مثّلتَ بالشيء فإنّما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألاَ ترى أنّك إذا أشبهتَ صورةً بصورةٍ وهي أحسن منها، كان ذلك مثبتًا في النفس خيالاً حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة أقبح منها، كان ذلك مثبتًا في النفس خيالاً يدعو إلى التنفير عنها"[٢].

فالحكمة تنطوي على صورة تشبيهيّة قائمة على التمثيل، إذ يُشبّه الإمام (عليه السلام) (الدنيا) بـ(الحيّة) والطرفان حسيّان؛ ليبيّن حال الدنيا وصفاتها الكريهة المزرية، فهذه الدنيا على ما تتّصف به من النعومة والحلاوة والدعة إلاّ أنّ تأثير (السم) الذي فيها أقوى وأتمّ؛ لأنّه يؤثّر في الإنسان ويسبب له الهلاك الأبديّ الذي يلحق به في العالم الآخر، فـ(سمّها) عبارة عمّا يترتّب عليه مصير الإنسان الذي ينخدع بها ويغترّ، وجاء قوله (عليه السلام) (يهوي إليها الغرّ الجاهل) و(يحذرها ذو اللبّ العاقل) زيادة في التنفير، فهذه الثنائية المتضادّة تصوّر لنا حال من يأنس إلى الدنيا وينخدع بها، إذ يصفه (عليه السلام) بـ(الغرّ) على سبيل الاستعارة لعدم علمه بما يضره وينفعه، إذ ليس له بصيرة باطنية يدرك بها بواطن الأمور، أما الرجل

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٢٨/١٨ .

٢) المثل السائر: ١٢٣/٢ .

العاقل فهو الذي لا يأنس إلى الدنيا ولا يأمن إليها لعلمه بمكرها وخداعها[١]، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:

يـ هوى	↔	**يـ حذرها**
إ ليها	**مثل الدنيا كمثل الحيّة**	**ذ و**
ا لغرّ		**ا للّبّ**
ا لجاهل	↔	**ا لعاقل**

فجاء التضاد ليآزر الصورة التشبيهية التي اعتمدت على أكثر من أداة تشبيهية كـ(مثل، والكاف) لتأكيد المعنى في ذهن المتلقّي وترسيخه .

وتقدّم الكاف صورةً تشبيهيّة أخرى تخرج من دائرة الوعظ الدينيّ لتدخل في إطار مقصدية النصح والإرشاد الاجتماعيّ الذي نلمسه في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة: "**الصَّابِر عَلَى مُخَالَطَةِ الأَشْرَارِ وَصُحْبَتِهِم، كَراكِبِ البَحْرِ، إنْ سَلِمَ ببَدَنِهِ مِنَ التَّلَفِ لَمْ يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الحَذَرِ**"[٢].

يؤكّد (عليه السلام) ضرورة التنبّه والحذر في اختيار الأصحاب ومخالطة الناس، من خلال صورة تشبيهيّة قائمة على التمثيل، مستعملاً (عليه السلام) أداة التشبيه (الكاف) في توضيح ذلك، وتتّصف الكاف بكثرة تواترها استخدامًا، فضلاً عن قدرتها على الربط بين طرفي التشبيه اللذين سيبقى كلٌ منهما محافظًا على هويته المستقلة، فالمشبه هو (الصابر على مخالطة الأشرار) والمشبه به (راكب البحر)، ولا يخفى ما في البحر من أهوال ومصاعب تؤدّي إلى الأذى والهلاك، فضلاً عمّا

---

١) ينظر: شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، ضبط وتصحيح: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث . بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٨/٤٠١ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٤١ .

يصيب الإنسان من الخوف والذعر من جرّائها، وهي معان ألِفها المتلقي في بيئته وواقعه، عمد إليها الإمام (عليه السلام) ليبيّن المشقّة الناتجة عن مصاحبة الأشرار ومعاشرتهم بصورة فنية تسهم في تقريب المعنى وتوضيحه فـ"الغرض من التشبيه هو الوضوح والتأثير؛ ذلك أنّ المتفنّن يُدرِك ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره، فهو يلمح وضاءة ونورًا في شيء ما، فيضعه بجانب آخر يُلقي عليه ضوءًا منه، فهو مصباح يوضّح هذا الإحساس الوجداني، ويستطيع أن ينقله إلى السامع"[1].

وفي المنحى نفسه جاءت حكمته (عليه السلام) القصيرة "**صَاحِبُ السَّلطَانِ كَرَاكِبِ الأسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وهوَ أعْلَمُ بِموْضِعِهِ**"[2].

يرسم الإمام (عليه السلام) صورته التشبيهيّة على نحوٍ فنيٍّ متميّز، فالحكمة تشير إلى أنّ على العاقل ألاّ يأمن من صحبة السلطان أو إقباله على أحد، وقد مثّل لذلك بمن يتمكّن من ركوب الأسد . وهو ما هو من الهيبة والجهامة . فكيف بركوبه ؟ ممّا يعني أقصى حالات السيطرة والتمكّن، إلاّ أنّه . أي الراكب . يعرف خصوصية موضعه، وأنّه معرّض في أية لحظة إلى أن يُلقى به ويُنقَضّ عليه، ولا ينفعه شيء وقتئذ إذا ما خسر عمره ثمن غبطة الناس وتمنيهم الحصول على موقعه، وما يحمله من دلالات وإشارات[3].

فجاءت الصورة التشبيهيّة في طرفيها الحسيين (صاحب السلطان) و (راكب الأسد) واضحة المعالم في الوقوف على مكانة (صاحب السلطان) وحالته في بعديها السلبيّ والإيجابيّ .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**مَنْ شَكَا الحَاجَةَ إلى مُؤمنٍ فَكَأنَّما شَكَاهَا إلى اللهِ، وَمنْ شَكَاها إلى كَافِرٍ فَكَأنّما شَكَا اللهَ**"[4].

---

1) من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، (د.ط)، مصر، ٢٠٠٥م: ١٤٧ .
2) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٢٦/١٩ .
3) ينظر: أخلاق الإمام عليّ (عليه السلام): ٢٠٨ .
4) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤١٧/٢٠ .

يشكّل الإمام (عليه السلام) صورته التشبيهيّة بواسطة الأداة (كأنّ) والتشبيه بهذه الأداة فيه تأكيد ومبالغة؛ لأنّها مكوّنة من (كاف) التشبيه و(أنّ) المؤكّدة[1]؛ كما أنّ استخدام هذه الأداة يؤدي إلى إحداث نوعٍ من حالة التوهم لدى المتلقي بأنّ المشبه والمشبه به قد أصبحا كالشيء الواحد، لشدة التشابه بينهما وقوة تقاربهما مما يؤدي إلى تماهي الثاني بالأول والإتحاد به، وهذا ما لا يمكن تحققه إلا بواسطة (كأنّ)[2]، لذا يوظّفها (عليه السلام) في معنى له أهمية خاصة تستوجب تأكيده وترسيخه في الذهن .

فالحكمة الكريمة تنطوي على صورتين: تحمل الأولى منهما الترغيب في قوله (من شكا الحاجة إلى مؤمن)، فهي تدلّ على أنّ الإمام (عليه السلام) لا يكره شكوى الحال إلى المؤمن؛ لأنّ الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه، فهي تخلو من السخط والتأفّف، وأمّا الثانية (ومن شكاها إلى كافر ...) فهي النقيض من الحالة الأولى؛ إذ تشير إلى أنّه (عليه السلام) يكرهها إلى غير المؤمن، لأنّها لا تخلو من الاستزادة والضجر والجزع، فضلاً عن أنّ الكافر عدوّ الله، فمن شكا إليه أمرًا فكأنّما شكا من الله إلى عدوّه[3].

وإذا تفحّصنا النصّ نجد أنّ التشبيه هنا قدّم لنا صورًا هادفة امتزجت فيها الكلمات بالدلالة امتزاجًا عفويًّا يدلّ على أنّها "ليست شيئًا ثانويًّا يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنّما تصبح وسيلة حتميّة لإدراك نوع متميّز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه وتوصيله"[4].

ومن الحكم القصيرة التي تشكّلت فيها الصورة بأداة التشبيه (كأنّ) قول الإمام (عليه السلام): **"خَفِ اللهَ حَتَّى كأنَّكَ لَمْ تُطِعْهُ، وارْجُ اللهَ حَتَّى كأنَّكَ لَمْ تَعْصِهِ"**[5].

---

١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): ٢٨ .

٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٥٨ .

٣) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٥/٤٢٤ .

٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٤٦٤ .

٥) سجع الحمام في حكم الإمام: ١١٥ .

يسخّر الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة القدرة الإبداعيّة للصورة التشبيهيّة على التقريب والإيضاح[1] في توثيق صلة العبد بخالقه سبحانه وتعالى، بالحثّ على طاعته والتوكّل عليه، والطاعة هي الخضوع لله تعالى وامتثال جميع أوامره ونواهيه، وهي من أشرف المزايا، وأجلّ الخلال الباعثة على سعادة الفرد وفوزه بشرف الدنيا والآخرة[2]؛ لذا جاء قوله (عليه السلام) (خَفِ الله حتى كأنك لم تطعه)، أي: اجعل خوفك من الله خوف العبد العاصي الذي يدفعه خوفه إلى طلب التوبة والعفو من الله بالالتزام بطاعته والمواظبة عليها، أمّا قوله (عليه السلام) (وارجُ اللهَ حتى كأنك لم تعصه) أي: اجعل رجاءك لله رجاءً أكيدًا لا يشوبه شكّ ولا ريبة، والرجاء: "هو الجناح الثاني من الخوف، اللذان يطير بهما المؤمن إلى آفاق طاعة الله، والفوز بشرف رضاه ... إذ هو باعث على الطاعة رغبة، كما يبعث الخوف عليها رهبة وفزعًا"[3].

فالصورة التشبيهيّة قائمة على طرفين عقليين، يضع من خلالهما الإمام (عليه السلام) الإنسان في مقامين أو حالتين مركبتين: مقام الخوف ومقام الرجاء، وقد اختلف العلماء في أي المقامين أفضل ؟ والأحسن أن يكون الإنسان في مقام الخوف حال الصحة والقوة والشباب، وفي مقام الرجاء حال الضعف والعجز والهرم[4]، فهما لازمان في علاقة الإنسان الروحيّة بالذات الإلهية المقدّسة، لا غنى له في واحد منها عن الآخر.

ومن الصور التشبيهية الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) قوله في وصف الدنيا والآخرة: "**مَثَلُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ مَثَلُ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ مَتَى ازْدَادَت مِنْ أحَدِهِمَا قُرْبًا ازْدَدْتَ منَ الآخر بُعْدًا**"[5].

---

١) ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٨٧ .

٢) ينظر: أخلاق أهل البيت: ٢٠٧ .

٣) المصدر نفسه: ١٢٢ .

٤) ينظر: سجع الحمام في حكم الإمام (الهامش): ١١٥ .

٥) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٤٢/١٠ .

يوظّف الإمام (عليه السلام) الصورة التشبيهيّة في بيان حال الدنيا والآخرة باستعمال (مثل)، وهي تختلف عن (الكاف) و(كأنّ) في أنّها اسم، "ولها قدرة على تعضيد الترابط بين طرفي التشبيه ودقّة في رصد أوجه التماثل"[١]. فهما . أي الدنيا والآخرة . كالمشرق والمغرب في تباينهما واختلاف جهتيهما، إذ إنّ الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته عن الآخرة وانقطاعه عنها، وكلّما أمعن في تحصيلها ازداد غفلةً وبعدًا عن الآخرة، وبالعكس فمن سعى إلى الآخرة ازداد بعده عن الدنيا وبغضه لها[٢]، وقد اعتمدت الصورة على تشبيه المحسوس بالمحسوس، فالدنيا والآخرة من المعاني الحسية، وكذلك المشرق والمغرب فهما من الأمور الحسيّة التي يُستدلّ عليها بحاسّة البصر ممّا أسهم في رفد الدلالة وتعزيزها، "ولا شكّ في أنّ تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبّه في النفس بصورة المشبّه به أو بمعناه، وخاصةً إذا كان التشبيه رائعًا جيدًا يدرك به المتفنّن ما بين الأشياء من صلاتٍ يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره"[٣].

وفي قوله (عليه السلام): "**لأَخِيْكَ عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ**"[٤] .

نلاحظ أن الصورة التشبيهيّة مبنية على استعمال لفظة (مثل)، وفي ذلك دلالة قائمة على تعزيز روابط الأخوة بين المؤمنين والمحافظة عليها على وفق منهج إيمانيّ إنسانيّ متين، وذلك بالحفاظ على أصولها والتمسّك بروابطها القائمة على العدل والإيثار والإنصاف، وهي معانٍ عقليّة إذ إنّ "الدلالة الناتجة من الصور التشبيهية ترتبط غالبًا بالمدرك العقلي"[٥]، ومن أجل تقريب الصورة استعمل الإمام (عليه السلام) لفظة (مثل) التي أفادت المماثلة بين الأمرين، إذ يجب على الفرد أن يراعيَ حقوق الآخرين وواجباته تجاههم، وليس للأخرى أفضلية على الأولى، بل بدا الاهتمام بحقوق الآخرين واضحًا، فقد جعله (عليه السلام) متصدّرًا حكمته القصيرة

---

١) شعر مهيار الديلمي دراسة بلاغية: ٢٤ .

٢) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٣٥٦/٥ .

٣) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ٤٤ .

٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ١٤٢/١٠ .

٥) جدلية الإفراد والتركيب: ٢٩٠ .

في قوله (لأخيك)، إذ جاء تقديم الخبر ليلقي الضوء على حقوق الإخوان ويخصّها بالاهتمام والرعاية لما في الإنسان من نوازع نفسيّة تجعله يؤثر نفسه على غيره ويهتمّ بها دون سواها .

وفي قوله (عليه السلام): "**احْذَرُوا الغَضَبَ فإنَّهُ نَارٌ مُحْرِقَةٌ**"[1].

تنوّعت الصورة في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة من حيث طرفا التشبيه، فهي تجمع بين طرفين: عقليّ وهو (الغضب)، وحسيّ وهو (النار)، وجاءت خالية من أداة التشبيه ووجه الشبه، فهي قائمة على العنصرين الجوهريين فحسب، وهذا الأسلوب بخلوّه من الأداة يتميّز بالمطابقة التامة بين المشبّه والمشبّه به، وبتجرّده من وجه الشبه يتميّز بإجمال التقريب بينهما مما يسمح باعتبار (التشبيه البليغ) يسوي بين المشبّه والمشبّه به تسوية تامة[2]، فالغضب في ثورته وهيجانه هو النار المحرقة التي تفتك بالناس والأشياء فيحيلها إلى رماد من دون تمييز أو اكتراث، وأراد الإمام (عليه السلام) بذلك التنفير من الغضب والحثّ على تجنّبه؛ لأنّه من الصفات الذميمة، مستعينًا بالتشبيه لبيان مدى خطورة هذا الأمر وآثاره السيئة، فيشبّهه (عليه السلام) بالنار وهي معنى حسّيّ؛ تقريبًا للمعنى وتجسيدًا له إذ إنّ مثل هذا التشبيه يكسب الصورة قوة ويضاعف تأثيرها في النفس؛ لأنّ الأشياء المحسوسة مأنوسة مألوفة لدى الإنسان إذ يلتقطها بحواسه منذ خروجه إلى الوجود وتفتّح عينيه على مظاهر الطبيعة الشاخصة من حوله[3].

ويرسم الإمام عليّ (عليه السلام) صورة تشبيهيّة أخرى تتلاحم فيها المدركات العقلية بالحسّية وتمتزج فيما بينها امتزاجًا فنيًّا في قوله: "**عَلَيْكَ بِالحِكْمَةِ فإِنَّها الحِلْيَةُ الفَاخِرَةُ**"[4].

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٩٢ .

٢) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٥٠ .

٣) ينظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية: شفيع السيد، (د.ط)، مكتبة الشباب . القاهرة، ١٩٧٧م: ٧٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٥٤ .

الحديث هنا يدور عن (الحكمة)، إذ ينصح بها الإمام (عليه السلام) في قوله: (عليك)، و(عليك) من أسماء الأفعال الدالة على الأمر[1]، وهي بمعنى (الزم)، فالإمام (عليه السلام) صاحب الحكمة ومنبعها العذب، يأمر المسلمين بالالتزام بها؛ بوصفها من المعاني الإنسانيّة النبيلة، ولن نطيل الحديث عن الحكمة، إذ فصّلنا الحديث عنها في بداية هذه الرسالة، وما يهمنا هنا الصورة التشبيهيّة التي عمد إليها الإمام عليّ (عليه السلام) لتقريب المعنى وتجسيده، إذ يربط (عليه السلام) بين الحكمة وهي طرف عقليّ، والحلية الفاخرة وهي طرف حسّيّ، في صورة تشبيهيّة خالية من الأداة ووجه الشبه؛ ليفسح لمخيلة القارئ إيجاد علاقات ترابطية تجمع بين المشبّه والمشبّه به في سماتٍ وصفاتٍ مشتركة تسوّغ الجمع بينهما، ويبدو من خلال الصورة التشبيهيّة البليغة التي أوردها الإمام (عليه السلام) أنّ وجه الشبه هو الجمال والعزة والهيبة، التي يكتسبها الإنسان باتّصافه بالحكمة قولاً وفعلاً، فهي كالرداء الجميل الذي يُكسب صاحبه رونقًا وبهاءً .

وهناك من التشبيه ما يستغني فيه المنشئ عن أدوات التشبيه، فيميل إلى التشبيه بـ(المصدر) وهو لون من ألوان التشبيه، وصفه ابن الأثير بقوله: "من محاسن التشبيه أنّ يجيء مصدريًّا كقولنا: أَقْدَمَ إقْدَامَ الأسد، وفاض فيضَ البحرِ، وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه"[2]. وعلى هذا الشكل من التشبيه جاءت حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة "**غَالِبِ الهَوَى مُغَالَبَةَ الخَصْمِ خَصْمَهُ وحَارِبْهُ مُحَارَبَةَ العَدوِّ عَدُوَّهُ**"[3].

يضعنا الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة أمام صورة تشبيهيّة خالية من أداة التشبيه ووجه الشبه، وقد امتزجت فيها المدركات العقليّة بالحسّية في صورة حركية يشعر فيها المتلقّي بأنّه في ساحة من سوح الوغى، ويأتي استعمال الألفاظ (مغالبة، الخصم، محاربة، العدو) ليعمّق الإحساس بذلك، إذ عمد الإمام (عليه السلام) إلى استعمال هذه الألفاظ ليجعل الهوى . وهو ميل النفس إلى أهوائها . عدوًّا

---

1) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/٣٠٢ .

2) المثل السائر: ٢/١٢٤ .

3) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٨ .

لدودًا يجب محاربته بقوة وحزم وإصرار على الفوز، فجاء التشبيه بالمصدر في (محاربة) و(مغالبة) ليحقّق ذلك، وتبرز دقّة اختياره (عليه السلام) للكلمات في دلالاتها الإيحائيّة الكثيفة، فضلاً عن انسيابها الموسيقيّ الذي عمل التكرار في(غالب، مغالبة) و(حارب، محاربة) و(الخصم، خصمه) و(العدوّ، عدوّه) على تحقيقه، إذ ورد في الحكمة القصيرة بطريقة تدلّ على مهارة في استعمال الألفاظ وجرسها بدلالات عميقة جسّدت المعنى تجسيدًا دقيقًا، فضلاً عمّا أشاعه أسلوب الأمر (غالبْ) و(حاربْ) من قوة معنويّة توحي بوجوب الالتزام بهذا الأمر ممّا يجعله ذا قيمة دلاليّة تثير انتباه السامع وتشدّه إليها .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**اللهَ اللهَ عِبادَ اللهِ أنْ تَتَّزِرُوا رِدَاءَ الكِبْرِ، فَإنَّ الكِبْرَ مَصْيَدَةُ إبْلِيْسَ العُظْمَى التي يُسَاوِرُ بِهَا القُلُوبَ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ القَاتِلَةِ**"[1].

تبدأ حكمة الإمام (عليه السلام) بتكرار لفظ الجلالة (الله) وهو لفظ يحمل في طياته معنًى مقدَّس، أسهم في إعطاء النصّ شحنة عالية من الانتباه والترقّب، إذ عمل هذا التكرار على استقطاب انتباه السامع ليأخذ التحذير بعدًا إيحائيًّا مؤثّرًا، فالإمام (عليه السلام) يحذّر من الكبر واصفًا إياه بـ(مصيدة إبليس العظمى) في صورة تشبيهيّة بليغة حذف فيها (عليه السلام) أداة التشبيه ووجه الشبه ليعلن عن خطورة الكبر وآثاره السيئة ولا سيما أنّه مقترن بإبليس العدو الأزليّ للإنسان، فالكبر هو المصيدة التي يتربّص بها إبليس ليوقع فيها صغار النفوس الذين ينقادون لوسوسته وخداعه، وأسهمت الاستعارة في قوله (عليه السلام) (رداء الكبر) في تشكيل الصورة، إذ يجعل (عليه السلام) الكبر رداء يستطيع المرء أن يرتديه فيقع في حبائل الشيطان أو يخلعه فيقطع بذلك حبائل الشيطان ومكائده، ولتأكيد الصورة وترسيخها ورد التشبيه بالمصدر (مساورة) ليمثّل البؤرة التي يرتكز عليها النصّ في تنفير الناس من صفة الكبر السيئة وتحذيرهم منها، فهذه الصفة الذميمة من شأنها أن تصرع القلب وتتمكّن منه تمكُّن السموم القاتلة من جسد الإنسان وروحه، فهي

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٧٥ .

تقضي على روحه الطيبة كما تقضي السموم القاتلة على حياته، فجاء التشبيه بالمصدر ليزيد الصورة ثراء وقوة وعمقًا مما يجعلها راسخة في ذهن المتلقّي .

وقد يأتي التشبيه في مجال ترغيب الناس وحثّهم على الأعمال الصالحة المفيدة، وممّا وردَ من هذا المعنى في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة قوله: **"قُرِنَتْ الهَيْبَةُ بِالخَيْبَةِ والحَيَاءُ بِالحِرْمَانِ، والفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الخَيْرِ"**[1].

يحثّ الإمام (عليه السلام) المخاطب على أن يكون قويًّا وذا همة عالية وإرادة قوية للأخذ بالفرصة في الحياة، والابتعاد عن الضعف والتردّد اللذين يؤديان إلى الخيبة والحرمان، وقد ورد هذا المعنى في صورة تشبيهيّة بليغة، موظّفًا (عليه السلام) التشبيه بالمصدر لتحقيق ذلك، فالفرص في الحياة قليلة، وما يذهب منها قد لا يعود أبدًا، ويشبه (عليه السلام) سرعة مرورها بـ(مرّ السحاب) ووجه الشبه بينهما شدّة السرعة، وقصر المدة، حاثًّا الإنسان على ضرورة انتهاز المفيد منها والمبادرة إليه قبل فوات الأوان .

نلحظ من كلّ ما تقدّم أنّ للصورة التشبيهيّة أثَرها الواسع عند الإمام عليّ (عليه السلام) في عرض الأفكار والتعبير عنها بعبارات قصيرة موجزة ذات بلاغة عالية وتأثير كبير، امتزجت فيها المدركات العقليّة بالحسّية لتصبّ في إطار واحد هو إرشاد الناس ونصحهم وهدايتهم إلى جادة الصواب، وكان للتشبيه البليغ الدور الأكبر في القيام بهذه المهمة الإصلاحيّة، وهذا ما سيوضحه الجدول الآتي الذي سأرصد فيه عدد مرات ورود الصورة التشبيهيّة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة:

التشبيه بالأداة	التشبيه البليغ	التشبيه بالمصدر	المجموع	النسبة المئوية
الكاف: ٢٥٣	٥٨٣	١٤	٨٨٩	%٧
مثل: ٢١				

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٠٦/١٨ .

كأن: ١٨				

المبحث الثاني

الصورة الاستعاريّة:

الاستعارة لغة: من العارية، تقول تعوّر واستعار، طلب العارية، واستعاره الشيء، واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه [١] .

أما في الاصطلاح: فلعلّ أبا عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) كان من أقدم الذين عرّفوا الاستعارة بقوله: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[٢]، وعرّفها عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) بأنّها "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"[٣] وهذا ما يراه السكاكيّ (ت٦٢٦هـ) في تعريفه للاستعارة قائلاً: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاًّ على ذلك بإثباتك للمشبه بما يخصّ المشبه به"[٤]، فالاستعارة على نحو ما تقدّم وسيلة من وسائل التصوير البيانيّ القائم على "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[٥]، وقد عدّها بعضهم من أعظم أدوات رسم الصورة لأنّها قادرة على تصوير الأحاسيس الفاترة، وانتشالها وتجسيدها تجسيداً يكشف عن ماهيتها بشكل يجعلنا ننفعل انفعالاً عميقاً بما تنضوي عليه[٦].

ولعلّ من أفضل ما قيل في توصيف وظيفتها الدلاليّة والفنيّة، ما ذكره عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) في أسراره: "أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من

---

١) ينظر: لسان العرب مادة (عور) .

٢) البيان والتبيين: ١/١٥٣ .

٣) دلائل الإعجاز: ٦٧ .

٤) مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكيّ (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، ط١، دار الرسالة ـ بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ٥٩٩.

٥) علم البيان دراسة تحليلة لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح، ط٢، مؤسسة المختار ـ القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ٦٩، وجواهر البلاغة: ٢٦٤ .

٦) ينظر: التصوير الاستعاري في الشعر، عدنان قاسم، مجلة الثقافة العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ القاهرة، ع٧، تموز ١٩٥٨م: ٥٨ .

اللفظ ... فإنّك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية ... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جسمت حتى رأتها العيون"[1]، وهذا يعني أنّها تنفرد بقدرتها المتميزة على تحميل النصّ ما لا يبدو من ظاهر اللفظ، أو بدائي المعنى، وإنما تؤلف بين هذا وهذا في عملية إبداع جديدة تضفي على اللفظ إطار المرونة والنقل والتوسع، وتضيف إلى المعنى مميزات خاصة نتيجة لهذا النقل الذي دلّ على معنى آخر، لا يتأتى من خلال واقعه اللغويّ [2] .

وتعدّ الاستعارة عند الإمام عليّ (عليه السلام) من الأساليب التصويريّة بل إنّها تعدّ من المهيمنات الأسلوبية البارزة في نهج البلاغة [3].

ويغلب على استعاراته (عليه السلام) استعمال الاستعارة المكنية "وهي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه"[4] وتتماز هذه الاستعارة "بدرجة أوغل في العمق، مرجعه إلى خفاء لفظ المستعار وحلول بعض ملائماته محلّه، مما يفرض على المستقبل تخطّي مرحلة إضافية في العملية الذهنية التي يكشف أثرها حقيقة الصورة الفنية"[5] .

وهكذا استثمر (عليه السلام) الاستعارة المكنية استثمارًا واضحًا في خلق دلالات جديدة تؤدّي غرضها الفنيّ بشكل يثير المتلقي ويحقق له عنصريّ المتعة والمفاجأة من جانب، والإقناع العقليّ من جانب آخر، وذلك من خلال قدرتها على "تجسيد المعنويات وتشخيص المجردات وخلع الحياة على ما لا حياة فيه"[6].

---

١) أسرار البلاغة: ٤٣ .

٢) ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ١٣٥ .

٣) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد، ٢٠٠٨م: ٢١٧ .

٤) معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٤٥ .

٥) خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٦٦ .

٦) علم البيان: محمد مصطفى هدارة، ط١، دار العلوم العربية. بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م: ٢٣١، وينظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية: ١٣٣ .

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة داعيًا وقاصدًا الاستغفار ومحثًّا عليه: "**تَعَطَّرُوا بالاسْتِغْفَارِ لا تَفْضَحْكُمْ رَائحةُ الذُّنُوبِ**"[١].

لقد جسّد الإمام (عليه السلام) (الاستغفار) و (الذنوب) وهما مدركان عقليّان بأنْ استعار لهما مدركًا حسيًا هو (الرائحة)، وبذلك يكون الإمام (عليه السلام) قد اعتمد الاستعارة المكنية في إيصال المعنى وتجسيده، من خلال تشبيه الاستغفار وهو طلب المغفرة من الله عزّ وجلّ بأن يتضرّع العبد لخالقه راجيًا منه التستر على ذنوبه والعفو عنها بالرائحة الطيبة، فحذف المشبه به وأبقى على لازمه من لوازمه وهي (التعطّر)، ولا يكون التعطّر إلا بالرائحة الزكيّة التي ينجذب لها الإنسان ويرتاح إليها، وكذلك فعل مع الذنوب، إذ جعل لها (عليه السلام) رائحة سيئة قبيحة تتلبّس صاحبها معلنة عن أعماله السيئة وأفعاله الرديئة، ونلحظ أنّ التجسيد أضفى على الصورة بعداً دلاليًّا مؤثرًا، بتحويل المعاني الذهنيّة الإدراكيّة إلى معانٍ يألفها المتلقي بمنحها صفات حسّية تُرى أو تُلمس أو تُشم أو تُذاق [٢].

ولنتأمل الاستعارة المكنية في حكمة قصيرة أخرى من حكمه (عليه السلام) يدعو فيها الإنسان إلى نيل رضا الله ورحمته بالتمسّك بطاعته والمحافظة عليها إذ يقول: "**الطَّاعَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**"[٣].

عمل الإمام عليّ (عليه السلام) على تجسيد أهمية الطاعة في وعي المتلقي من خلال تركيبة حسّية موحية، فخلع على (الطاعة) وهو معنى عقليّ، صفة حسّية نلمسها في قوله (عليه السلام) (تطفئ)، و"طفئت النار، تطفأ طفوءًا خمد لهبها وبرد جمرها"[٤]، وبهذا فهو (عليه السلام) يشبه غضب الله سبحانه وتعالى بالنار المتوهجة التي لا تطفأ إلا بتجنب معصيته والخضوع له والامتثال لجميع أوامره ونواهيه، فالصورة جسّدت أهمية الطاعة في "تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٩٧ .

٢) ينظر: الصورة الفنية: عبد الإله الصائغ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد، ١٩٨٧م: ٤١٧ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢ .

٤) معجم العين: مادة (طفأ) .

مشاهدًا مرئيًّا، فينقل السامع من السماع إلى حدّ المشاهدة والعيان وذلك أقوى في التأثير وابلغ في البيان"[١].

ومن قصار حكم الإمام (عليه السلام) قوله في بيان أهمية التقوى في سلوك المسلم الإيمانيّ: "**مَنْ تَعَرَّى عَنْ لِبَاسِ التَّقْوَى لَمْ يُسْتَرَ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا**"[٢].

في هذه الحكمة نلحظ صورة مجسدة قدّمتها لنا الاستعارة المكنية، إذ يجسد الإمام (عليه السلام) (التقوى) بإضافتها إلى لفظة لباس، تشبيهًا لها بالثوب الذي يرتديه الإنسان ويستر به جسده أمام الناس والخلائق، وقد حذف المشبه به وأبقى على لازمه من لوازمه وهو (اللباس)، ليدلّل على عظيم شأن التقوى وانفرادها بستر الإنسان يوم القيامة، وحمايته من عقاب الله وسخطه وعذابه، ولعلّ جمال الصورة الاستعاريّة هنا تكمن في قدرتها على إثارة المتلقي وتنبيهه لأن تجسيد الأشياء يكسبها شحنه إيحائيّة جديدة يقرّرها في ذهن السامع، لذا عمد (عليه السلام) إلى إسباغ الماديّ (لباس) على المعنويّ (التقوى)، تحقيقاً للغاية المقصودة من الحكمة وهي الحثّ على تقوى الله بوصفها كفيلة بنجاة الإنسان يوم البعث والحساب، ولعلّ الإمام (عليه السلام) في هذه الاستعارة يتناص مع قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٣]، ومع كون الاستعارة هي ذاتها في النصين (القرآن الكريم، والحكمة الشريفة)، إلاّ أنّ هذا النمط من التناص مع القرآن الكريم لم يحرم الاستعارة الواردة في حكمة الإمام (عليه السلام) من عنصر الإجادة؛ سواء على صعيد الحبكة البنائية، أم على صعيد الثراء الدلاليّ والقدرة على التأثير في المتلقي.

ويرسم الإمام (عليه السلام) صورة تجسيديّة أخرى من خلال الاستعارة المكنية فيقول في إحدى حكمه القصيرة قاصدًا التوبة وحاثًّا عليها: "**بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لِمَن**

---

١) البيان في ضوء أساليب القرآن: ٦٣ .

٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٣٧ .

٣) الأعراف: ٢٦ .

أرداها، فَتُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوْحاً عَسَى رَبُكُمْ أنْ يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيئاتِكُم"[١]، والتوبة هي "الإنابة والرجوع، وليس يمكن أن يرجع الإنسان عمّا فعله إلا بالندم عليه، والعزم على ترك معاودته"[٢]، وهي من المفاهيم الإسلاميّة التي أكّد عليها الله سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم منها قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٣]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٤]، لذا يجسّد (عليه السلام) مفهوم التوبة مستعيراً لها لفظة (باب) تشبيهاً لها بالبيت الآمن الذي يفتح بابه لاستقبال النادمين والعازمين على ترك ذنوبهم وخطاياهم في صورة حسّية رائعة تتمثّل فيها الدقة في اختيار الألفاظ الملائمة لأجل التأثير في المتلقي فالتجسيد عملية نفسية صرف، ووظيفته التأثير في نفس المتلقي وإثارة انفعاله المناسب عن طريق تجسيد المعاني المجردة في صور حسيّة[٥] .

ويقول الإمام (عليه السلام) في إطار التوظيف الذهنيّ لطبيعة الصورة الاستعارية المتعلّقة بالاستعارة المكنية: "**ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وثَمَرَةُ الحَزْمِ السَّلامَةُ**"[٦] .

ينتقل الإمام (عليه السلام) في حكمته القصيرة هذه من المفاهيم الدينيّة الروحيّة إلى الإرشاد والتوجيه المتعلقان بحياة الإنسان وسلوكه الصحيح فيها، وقد توزعت فيها الاستعارة بشكل لطيف في قوله (عليه السلام) (ثمرة التفريط) و (ثمرة الحزم)، والتفريط هو التقصير في العمل [٧]، أما الحزم فهو "ضبط الرجل أمره والحذر من

---

١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٩ /٤٤٢ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٠٤/٢٠ .

٣) البقرة: ٢٢٢ .

٤) طه: ٨٢ .

٥) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغية العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ١٧٧ .

٦) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥٣٢/١٨ .

٧) ينظر: لسان العرب: مادة (فرط) .

فواته"[١]، ويشبه (عليه السلام) كل من التفريط والحزم بالشجرة المثمرة، وقد حذف المشبه به وابقى على لازمه من لوازمه وهي (الإثمار)، فثمار الأولى مرارة الألم وطول الندم، وثمار الثانية السلامة والراحة والأمان، واستطاعت الصورة الاستعاريّة أن تقدّم لنا المعنى بأفضل وسيلة عن طريق تجسيد المعاني الذهنيّة بصفات ماديّة محسوسة هي الأكثر تأثيراً في وعي المتلقي وإدراكه، فضلاً عما حققه التضاد في لفظتي (السلامة × الندامة) من دلالة إيحائيّة عملت على إيضاح نوع المغايرة الحاصلة في سلوك الفرد وتصرفه إزاء الأشياء .

إن الخير والشرّ من الثنائيات المتضادة التي تؤثر في سلوك الإنسان سلبًا وإيجابًا، ولا يستطيع الفرد أن يسلك طريق الخير إلا بمقاومة نوازع الشرّ في كوامن نفسه والقضاء عليها، لذا قال الإمام عليّ (عليه السلام) في واحدة من حكمه القصيرة: "**إحْصِدْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِك بِقَلعِهِ مِنْ صَدْرِك**"[٢] .

لقد جاءت دعوة الإمام (عليه السلام) للتخلّي عن الشرّ عن طريق صورة مجسدة حققتها لنا الاستعارة المكنية، فقد استعار (عليه السلام) لفظة (الحصاد) للشرَّ وهو مفهوم عقليّ، وبذلك أضفى عليه صفة ماديّة إذ جعله شبيهًا بالزرع لأنّه لا ينمو ولا يزيد إلا بسقي الإمارات الباعثة عليه وتواترها، ولا يكون نقصانه وعدمه إلا بنقصانها وعدمها[٣]، ولتستكمل الصورة أبعادها الإيحائيّة المؤثرة حذف المشبه به وذكر لازمة من لوازمه وهي (الحصاد) وهو معنى حسّي يعرفه المتلقي، مما أسهم في رفد الصورة وتوضيحها وتقريبها إلى الذهن، فلا يستطيع الإنسان أن يفتح طريق المحبة والوئام في قلوب الآخرين إلا بقلع نوازع الشرّ من صدره والقضاء عليها .

ومن المقاصد الأخلاقيّة التي جسّدها الإمام (عليه السلام) قوله في إحدى حكمه القصيرة: "**مَنْ لَبَسَ الكِبْرَ وَالسَّرَفَ خَلَعَ الفَضْلَ وَالشَّرَفَ**"[٤].

---

١) المصدر نفسه: مادة (حزم) .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥٢٩/١٨ .

٣) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٤٠٦/٥ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٦٢ .

جاءت الصورة الاستعاريّة في حكمة الإمام (عليه السلام) الشريفة منسجمة مع الغرض الفكريّ، والإطار الكليّ الذي استهدفه النصّ، وهو ضرورة الالتزام بالصفات الخلقيّة الجيدة التي تعزّ صاحبها وتسمو به، والابتعاد عن الصفات السيئة بخلعها والتنزّه عنها، وشكّل (عليه السلام) صورته عن طريق الاستعارة المكنية مشبهًا (الكبر والسرف والفضل والشرف) بالثياب التي يرتديها الإنسان، وحذف المشبه به الذي نستدلّ عليه من لفظتي (خلع) و(لبس)، فالصورة تشير إلى إن الصفات الخلقية الحسنة والسيئة لا تجتمع في ذات الفرد في آن واحد فمتى ما اختار واحدة منها تجرّد عن الأخرى وهي دعوة صريحة للالتزام بالصفات الخلقيّة الجيدة والتمسّك بها .

ويقدّم لنا (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**المُؤْمِنُ يَنْظُرُ إلى الدُّنْيَا بِعْينِ الاعْتِبَارِ وَيَقْتَاتُ فِيَها بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ وَيَسْمَعُ فِيَها بِأُذُنِ المَقْتِ وَالإبْغَاضِ**"[1].

يتكئ النصّ على الاستعارة المكنية في بيان صفات المؤمن وكيفية تعامله مع الدنيا من خلال استعارة مكنية قائمة على التشخيص، والتشخيص هو إضفاء الطابع الإنسانيّ أو الخصال البشريّة على أشياء أو كائنات غير إنسانيّة سواء كانت حية أم جامدة[2]، فيشخّص (عليه السلام) هذه الصفات فيجعل للاعتبار عينًا، وللاضطرار بطنًا، وللمقت والإبغاض أُذناً، مما أسهم في أغناء المعنى وعرضه بطريقة فنيّة مشوقة؛ تهزّ النفوس وتوقظ الأذهان، أراد من خلالها الإمام (عليه السلام) التأكيد على ضرورة الحذر من الدنيا والحرص على عدم الانخداع بمباهجها الزائلة، وهي صورة ذهنيّة حسّية تنمّ عن تجربة حكيم خبير، عرف الدنيا وخبرها بخيرها وشرّها.

ويوظّف (عليه السلام) الاستعارة المكنية في بيان عاقبة الإنسان ونهايته الأكيدة معتمدًا على التشخيص باعتباره أداة فعالة في إثارة المتلقي إذ يقول: "**إنّكُمْ طُرَدَاءُ المُوْتِ الّذي إنْ أقَمْتُمْ أخَذَكُمْ وَإنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أدْرَكَكُمْ**"[3].

---

١) المصدر نفسه: ٦٧ .

٢) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٢٥ .

٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٤٩ .

يشخّص الإمام (عليه السلام) الموت بجعله قادرًا على (الأخذ، والملاحقة) تذكيرًا للإنسان بمصيره المحتوم الذي لا مهرب منه، وهذا ما يؤكده قوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [1]، واعتماد الحكمة على هذه الصورة التشخيصية أكسبتها دلالات إيحائيّة مؤثرة، عمد إليها الإمام (عليه السلام) ليحثّ الإنسان من خلالها على الجدِّ والعمل الصالح مستثمرًا وقته القصير فيما ينفعه في حياته الأبديّة الأخرى .

ويبيّن (عليه السلام) أهمية التقوى والورع في عقيدة المسلم ومنهجه الإيمانيّ في إحدى حكمه القصيرة إذ يقول: "**مُخُّ الإِيمَانِ التَّقْوَى وَالوَرَعُ، وهُمَا مِنْ أَفْعَالِ القُلُوبِ، وَأَحْسَنُ أَفْعَالِ الجَوَارِحِ ألاَّ تَزَالَ مَالئاً فَاكَ بِذْكِرِ اللهِ سُبْحَانَه**"[2] .

في هذه الحكمة القصيرة نجد أنّ التشخيص قد ألقي بظله على الصورة الاستعاريّة، إذ يشخص الإمام (عليه السلام) الإيمان بأن يجعل له (مخ)، ولأنّ المخ أو العقل هو أهم ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات عمد (عليه السلام) إلى الصورة الاستعاريّة ليبيّن أهمية التقوى والورع في تميز إيمان الفرد واستحسانه وقبوله، إذ إنّهما مخّ الإيمان وأساسه ومرتكزه .

ومن صور الاستعارة المكنية التي كان للتشخيص فيها أثر مهم وبارز قوله (عليه السلام) في إحدى حكمه القصيرة: "**لا تَشِنْ وَجْهَ العَفْوِ بالتَّقْرِيعِ**[3]" [4] .

تدور حكمة الإمام (عليه السلام) الشريفة في الدعوة إلى الصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة المتمثلة بالعفو والصفح عن الإساءة، عفوًا خالصًا من كل شائبة تشينه، لذا عمد (عليه السلام) إلى تشخيص العفو بأن جعل له (وجهًا) وهذا الوجه يعيبه كثرة التأنيب والتعنيف اللذين يذهبان بجماله وحسنه، لذلك ينهى عنهما الإمام

---

١) العنكبوت: ٥٧ .

٢) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٢٣ .

٣) شان ضد زانه، أي قبّحه، ينظر: المعجم الوسيط: مادة (شانه)، التقريع: التعنيف .

٤) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٨٥ .

(عليه السلام) بعبارة إنشائيّة ذات دلالة صريحة تصدّرت حكمته القصيرة هي (لا تشن) و(لا الناهية) "موضوعة لطلب الترك، وتختصّ بالدخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله"[1]، مطالبًا (عليه السلام) المسلمين بترك هذا السلوك السيئ والابتعاد عنه .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**أَلا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ الجَنَّةَ، فَلا تَبِيعُوهَا إِلاّ بِهَا**"[2] .

نجد في هذه الحكمة التي جاءت في سياق التوبيخ الذي يوجهه الإمام (عليه السلام) إلى المتمسكين بالدنيا والمطمئنين إليها، صورة استعاريّة مؤثرة، فقد استعار (عليه السلام) وصف (اللّماظة) . وهي ما يبقى في الفم من الطعام . للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها[3]، فالدنيا في نظره (عليه السلام) كبقايا الطعام في فم الإنسان، وحذف المشبه وهو (الدنيا) وأبقى على المشبه به (اللّماظة) ويسمى هذا الضرب من الاستعارة بـ(الاستعارة التصريحية)[4].

وعلى الرغم من قلّة ورود هذا اللون في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) إلا أنّه على قلته كانت له دلالات ومعان مؤثرة، لها وقعها الخاص في دائرة النصح والإرشاد التي تدور فيها حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة .

وإذا ما عدنا إلى حكمته (عليه السلام) نجد أنَّ للصورة الاستعاريّة وقعًا مميزًا في التنفير عن الدنيا وبيان مدى قلّتها وضآلتها، فضلاً عن الأساليب الأخرى التي تضافرت مع الاستعارة للوصول إلى الغرض العام الذي استهدفه النصّ، إذ يبدأ الإمام حكمته الشريفة بالاستفهام بـ(ألا)[5]، وخرجت (ألا) إلى معنى التوبيخ الذي يوجهه (عليه السلام) للمغترين بالدنيا والمطمئنين إليها، ثم ينتقل إلى التعليل والإجابة

---

١) مغني اللبيب: ٢٦٢/١ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٩٧/٢٠ .

٣) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٥٣٥/٥ .

٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٥٥/١ .

٥) (ألا) مكونة من حرفين إحداهما همزة الاستفهام، والأخرى (لا) النافية للجنس، فلا تعدّ حرفًا واحدًا، بل حرفين، ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٣ .

بـ(أن) التي تفيد التوكيد لبيان ذمّ الدنيا مؤكدًا على أن الجنة هي الملاذ الآمن الوحيد الذي يجب أن يطمئن إليه الإنسان ويسعى نحوه مقتبسًا ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ [1]ثم يؤكد هذه الحقيقة بواسطة القصر بـ(لا ... إلاّ) وبهذا فأنّه (عليه السلام) لا يترك مجالاً للشكّ في ضآلة حجم الدنيا وقلّة شأنها، وعلو شأن الآخرة التي يجب على الإنسان أن يسعى لها.

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**أتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَى وإنْ قَلَّ؛ وَأجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْرًا وَإنْ رَقَّ**"[2] .

تبدأ الحكمة الشريفة بفعل الأمر (أتقِ)، إذ يأمر (عليه السلام) المسلمين بالتقوى "لأنّها الزاد إلى الله، ولما كان الاستكثار منها مستلزمًا للقرب من الله وسرعة الوصول إليه، كان الأولى كثرتها وإلا فالبعض منها وإن قلّ؛ لأنَّ لها الأقليّة والأكثرية والاشديّة والاضعفيّة ولا يجوز ترك الزاد بالكلية في الطريق الصعبة الطويلة"[3]، فخلع الإمام (عليه السلام) على (التقوى) وهو معنى عقليّ، صفة حسّية هي (القلة) في استعارة مكنية تشدّ المتلقي وتثير انتباهه، ولأنّ من دواعي التقوى الحذر والاحتراز من تخطّي حدود الله؛ يستعير (عليه السلام) لفظة (الستر) لحدود الله في استعارة تصريحيه، يحثّ فيها على مراعاة هذه الحدود والمحافظة عليها بوصفها الساترة من غضب الله وسخطه وعذابه .

وبالنظر إلى السياقات التي وظفت فيها الاستعارة عند الإمام عليّ (عليه السلام) نجد أنّها شملت مضامينًا وأغراضًا متنوعة بدءًا من الجانب الدينيّ وانتهاءً بالسلوك الأخلاقيّ القويم الذي حرص الإمام (عليه السلام) على خطه وتوضيحه للمسلمين وللعالم اجمع .

وفيما يأتي جدول بالاستعارات الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة:

---

١) التوبة: ١١١ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٧١/١٩ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٤٣٢/٥ .

الاستعارة المكنيـــة	الاستعـارة التصريحية	المجموع	النسبة المئوية
٣٤٧	١٢	٣٥٩	٣%

المبحث الثالث

الصورة الكنائيّة:

الكناية لغة: مصدر من الفعل (كنى)، وهو أن تتكلم بالشيء، وتريد غيره[١] .
أما اصطلاحًا: فهي "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[٢]، وهذا يعني أنَّ الكناية لا تقف عند حدود الدلالة المباشرة للألفاظ، وإنّما تكمن بلاغتها في معناها الثاني، لأنَّ المعنى الظاهر يفهمه المتلقي ولا يسير إليه ولكنه يسير في المعنى الثاني ويحلّق في أجوائه، وهذا هو

١) ينظر: لسان العرب: مادة (كني) .
٢) دلائل الإعجاز: ٦٦ .

هدف الكناية لأنّها تريد المعنى الثاني الذي يستفاد من المعنى الأولي للفظ لا من اللفظ نفسه[1]، ولهذا فقد وُصفتْ الكناية بأنَّها "بنية ثنائية الإنتاج، حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي موازٍ له تمامًا بحكم المواضعة، لكن يتمُّ تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات، فإذا لم يتحقق هذا التجاوز، فإنّ المنتج الصياغي يظلّ في دائرة الحقيقة"[2] .

ولعلّ خصوصية الكناية وقيمتها الدلاليّة تتمثّل في قدرتها على إثارة المتلقي فيما تشكّله "من رمز أو إشارة أو تلويح أو إيماء يظل منوطاً بالقارئ، (أو المتلقي) ليكشف فضاءه أو يغور إلى أعماق تربته"[3]، فهي تعمل في العقول عمل الإفصاح والكشف[4]، لذا عُدّتْ الكناية أبلغ من التصريح، لأنّها تسهم في تأكيد المعنى وترسيخه في ذهن السامع وهذا ما رآه عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) بقوله: "أنّك لما كنيت عن المعنى، .. زدتْ في إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشدّ، فليس المزية في قولهم (جمُّ الرماد) أنّه دلّ على قرى أكثر، بل إنّك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابًا هو أشدُّ وأدعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق"[5]، وللصورة الكنائيّة رونقًا خاصًا في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) نلمسه في قدرتها الإيحائيّة على إثارة انتباه السامع وشدّه إليها بصورة ذكية بعيدة عن التكلّف والتصنّع .

يقول الإمام (عليه السلام): "**احْذَرُوا صَوْلَةَ الكَرِيمِ إذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمِ إذَا شَبعَ**"[6].

---

١) ينظر: أصول البيان العربي: ١٤١ .

٢) البلاغة العربية قراءة أخرى: ١٨٧ .

٣) منزلة المتلقي في نظرية الجرجاني النقدية: حاتم صكر، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية . بغداد، ع٢، ١٩٩٠م: ١١٦ .

٤) ينظر: البيان والتبيين: ١/١١٧ .

٥) دلائل الاعجاز: ٧١ .

٦) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٣٤٣ .

يقدّم الإمام (عليه السلام) منهجًا سلوكيًا واضحًا في التعامل مع الكريم من النَّاس واللئيم منهم، بأسلوب فنيّ مميز متكئاً على الكناية في بيان ذلك، وأراد (عليه السلام) بالكريم شريف النفس ذو الهمة العالية، وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك مستلزم لثوران صمته وغضبه عند عدم التفات النَّاس إليه، إمّا اللئيم فهو عكس ذلك وشبعه كناية عن غناه وعدم حاجته وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللؤم[1]، وهذا النوع يسمى (كناية عن صفة)، وتختصّ بالمعاني التي يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم والشجاعة، وطول القامة، ونحو ذلك[2]، فالإمام (عليه السلام) وظّف هذه الصورة الكنائيّة في تحذير المخاطب وتوجيهه من خلال تعابير إيحائيّة مختصرة، ابتعد فيها عن المباشرة والتحديد والتصريح لتحريك الفكر وبعثه على التأمُّل، وتلك سمة من سمات الفنيّة في التعبير اللغويّ تبعده عن الرتابة التي تنشأ من طول استخدام الألفاظ في معانٍ محددة مألوفة[3]، فضلاً عما أشاعه التضاد في (الكريم × اللئيم) و(جاع × شبع) من تفاعل دلاليّ أسهم اسلوب الأمر (احذروا) بما يمتلكه من قدرة على شدّ السامع وإثارته، في دعمه وتعميقه .

ويستثمر(عليه السلام) قدرة الكناية الخفية في استقطاب السامع وإثارة انتباهه إذ يقول ناصحًا وموجهًا: "**مَنْ تَرَكَ قَوْلَ: (لَا أَدْرِي) أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ**"[4].

إنّ الاختزال التركيبيّ للحكمة يفصح عن براعة الإمام (عليه السلام) في التعبير عن المعنى بصورة إيحائيّة مكثفة عملتْ الكناية على بلورته وتقديمه .

يقول ابن ميثم البحرانيّ: "ترك القول كناية عن القول بغير علم، وإصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والإضلال وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والآخرة"[5]، فالإمام (عليه السلام) ينصح المتلقي بعدم الخوض فيما لا يعلمه تحقيقًا لسلامته وأمنه، ولو أنّه (عليه السلام)

---

١) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٣٢٩/٥ .

٢) ينظر: المطول: ٦٤٢ .

٣) ينظر: التعبير البياني : ١٦١ .

٤) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٨٨/١٨ .

٥) نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٣٤٦/٥ .

أورد المعنى بدلالته المباشرة لما أدّتْ الكلمات تأثيرها الكبير الذي حققته الكناية لأنّ "إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غُفْلاً"[1].

وتأخذ الكناية دورها الفاعل في دائرة النصح والإرشاد الاجتماعيّ في حكمة قصيرة أخرى من حكمه (عليه السلام) يقول فيها: "**آلَةُ الرِّيَاسَةِ سِعَةُ الصَّدْرِ**"[2].

نلحظ أن الإمام (عليه السلام) عدل عن التصريح بالصفة التي يجب أن يتصف بها من يتولّى شؤون الناس وقضاياهم، وكنّى عنها بـ(سعة الصدر) إشارة إلى ما يندرج تحت مستلزمات سعة الصدر من الصبر والاحتمال، ولبيان أهمية هذه الصفة في المحافظة على الخط الإنسانيّ في علاقة الراعي برعيته، يأتي التركيب الاستعاري (آلة الرياسة) ليدلّ على أنّها الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها تقوم الرياسة وتتحقّق، يقول ابن أبي الحديد: " الرئيس محتاج إلى أمور: منها الجود، ومنها الشجاعة، ومنها . وهو الأهم . سعة الصدر فإنّه لا تتمّ الرياسة إلا بذلك"[3]، ومن هنا نجد أن التشكيل الكنائيّ قد حقّق غايته في نسيج البناء الاستعاريّ لإعطاء المعنى قوة تصويريّة وتعبيريّة ترسخه في ذهن المتلقي .

ويسخّر الإمام (عليه السلام) الصورة الكنائيّة في الحثّ على الأخلاق الحسنة الفاضلة إذ يقول في أحدى حكمه القصيرة: "**بِلِينِ الجَانِبِ تَأنَسُ النُّفُوسُ**"[4]

يرسم الإمام (عليه السلام) صورة كنائيّة لطيفة تبعث على الراحة والطمأنينة، إذ يكني بـ (لين الجانب) عن الأخلاق الحسنة المتواضعة، جاعلاً من هذه الصفة وسيلة مثمرة لاكتساب محبة الناس وقربهم ومودتهم، وهي صورة واقعية تجلّت بوضوح فيما أحدثه الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من انعطاف فكريّ واجتماعيّ في حياة العرب ما قبل الإسلام مستقطبًا النفوس إلى دين الإيمان

---

١) دلائل الإعجاز: ٧٢ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥٢٦/١٨ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٥٢٦/١٨ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٦٧ .

والرحمة بأخلاقه الحسنة الفاضلة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [1]، ويعزّز الإمام (عليه السلام) دلالة الصورة الكنائيّة بالعدول عن النمط المعتاد في تركيب الحكمة اللغويّ، وذلك بتقديم المعمول (بلين) على عامله (تأنس)، فأفاد بذلك التخصيص ولفت الانتباه إلى المتقدم بوصفه الوسيلة التي تنفرد باستمالة النّاس والفوز بمحبتهم .

وفي الكناية عن صفة قوله (عليه السلام) في حكمة أخرى: "**مَنْ نَظَّفَ ثَوْبَهُ قَلَّ هَمُّهُ**"[2].

استعمل الإمام (عليه السلام) (نظافة الثوب) لأنّه تعبير شائع في لغة العرب، وهو كناية عن العفاف والطهر[3]، والصورة الكنائيّة هنا تهدف إلى زرع العفاف والطهر في نفوس المسلمين وصولاً إلى راحة الدنيا، ونعيم الآخرة .

ومن هنا نجد أن الكناية عن صفة تأخذ دورًا بارزًا في ترسيخ الأخلاق الحسنة والصفات الفاضلة التي يسعى الإمام (عليه السلام) إلى غرسها في جوهر الإنسان المسلم وجعلها جزءً لا يتجزأ عن روحه وكيانه .

ومن الصور الكنائيّة التي وردت في حكم الإمام القصيرة قوله (عليه السلام): "**يَا بَيْضاءُ ابْيَضّي، وَيا صَفْرَاءُ اصْفَرّي؛ وَغُرَّا غَيْرِي**"[4].

تبدأ حكمه الإمام الشريفة باسلوب النداء الذي يوجهه (عليه السلام) إلى الفضة والذهب المكنّى عنهما بالبيضاء والصفراء مستثمرًا دلالة اللون في الإشارة إليهما، ويسمى هذا الضرب من الكناية (الكناية عن الموصوف) "وهي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف"[5]، وبالرغم من أنّ الإمام (عليه السلام) يخاطب نفسه مبينًا أن

---

1) آل عمران: ١٥٩ .

2) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٣٤٩/١٠ .

3) ينظر: التعبير البياني: ١٥٦ .

4) سجع الحمام في حكم الإمام: ٢٧١ .

5) المطول: ٦٤٢ .

الدنيا بزينتها وزخرفتها وما تحويه من مغريات مادية ... الخ، لا سبيل لها على مثله، إلا أنّنا نلمس في سياق الحكمة تحذيرًا واضحًا من الانجراف وراء أهواء الدنيا وزينتها المتمثلة بسلطة المال ومغرياته، ويشخّص (عليه السلام) هذه المغريات . الفضة والذهب . بأن يجعلها قادرة على الإغراء بما تمتلكه من مزايا وصفات تخدع الإنسان الضعيف الجاهل وتعمي بصره، فجاء النداء حاملاً طابع التحذير والتنبيه الذي يوجهه الإمام (عليه السلام) لمغريات الدنيا ومفاتنها معلنًا قدرته على مقاومتها وردعها ليقتدي به المسلمون ويسيروا على نهجه .

ويأخذ التحذير والتنبه دوره الإرشاديّ في حكمة أخرى من حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة إذ يقول: "**لِلظَّالِمِ البَادِي، غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ**"[1].

نلحظ في حكمة الإمام (عليه السلام) صورة كنائيّة مؤثرة، إذ يكنّي الإمام (عليه السلام) بـ(غد) عن يوم القيامة وبـ(كفه عضّة) عن الندامة والتفريط في جنب الله سبحانه وتعالى[2]، لبيان عاقبة الظالم ومصيره السيء، وهي صورة نلمسها تتناص مع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [3]، فجاءت الصورة الكنائيّة هنا لتنبيه الظالم وتحذيره من عذاب الله وسخطه يوم القيامة .

وبهذا فإن (الكناية عن الموصوف) ارتبطتْ في أغلبها بالتحذير والتنبيه الذي يسعى من خلاله الإمام إلى هداية الناس وإرشادهم، فهو (عليه السلام) يحمل هموم المسلمين والنّاس جميعًا .

وفيما يأتي جدول بضروب الكنايات الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة:

الكناية عن	الكناية عن	المجموع	النسبة المئوية

1) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٨/٤٩٦ .

2) ينظر: نهج البلاغة: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ٥/٤٠٨ .

3) الفرقان: ٢٧ .

صفة	موصوف		
٨٧	٥٩	١٤٦	١%

المبحث الرابع

الصورة الضديّة :

تعدّ الصورة الضديّة أحدى أهم الوسائل الفنيّة التي يعتمدها المبدع في بناء نصه الإبداعيّ وتكوينه؛ وذلك بالربط بين حالتين أو أكثر بعلاقة جدلية قائمة على التناقض أو التعاكس، تعمل على إثارة المتلقي وتحفّزه على الترقّب والتنبّه وصولاً إلى الترابط الدلاليّ المتولّد من حركة الثنائيات المتضادة، إذ إنّ استخدام الألفاظ استخدامًا ضدّيًا متعاكسًا يجعل صورة الضدّ ونقيضه واضحة جلّية للعيان؛ ومن ثم تسمح للمتلقي استخلاص الصحيح منها وذلك بمقارنته مع ضدّه السيء .

واصطلحت البلاغة العربية على أنّ للصورة الضديّة وسيلتين هما:

١- الطباق:

الطباق لغة: مصدر من الفعل (طبق) يقال: طابقه مطابقة وطباقًا، وتطابقًا، وتطابَقَ الشيئانِ تساويا، والمطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد[١] .

أما اصطلاحًا: فيسمى "التضاد والتطبيق والتكافؤ والمطابقة والمقاسمة"[٢]، وهو "أن يؤتى بالشيء وبضده في الكلام"[٣]، أي الجمع بين لفظين متضادين في الجملة، ويكون اللفظان المتضادان اسمين أو فعلين أو حرفين[٤].

واصطلح البلاغيون على تقسيم الطباق على نوعين رئيسين هما[٥]: طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابًا وسلبًا . وطباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي.

فالطباق أذن تعبير فنيّ قائم على التبايُن والتناقض، ترتبط دلالته بمقدار ما يثيره داخل السياق الأسلوبي من مشاعر ثرية تتصل بالصورة العامة للموقف[٦]، وبهذا يخرج عن كونه محسنًا للمعنى وفنًا من فنون البديع؛ إلى عنصر مهم من عناصر تشكيل الصورة الفنية، وذلك من خلال "اعتماد طرفين بينهما علاقة جدلية تتيح لهما أحياناً تبادل مكانيهما فلا نتصور بينها انفصالاً تامًا، أو اتصالاً تامًا، بل هنالك موافقة ومخالفة تحقق قدرًا مناسبًا من المشاركة تتيح للدلالة أن تبرز وتفيد"[٧].

ويشكّل الطباق أحد التأسيسات البنائيّة المهمة في قصار حكم الإمام عليّ (عليه السلام) لما يحويه من قدرة متفرّدة على تصوير الجوانب المتناقضة في شخصية الفرد وجوانب حياته المختلفة، وبذلك يكون التعبير عنها وسيلة مثمرة

---

١) ينظر: لسان العرب : مادة (طبق) .

٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٦/٣ .

٣) الايضاح: ١٩٧/٢ .

٤) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢٥٦/٢ .

٥) ينظر: الايضاح: ٢٩٠، ومختصر المعاني: ٢٦٥- ٢٦٦، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): ٢٧٧ .

٦) ينظر: فلسفة البلاغة: ٤٦٩ .

٧) جدلية الإفراد والتركيب: ٣٠٠ .

لتشخيص الجوانب السلبيّة ومحاولة إصلاحها. يقول الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة: "**أَحْيِ المَعْرُوفَ بِإمَاتَتِهِ**"[1].

إنّ الثنائية الضديّة بين (الحياة × الموت) من البديهيات التي ألفها الإنسان في حياته، فلا تحتاج إلى فكر أو تأمُّل لتشخيصها أو كشف الغطاء عنها، إلا أنّنا نجد أن الإمام (عليه السلام) قد وظّف هذه الثنائية بطريقة فنية تثير الفكر وتبعث على التأمُّل، فهو (عليه السلام) يحثّ المؤمنين بقوله (أحي) على تنمية المعروف والمحافظة على أجره وثوابه ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بـ(أماتته) أي عدم ذكره أو الإعلان عنه، فالألفاظ هنا أدّت دلالات مغايرة لما هي عليه، مما زاد في فنيّة النصّ، وقيمته الدلاليّة .

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ المصَائِبِ، ابْتَلاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا**"[2].

جاءت حكمة الإمام (عليه السلام) الشريفة في سياق التحذير من حالات ديمومة البلاء وشدته، الذي يصبُّه الله تعالى على عباده الجازعين عند المصائب الخفيفة، يقول ابن أبي الحديد: "ومن فعل ذلك استوجب السخط من الله تعالى، وابتلي بالكثير من النكبة وإنّما الواجب على من وقع في أمر يشقّ عليه، ويتألم منه، وينال من نفسه أو من ماله نيلاً ما، أن يحمد الله تعالى على ذلك"[3]، فنجد أن الثنائية الضديّة (صغار المصائب × كبارها) أعطت هذه الدلالة من خلال حركة انتقاله يفضي الأول منها إلى الآخر، لذا استعمل الإمام (عليه السلام) أسلوب الشرط لأنّه "يقتضي وجود جملتين بينهما علاقة مفادة من الأداة المزروعة في التركيب"[4]، والعلاقة المافدة من قوله (من عظّم) هو الإعلان عن النتيجة الحتمية التي ستحلّ بالجازعين في قوله (عليه السلام) (ابتلاه) تأديبًا لهم وزجرًا .

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٤٠ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٤٢/٢٠ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٤٤٢/٢٠ .

٤) جدلية الإفراد والتركيب: ١٧٨ .

ويعبّد الإمام (عليه السلام) طريق السعادة أمام المسلمين في حكمة قصيرة يقول فيها: "**أَسْعَدُ النَّاسِ نَفْعاً مَنْ تَرَكَ لَذَّةً فَانِيَةً لِلَذَّةٍ بَاقِيَةٍ**"[١].

وقع التطابق في النصّ الشريف بين لفظتين مثبتتين هما (فانية × باقية) فالفناء في اللغة نقيض البقاء، لأن الأول يدلّ على الهرم والموت[٢]، أمّا الثاني فيدلّ على الدوام[٣]، ولما كان الباقي "هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر ينتهي إليه، ويعبّر عنه بأنّه ابدي الوجود"[٤]؛ جاء الطباق في حكمته (عليه السلام) القصيرة، ليضع السامع عند النعيم الحقيقي والسعادة الأبديّة التي لا تتحقق إلا بترك ملذات الدنيا الزائلة والسعي الجادّ نحو الآخرة، بالتقوى والعمل الصالح .

ويتوشّج الطباق بحلية الاستعارة في حكمة أخرى من حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة يحذّر فيها المسلمين من السير في طريق الهلاك المؤدي إلى الخيبة والخسران يقول فيها: "**هَلَكَ مَنْ بَاعَ اليَقِيْنَ بِالشَّكِّ وَالحَقَّ بِالبَاطِلِ وَالآجِلَ بِالعَاجِلِ**"[٥] .

تضمّن النصّ مجموعة من المتناقضات التي تحدّد مصير الإنسان، ونهايته المتباينة بين السعادة والشقاء، وترتبط هذه المتناقضات فيما بينها بعلاقة جدلية يمكن توضيحها بالمخطط التالي:

اليقين ← الشكّ

الحقّ ← الباطل

الآجل ← العاجل

لقد أقامت كل لفظة علاقة ضديّة مع اللفظة المقابلة لها، أفصح عنها الاختلاف في دلالة هذه الألفاظ من ناحية المعنى فـ(اليقين، الحق، الآجل) هو طريق الإيمان المؤدي إلى الجنة، أما (الشك، الباطل، العاجل) فهو طريق الهلاك المؤدي

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٨ .

٢) ينظر: لسان العرب: مادة (فني) .

٣) ينظر: المصدر نفسه: مادة (بقي) .

٤) المصدر نفسه: مادة (بقي) .

٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٠ .

إلى النار، وقد وردت هذه الحقائق في سياق المطابقة التي أظهرتها بصورة واضحة جلية، وهيأت العقول أن تقارن بينها فلا تملك إلا أن تُسلّم بعدم تساويها، ومن ثم تنشط في اختيار النهج السوي والتزامه، واختيار النهج السوي يعني ترك الآخر وعدم التمسّك به، لذا عمد (عليه السلام) إلى إيراد المعنيين المتناقضين في سياق المبادلة بين الجانبين في صورة استعارية مجسدة، أضفى من خلالها صفة مادية هي (البيع) على مفهوم عقليّ معنويّ، تماشيًا مع دلالة الحكمة ومقصديتها الساعية إلى بيان الطريق الصحيح والحثّ على التزامه .

وإذا ما تركنا الجانب الروحيّ واتجهنا صوب الرؤية الاجتماعيّة في منهج الإمام عليّ (عليه السلام) الإصلاحيّ، نجده قد اتخذ من الطباق وسيلة فعّالة في التعبير عن خبرته الطويلة في التعامل مع الناس بأجناسهم المتنوعة وصفاتهم المتباينة، هذا إذا ما عرفنا أنّه (عليه السلام) قد عاش فترة عرفت بصراعاتها وأحوالها المختلفة، فإذا النّاس أمامه كتاب مفتوح، وقف (عليه السلام) على صفحاته وسطوره بإيمانه الصادق وذكائه المفرط، ونظرته الثاقبة، لذا يستنطق (عليه السلام) خبرته الغنيّة في التعاطي مع النّاس إذ يقول: "**إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ طَبْعَ الرِّجُلِ فَاسْتَشِرهُ، فَإِنَّكَ تَقِفُ مِنْ مَشُورَتِهِ عَلَى عَدْلِهِ وَجَوْرِهِ، وَخَيْرِه وَشَرِّهِ**"[١] .

نلحظ إن حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة بنيت على علاقات تضاديّة، جاءت في سياق النصح والإرشاد الذي يوجهه (عليه السلام) إلى السامع ناصحًا إياه باستشارة الآخرين لمعرفة ما خفي من نوازعهم وميولهم، وقد افتتح (عليه السلام) حكمته الشريفة بأداة الشرط (إذا) وتدلّ (إذا) على المعاني المتوقع وقوعها كثيرًا[٢]، إذ إنّ استشارة الآخرين تؤدي حتمًا إلى الوقوف على كوامنهم الخفية، وأفكارهم المستترة، وهذا ما عملت (إن) على تأكيده لتعطي للمعنى رسوخًا ذهنيًا أحتلّ فيه الطباق بين (عدله × جوره) و (خيره × شرّه) موقع الاهتمام، كونه بؤرة النصّ التي تفتح للسامع طريقة التعامل مع الناس والحذر منهم .

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ٤٣ .

٢) ينظر: الإيضاح: ٩٦ .

وفي قوله (عليه السلام): "**مَنْ نَقَلَ إليْكَ نَقَلَ عَنْكَ**"[1].

نجد أنّ الطباق وقع في معنى حرفي الجر (إلى) و(عن) في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة، ووجه أن (إلى) تفيد معنى "انتهاء الغاية في الزمان والمكان"[2]، فالإمام (عليه السلام) يقف على حقيقة الواشي في إنّه لا يقف في نقله عن النّاس عند حدود فردًا بعينه وإنّما يتجاوزه بالنقل عنه إلى غيره، وهذا ما دلّت عليه (عن) التي أفادت سياقيًا معنى المجاوزة[3]، فالحثّ على عدم الثقة بالواشي من الناس هو ما أفضى إليه التطابق الدلاليّ بين (إلى) و(عن) في حكمة الإمام (عليه السلام) القصيرة .

ومن أنماط الطباق الواردة في حكمه (عليه السلام) قوله: "**مَنْ لَمْ يَكْتَسِبْ بِالعِلْمِ مَالاً اكْتَسَبَ بِهِ جَمَالاً**"[4].

وقع التضاد بين الفعل المنفي بأداة النفي والجزم والقلب (لم يكتسب) والفعل المثبت (يكتسب) وهما لفظتان متضادتان، الأولى منفية والثانية مثبتة، ويسمى هذا النوع من الطباق (طباق السلب)، وقد استثمره (عليه السلام) في سياق الحثِّ على طلب العلم، فهو أن لم ينفع صاحبه نفعًا ماديًا، فإن له أثرًا معنويًا كبيرًا، لأنّه يرفع من شأنه بين الناس، ويزيده سموًا ورفعه وجمالاً .

٢- المقابلة :

المقابلة في اللغة: المواجهة، يقول صاحب اللسان: "المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله، وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك"[5] .

أما اصطلاحًا: فهي "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركب المقابلة من طباق ومُلحقٍ به"[1] .

---

١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٦٨ .

٢) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٥ وينظر: حروف المعاني: ٦٥ .

٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٤٥ .

٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٦٥ .

٥) لسان العرب: مادة (قبل) .

وعليه، فالطباق إذا جاوز اللفظة إلى اثنتين أو ثلاث أو أربع ... فهو المقابلة، كما أنّه يكون بالأضداد، أما المقابلة فتكون بالأضداد وغيرها، وهذا ما رآه البلاغيون في الحدِّ بين الاثنين(٢) .

والمقابلة من الأساليب التي أثْرَتْ البناء الفنيّ في حكم الأمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، لقدرتها على استيفاء الصورة وتجسيدها من جوانب عدة وذلك من خلال "عرضها مع ضدها مما يساعد على إبراز ما فيها من جوانب تخفى عنّا فيما إذا عرضت بمفردها لأن جمال الشيء الحسن يظهر حين يقابل بسوء الضد القبيح"(٣).

فقد اتخذ الإمام (عليه السلام) من المقابلة وسيلة لترسيخ القواعد السلوكيّة الصحيحة، وذلك بوضعها مع أضدادها مانحًا المتلقي الفرصة للتأمُّل والتفكّر والتشخيص "فالمقابلة في الكلام تعمل على توضيح الفكر إذا صدرت عن طبع فياض وقريحة مواتية"(٤) .

لذا كَثُرت المطابقة عنده (عليه السلام) في المواقف السلوكيّة التي تحتاج إلى وقفة وتأمُّل نابع من آلية الإقناع المتولّدة من عرض الشيء مع ضده "مما يعطي للتقابل طبيعة تكرارية مزدوجة من خلال حركة الذهن بين المتناقضات"(٥) . ولنقرأ له

---

١) الايضاح: ٢٩٣ .

٢) ينظر: نقد الشعر: ١٤١ ، وبديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصريّ (ت٦٥٤هـ) ، تحقيق: حنفي محمد شرف ، ط١، مكتبة نهضة مصر . القاهرة، ١٩٥٧م: ٣٢، وخزانة الأدب وغاية الأرب: ١/ ١٢٩ .

٣) الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الربيعيّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م: ٢٠٥ .

٤) دراسات في المعاني والبديع: عبد الفتاح عثمان، (د.ط)، مطبعة التقدم . القاهرة ، ١٩٨٣م: ٢١٣ .

٥) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي: ١١١ .

(عليه السلام) حكمته القصيرة: "**غَضَبُ العَاقِلِ فِي فِعْلِه، وَغَضَبُ الجَاهِلِ فِي قَوْلِه**"[1] .

يوظّف الإمام (عليه السلام) قدرة المقابلة الإيحائيّة في تصوير حالتين متناقضتين يجسّد من خلالهما السلوك الصحيح الذي يعكس حالة الاتزان ورجاحة العقل المرتبطة بضبط النفس عند الغضب والابتعاد عن التسرّع والتهوّر، والسلوك الخاطئ البعيد عن كل ذلك، ثم يقرن الإمام (عليه السلام) بين السلوكين بحرف العطف (الواو) الذي يدلّ على مطلق الإشراك للوصول إلى صورة كلية تبرز فيها دلالة التناقض بين السلوكين، ونلحظ أن الصورة التقابليّة وقعت بين جملتين متشابهتين في التأليف، إذ الجملتان كلتاهما تتألفان من:

المبتدأ مصدر + مضاف إليه(أسم فاعل) + حرف الجر(في)+ المجرور مصدر
على وزن(فَعَل) على وزن(فَعْل)

وأضفى هذا التأليف نسقًا هندسيًا على العبارتين أسهم في تعزيز الجانب التشكيليّ الإيقاعيّ، فضلاً عن تكرار لفظة (غَضَب)، إذ ورد التكرار في بداية كلّ من الفقرتين المتقابلتين، فخلق بذلك وقعًا موسيقيًا مؤثرًا، فضلاً عن الجانب الدلاليّ الذي أفاده التكرار في تأكيد دلالة الحكمة وترسيخها في ذهن المتلقي .

ويقول الإمام (عليه السلام) في حكمة قصيرة أخرى: "**شَرُّ النَّاسِ مَنْ كَافَى عَلَى الجَمِيلِ بِالقَبِيح وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ كَافَى عَلَى القَبِيحِ بِالجَمِيل**"[2] .

يتحدّث (عليه السلام) في حكمته الشريفة عن صنفين من الناس، يصف الأول منهما بـ(شرّ الناس)، والثاني بـ(خير الناس) مبينًا ما يتميز به الصنف الأول، ثم يذكر قبالة مميزات الصنف الثاني ليتسنى للمتلقي أدراك صفات كلّ واحد منهما عن طريق مقارنته بالآخر، وجاءت هذه المقارنة في سياق الكناية التي اشتركت في تقديم

---

١) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٥٧ .
٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣٤ .

المعنى، لتجعل من النصّ وحدة متكاملة في سياقات فنيّة تضافرت بقوة على شحن الصورة وتكوينها، فالجميل كناية عن (المعروف)، والقبيح كناية عن (الإساءة)، وبهذا فإنّ شر الناس هو من (يقابل المعروف بالإساءة) وخير الناس هو من (يقابل الإساءة بالمعروف)، والمعنيان جاءا في سياق المقابلة الضديّة الواقعة بين (شر الناس × خير الناس)، ونلحظ أن التقابل سيطر على العبارتين لا من حيث الجانب الدلاليّ فحسب، بل نستشعره كذلك في الإيقاع الموسيقيّ للنصّ، فالحكمة مؤلفة من جملتين متطابقتين بصورة منتظمة مما حقّق إيقاعًا نغميًا ثابتًا يثير المتلقي ويشدّه إليها، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي :

الجملة الأولى		**الجملة الثانية**
شرّ	ß	خير
النّاس	ß	النّاس
من	ß	من
كافى	ß	كافى
على	ß	على
الجميل	ß	القبيح
بالقبيح	ß	بالجميل

وقدّم الإمام (عليه السلام) (شرّ النّاس)، إذ وردت في القسم الأول من الجملتين المتقابلتين، وهذا التقديم لم يكن من اعتباط وإنما جاء متوافقًا مع الدلالة العامة للحكمة، فتحذير المخاطب من أن يكون من (شرار الناس) هو ما يسعى إليه الإمام (عليه السلام) في حكمته القصيرة .

وفي قوله (عليه السلام): "**الشُّحُّ أضَرُّ عَلَى الإنْسَانِ مِنْ الفَقْر، لأنَّ الفَقِيرَ إذا وَجَدَ اتَّسَع** [1]، **وَالشَّحِيحُ لا يَتَّسِع وَإنْ وَجَدَ**"[2] .

يحذّر الإمام (عليه السلام) من صفة البخل ومساوئها مستثمرًا المقابلة بطاقتها القادرة على الجمع بين المتضادات لأنّ "الضد أكثر حضورا بالبال عند ذكر ضده"[3]، فقد جمع (عليه السلام) بين حالتين متناقضتين هما (من يتسع × من لا يتسع) في صورة فنيّة هادفة إلى رصد سمات الاختلاف والتباين بين (الفقير والشحيح)، فالشحّ: أبلغ في المنع من البخل، و"قيل هو البخل مع حرص"[4]، فيبيّن (عليه السلام) بأنّ من اتصف بهذه الصفة الرديئة سيعيش فقيرًا في حالة (عسره ويسره)، فهو دائم العازة وإن كان ميسورًا .

ولنقرأ له (عليه السلام) حكمة قصيرة أخرى يقول فيها: "**خَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ جَدِيدُهُ وَخَيْرُ الإخْوَانِ أقْدَمُهُمْ**"[5].

استعمل الإمام (عليه السلام) فنية التضاد الوارد بين (الجديد من الأصدقاء × القديم منهم) لكي يطرق آذان السامع بما يفيده، فالجديد هو ما لا عهد للإنسان به[6]، بخلاف القديم الذي يعني "في اللغة مبالغة في الوصف بالتقدّم في الوجود"[7]، والفرق بين المعنيين واضح، فالإمام (عليه السلام) ينصح المتلقي بالمحافظة على صداقة من خبره من النّاس فصار له كتابًا مفتوحًا يعلم ما يحويه وما يضمّه، وقد

---

1) اتسع: انفق عن سعة، ينظر: لسان العرب: مادة (وسع) .
2) سجع الحمام في حكم الإمام: ١٣٨ .
3) دراسات منهجية في علم البديع: الشحات محمد أبو ستيت، ط١، دار الخانجي . القاهرة، ١٩٩٤م: ٥٠ .
4) لسان العرب: مادة (شحح) .
5) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٧ .
6) ينظر: لسان العرب: مادة (جدد) .
7) الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري(ت٤٠٠هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (د.ط)، دار العلم . القاهرة، (د.ت): ١١٩ .

جسّد اسلوب التقابل الصورة الإيحائيّة للمعنى بشكل واضح ومؤثر وذلك بذكر الأضداد "التي هي اقدر على تميز الأشياء وتجليتها"[1] .

ويستثمر الإمام (عليه السلام) قدرة المقابلة على تجسيد الصورة وعرضها عرضًا دقيقًا في إرشاد المخاطب ونصحه بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الإفراط في كليهما إذ يقول: "**أَحْبِبْ حَبِيْبَكَ هَونَاً مَا عَسَى أَنْ يَكَونَ بَغِيْضَكَ يَوْمَاً مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيْضَكَ هَوْنَاً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيْبَكَ يَوْمَاً مَا**"[2].

إنّ دلالة (الحب) تولّد ضدًا ذهنيًا هو (البغض)، ودلالة (البغض) تولّد ضدًا ذهنيًا هو(الحبّ)، والإمام (عليه السلام) ينصح بعدم الغلو والإفراط في كليهما من خلال التغاير الدلاليّ الحاصل في مفردات الحكمة، والذي بدوره يعكس تغيّر الحياة ودوران الأيام وعدم ثباتها "فربّما انقلب من تود فصار عدوًا، وربّما انقلب من تعاديه فصار صديقًا"[3]، وعلى الإنسان أن يكون مستعدًا لمثل هذا التحول حتى لا يقع في الندم، وورد هذا التغاير في جملتين متناسقتين بناءً وتركيبًا، فلا زيادة بين الجملتين ولا نقصان في عدد الحروف والكلمات، وطريقة نظمها، وهذا ما يوضحه المخطط التالي:

أحبب حبيبك	هوناً ما	عسى أن يكون	بغيضك	يوماً ما
أبغض بغيضك	هوناً ما	عسى أن يكون	حبيبك	يوماً ما

فضلاً عن التوقيع الموسيقي المتولّد من التعاكس الحاصل في أماكن الكلمات بين الجملتين، مما أسهم في "تحقيق التولّد الدلالي بشكل واضح عن طريق الإيقاع الذي صنعته مجموعة كلمات النصّ عندما تغيرت مواقعها، فأعطتْ معنيين متعاكسين بالمقدار نفسه من المفردات بأداء متلاحم يستفزّ المتلقي منذ اللحظة الأولى"[4] .

---

١) دراسات منهجية في علم البديع: ٣٦٠ .

٢) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٣٢/١٩ .

٣) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ١٣٢/١٩ .

٤) المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: ٧٤ .

وبهذا فإن اجتماع هذه السمات الجمالية أحدث وقعًا تأثيريًا زاد من رصيد الحكمة الفنيّ وقيمتها المعنويّة .

وشبيه الحكمة السابقة قوله (عليه السلام): **"لِسَانُ العَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ"**(١) .

والمراد "أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية، ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه، وفلتات كلامه، مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابعٌ للسانه"(٢)، والإمام هنا ينصح المتلقي بعدم التعجّل والتسرّع بالقول لأنّها من سمات الأحمق ، ويحثّه على التفكّر والتروّي لأنّها من سمات العاقل، فالتقابل في حكمة الأمام (عليه السلام) الشريفة وقع بين الجملتين:

لسان العاقل وراء قلبه

قلب الأحمق وراء لسانه

والجملتان متشابهتان في التأليف، وقد تولدتْ فيهما الدلالة من خلال التعاكس الحاصل في مواقع الكلمات فضلاً عن الإيقاع الناجم عن هذا التعاكس الفنيّ، والذي شكّل ظاهرة أسلوبية في موضع التقابل يمكن تسميتها (التناظر عبر التضاد) أو (التضاد عبر التناظر)، أسسها المبدع بتبديل مواقع الكلمات لخلق دلالة عميقة المعنى، عن طريق شحن الإيقاع بهذا التبديل وخلق إطار جماليّ للمعنى(٣) .

ومن هنا نجد أن الطباق والمقابلة يشكّلان عنصرًا مهمًا من عناصر رسم الصورة الفنيّة القادرة على توضيح المعنى وتجسيده في عبارات قصيرة موجزة، جاءتْ لتؤدي أغراضًا متنوعة، كان نصيب الجانب الإصلاحيّ السلوكيّ هو الأكبر في سياق التقابل الدلاليّ الهادف إلى الإصلاح والتوجيه وذلك من خلال خلق صور أخلاقيّة متعاكسة ذات منحى تهذيبيّ تثير ذهن المتلقي وتشدّه إليها .

---

١) نهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد: ٣٣٠/١٨ .

٢) المصدر نفسه: ٣٣٠/١٨ .

٣) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: ٧٥ .

والجدول الآتي يبين عدد مرات ورود هذا الفن في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة:

الطباق	المقابلة	المجموع	النسبة المئوية
٣٩٤	٦٢٨	١٠٢٢	%٨

الخاتمة

بعد أن مَنَّ الله تعالى عليّ بإتمام هذه الدراسة، لابدّ من الإشارة إلى أهم النتائج التي توصّلتُ إليها في رحلتي مع حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة وهي:

. تبيّن من خلال التمهيد أنّ الحكمة عند الإمام عليّ (عليه السلام) تستند إلى أساس معرفي نابع من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما جعلها تتعدّى إطار التجربة الشخصية إلى مفاهيم عامة جاءت معبّرة عن تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف ومبادئ الشريعة الساعية إلى صلاح الفرد والمجتمع، وهي بذلك تختلف في منطلقاتها الفكرية والمعنوية، ومرجعياتها التناصية عن الحكمة في عصر ما قبل الإسلام .

ـ تعدّ الحكمة عند الإمام عليّ (عليه السلام) البداية الحقيقية لمبادئ الفلسفة الإسلامية، وترجع قيمتها المعرفية إلى اشتمالها على الاستدلال والبرهان، فضلاً عن اشتمالها على كثير من مفردات العلم والمعرفة والإدراك، كالذكر والبصيرة والعرفان... .

. كشف البحث عن أنّ حكم الإمام عليّ (عليه السلام) جاءت مُوجَّهة، ويمكن القول بأنّها قد رسمت منهجًا حياتيًا متكاملاً ببعديه الدينيّ والدنيويّ، وذلك من خلال مقاصدها المتنوعة بتشعباتها الدقيقة، فلم يترك (عليه السلام) جانبًا من جوانب الحياة إلاّ وأنجز فيه الحديث بحكمة قصيرة تنظيمًا له وتوجيهًا .

ـ تبيّن من خلال البحث أن للإيقاع الصوتيّ دورًا بارزًا في بنية وهندسة حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة؛ لأهميته في إثارة المتلقي في التعبير عن مضمونات الحكمة، وقد تنوّعت الأساليب الصوتية في حكمه (عليه السلام) القصيرة بين السجع والتكرار والجناس وردّ الأعجاز على الصدور .

ـ كَثُر السجع في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، مما أسهم في تحقيق دلالة النصّ بصورة فنيّة تشدّ المتلقي وتثير انتباهه، وهو سجع ينمُّ عن مقدرة فنيّة كبيرة أشار إليها البلاغيون في حديثهم عن (السجع القصير) .

. كان للتكرار نصيب وافر في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، إذ شحن (الحكمة القصيرة) بقدر كبير من الإيحاء والتأثير وذلك عن طريق تكرار بعض الأصوات التي عملت على إثراء الدلالة، فضلاً عن تكرار الكلمات والعبارات التي حقّقت أولاً وظيفة جمالية نابعة عن التوقيع الموسيقيّ الحاصل من التكرار، وثانيًا وظيفة دلالية متمثّلة بترسيخ المعنى المتعلّق باللفظة المكررة، وقد ورد تكرار العبارات بنسبة أقلّ من تكرار الأصوات والكلمات، لأنّ الحكمة القصيرة لا تحتمل تكرار العبارة .

. تبيّن من خلال البحث أنّ الجناس غير التام هو السمة البارزة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، مقارنة بما يقابله وهو (الجناس التام)، وقد حقّق شيوع هذا اللون من الجناس جذب انتباه المتلقي وجعله يدور في حركة ذهنيّة متولّدة من التشابه اللفظيّ غير التام بين الكلمات المتجانسة

. تلّون ردّ الأعجاز على الصدور في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة بين اللفظين (المتفقين، والمشتقين)، وقد عزّز هذا اللون الجانب الصوتيّ الإيقاعيّ، فضلاً عن ترسيخ المعنى عن طريق الترديد المتمثّل باللفظين المكررين .

ـ أثبت البحث أنّ للجملة الخبريّة بنوعيها (الاسميّة والفعليّة) دورًا بارزًا في صياغة الحكمة القصيرة، وقد جاءت حكمه (عليه السلام) بصيغة الجملة الخبريّة الاسميّة بدلالتها الثبوتية الدائمة بنسبة تفوق الجملة الخبريّة الفعليّة، مما يجعلها ـأي الحكمة القصيرة ـ ذات دلالات ثابتة صالحة لكلِّ زمان ومكان .

ـ اقتصرت الدلالة الحقيقية المباشرة للجملة الخبريّة في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) على الجانب الدينيّ، وخرجت الجملة الخبريّة عن دلالتها الأصلية لتؤدي دلالات جديدة في الجوانب أو المقاصد الأخرى التي تضمنتها حكمه (عليه السلام) القصيرة .

ـ تنوّعت أساليب الإنشاء في التعبير عن مضمونات الحكمة القصيرة كالأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، وقد استعمل الإمام (عليه السلام) (الأمر والنهي) بدلالتهما الحقيقية في الحِكَم ذات المقصد الدينيّ، لقدرتهما الواضحة على توجيه الأمر على نحو مباشر مصحوبًا بالوجوب والإلزام، وكثيرًا ما يخرج هذان الأسلوبان لأداء دلالات مجازيّة شملت جوانب إصلاحيّة متنوعة .

. مثّل الاستفهام سمة أسلوبية تميزت بها حِكَم الإمام (عليه السلام) القصيرة، لقدرته على جذب المتلقي بواسطة السؤال الذي خرج لأداء دلالات مجازيّة متنوعة، كالتوبيخ، والإرشاد، والتنبيه، والتعجب، والتمنّي .

ـ وردت (أين) الاستفهامية في مواضع التأمُّل وأخذ العبرة، ويعدّ هذا ملمحًا أسلوبياً تناص فيه الإمام (عليه السلام) مع الكثير من الأحداث والشخصيات التاريخية، لغرض إرشاديّ وتوجيهيّ هو (العبرة والاتعاظ) .

. كشف البحث أنّ النداء من أقلِّ الأساليب الإنشائيّة المستعملة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، واقتصر ما ورد منه على الأداة (يا)، إلاّ أنّه انطوى على دلالات ومعان قيّمة، وبالأخصِّ ما ورد على صيغة التركيب (يا أيها النّاس)، إذ جاء متلائمًا مع دور الحكمة وأهدافها الإصلاحيّة الموجهة إلى النّاس جميعًا .

. تبيّن من خلال البحث أنّ للجملة الشرطيّة دورًا كبيرًا في صياغة الحكمة القصيرة، وقد خرج (عليه السلام) عن المألوف في إيراد المعاني الخاصة بأدوات الشرط، مما حقّق ملمحًا أسلوبيًا تميّز به الإمام (عليه السلام)، ومقدرة لغويّة كبيرة.

. شاع استخدام أداة الشرط (مَنْ) شيوعًا لافتًا في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، إذ وردت بنسبة تفوق نسبة ورود أدوات الشرط الأخرى، لأنّها مختصة بالعاقل، مما لائم دور الحكمة وأهدافها الإصلاحيّة المُوجَّهة إلى عموم البشر .

ـ اتضح لنا من خلال البحث أنّ (الوصل) من أبرز الظواهر التركيبيّة الواردة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، في حين نجد أنّ (الفصل) كان أقلّ حضورًا، وذلك لأنّ الحكمة القصيرة قائمة . في أغلبها ـ على فكرة واحدة مكوّنة من قضايا مترابطة، وللوصل دور كبير في تعميق هذا الترابط .

ـ للتوكيد حضور بارز في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، لقيام بنيته اللغويّة على إثبات مضمون الخطاب في نفس المخاطب بما لا يترك مجالاً للشكِّ أو الريبة، وهو ما يسعى إليه الإمام (عليه السلام) في ترسيخ القواعد الدينيّة والسلوكيّة التي يجب أن يتحلّى بها المسلم .

ـ تبيّن من خلال البحث أنّ التقديم والتأخير من الأساليب المهمة التي استثمرها الإمام (عليه السلام) في إثارة المتلقي وجذب انتباهه إلى قضايا مهمة، وذلك من خلال تقديم بعض الألفاظ التي لها دور فاعل في التعبير عن دلالة الحكمة القصيرة وأهدافها الإصلاحيّة المتنوعة .

ـ يمثّل (الحذف) سمة أسلوبية بارزة في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) القصيرة، لقيام بنيتها . أي الحكم القصيرة . على الإيجاز والقصر، وتنوّع الحذف في حكم الإمام

(عليه السلام) القصيرة في التعبير عن دلالات ومعانٍ دينيّة وسلوكيّة متنوعة اختزلها الإمام (عليه السلام) في عبارات موجزة جمعت بين الإبداع الفنيّ والفكريّ .

ـ أثبت البحث أن الصورة التشبيهيّة تعدّ من الوسائل المثمرة في التعبير عن مضمونات الحكمة وأهدافها الإصلاحيّة المتنوعة، لذا كَثُر استعمالها في مجال الترغيب بالأعمال الصالحة المفيدة، والتنفير عمّا يخالف ذلك، وورد التشبيه البليغ بنسبة تفوق بقية أنواع التشبيه التي امتزجت فيها المدركات العقليّة بالحسّية في صياغات فنيّة مؤثرة .

. أسهمت الاستعارة في رسم الصورة الفنيّة في حكم الإمام عليّ (عليه السلام) بصورة لافتة، لقدرتها على تخطّي الواقع بما فيها من خيال قادر على تجسيد الأشياء وتشخيصها؛ لجعلها أقرب إلى العملية الذهنيّة، وغلب على استعاراته (عليه السلام) اعتماد الاستعارة المكنية في جذب المتلقي إلى أغراض ومقاصد دينيّة ودنيويّة متنوعة تصب في دائرة النصح والإرشاد التي يسعى إليهما الإمام (عليه السلام) من خلال حكمه القصيرة .

ـ أثبت البحث أنّ (الكناية عن صفة) هي أحدى الأساليب الفنيّة المهمة التي استثمرها الإمام (عليه السلام) في ترسيخ الأخلاق الحسنة، والصفات الإنسانيّة الفاضلة في روح الإنسان المسلم وجوهره، أمّا (الكناية عن موصوف) فقد ارتبطت في أغلبها بالتحذير والتنبيه الذي يسعى من خلاله الإمام (عليه السلام) إلى هداية النّاس وإرشادهم إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة .

. كشف البحث عن أنّ الصورة الضديّة من الأساليب التي أثْرَت البناء الفنيّ في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة، وقد وظّفها (عليه السلام) في المواقف السلوكيّة التي

تستدعي لفت انتباه المتلقي واستقطابه، وذلك من خلال عرض الأشياء مع أضدادها ليتسنى للمتلقي تشخيصها وانتهاج الصواب منها .

ـ أتسمت الصورة التقابليّة في حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة بسماتها الفكريّة والفنيّة التي عزّزها التوقيع الموسيقيّ المتولّد من التعاكس الحاصل في أماكن الكلمات، والإيقاع الناجم عن هذا التعاكس الفنيّ، وقد شكّل ذلك ظاهرة أسلوبية تفرّد بها الإمام عليّ (عليه السلام) .

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطيّ(ت٩١١هـ)، ط١، دار الفكر ـ لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٦٩م.

. أخلاق الإمام عليّ(عليه السلام)، محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان، ط٢، دار المرتضى . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ـ أخلاق اهل البيت، مهدي الصدر، ط١، مؤسسة الأعلمي . بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

. الإرشاد، الشيخ المفيد، ط٣، دار المفيد . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣.

ـ الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ـ أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، الدكتور قيس إسماعيل الأوسيّ، (د.ط)، المكتبة الوطنية . بغداد، ١٩٨٨م.

. أسباب حدوث الحروف، أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا(ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسّان الطيّان، ويحيى مير علم، (د.ط)، مطبوعات مجمع اللغة العربي . دمشق، (د.ت).

ـ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني . القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ـ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ـ الإسلام وعلم الاجتماع، الدكتورمحمود البستانيّ، ط١، مجمع البحوث الأسلامية . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ـ الإشارات والتنبيهات، محمد علي الجرجانيّ(ت٧٢٩هـ)، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، (د.ط)، مكتبة الأنجلو . القاهرة، ٢٠٠٧م.

. إصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي . بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
ـ الإصول في النحو، ابن السراج(ت٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (د.ط)، (د.ت)
. إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ، ط١، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث . قُم، ١٤١٧هـ .
ـ اقتصادنا، الشهيد محمد باقر الصدر، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي . إيران، ١٤٢٥هـ .
ـ الإمام عليّ (عليه السلام) حياته وفضائله، محمد جواد مغنية، ط١، دار الجواد . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
ـ الإمام عليّ سيرته الذاتية وفكره الحضاري، عبد الحميد المهاجر، ط١، مؤسسة الأعلمي . بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
. الأمثال العربية القديمة، رودولف زلهايم، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط٣، مؤسسة الرسالة . بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
. الأمثال العربية القديمة والعصر الجاهليّ، محمد توفيق، ط١، دار النفائس . بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
. الإنتصار، العامليّ، ط١، دار السيرة . ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
. الإنسان الكامل، مصطفى المطهّري، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، ط١، مؤسسة البعثة . بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
ـ أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدنيّ(ت١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان . النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
ـ الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية، جعفر النقديّ، ط٢، المطبعة الحيدرية . النجف، (د.ط).
. الإيجاز في كلام العرب ونصّ الاعجاز، دراسة بلاغية، مختار عطية، (د.ط)، دار المعرفة . القاهرة، (د.ت).

- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ(ت٧٣٩هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط٢، مؤسسة المختار . القاهرة، ٢٠٠٤هـ .

ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسيّ، ط٢، مؤسسة الوفاء . بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- البديع، ابن المعتز، عُني بنشره: اغناطيوس كراتشوفسكي، (د.ط)، مكتبة المثنى . بغداد، (د.ت).

- البديع في ضوء أساليب القرآن، الدكتورعبد الفتاح لاشين، ط١، دار المعارف . مصر، ١٩٧٩م.

- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة، ١٩٦٠م.

- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصريّ(ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حنفي محمد شرف، ط١، مكتبة نهضة مصر . القاهرة، ١٩٥٧م.

. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيديّ، (د.ط)، مكتبة الآداب . القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، (د.ط)، مكتبة الآداب . القاهرة، (د.ت).

- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن جنبكة الميدانيّ، ط١، دار القلم . دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- البلاغة العربية قراءة أخرى، الدكتورمحمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان . القاهرة، ١٩٩٧م.

. البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع)، فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان . عمّان، ١٤٠٧هـ/٢٠٠٠م.

- البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ـ البلاغة والاسلوبية، الدكتورمحمد عبد المطلب، ط٣، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان . القاهرة، ٢٠٠٩م.

. بناء الاسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، الدكتورمحمد عبد المطلب، ط٢، دار المعارف . القاهرة، ١٩٩٥م.

. البيان في ضوء أساليب القرآن، الدكتورعبد الفتاح لاشين، (د.ط)، دار الفكر العربي . القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٦، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف . مصر، ١٩٦٠م.

ـ تاريخ ومناقب الإمام عليّ (عليه السلام)، عدنان محمد قاسم، ط١، مطبعة أبو عاصم . بغداد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ـ التذكرة الحمدونية، ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن عليّ(ت٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، معهد الإنماء العربي . طرابلس، ١٩٨٤م.

. التصوير البياني، توفيق الفيل، ط١، ذات السلاسل . الكويت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ـ التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، شفيع السيد، (د.ط)، مكتبة الشباب . القاهرة،١٩٧٧م.

. التعريفات، الشريف الجرجانيّ(ت٨١٦هـ)، (د.ط)، مكتبة لبنان . بيروت، ١٩٨٥م.

. التعليقات، أبو نصر محمد بن محمد الفارابيّ(ت٣٣٩هـ)، تحقيق: جعفر آل ياسين، ط١، دار المناهل . بيروت، ١٩٨٠م.

ـ التكرير بين المثير والتأثير، ، عز الدين عليّ السيد، ط٢، عالم الكتب . بيروت، ١٩٦٨م.

ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه(ت٤٢١هـ)،تحقيق: عماد الهلالي، ط١، طليعة النور. قُم، ١٤٢٦م.

. التوحيد يتجلّى في الحياة، محمد تقي المدرّسيّ، ط١، طهران . ١٤١٨هـ .

. جامع السعادات، محمد مهدي النراقيّ(ت١٢٠٩هـ)، (د.ط)، إيران، ١٤٢٦هـ.

. الجامع الصحيح المسند من احاديث رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محي الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصي محي الدين الخطيب، (د.ط)، المطبعة السلفية . القاهرة، ١٤٠٠هـ.

. الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنّا الفاخوري، ط٢، دار ذوي القربى، ١٤٢٤هـ.

. جدلية الإفراد والتركيب، الدكتورمحمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية، لونجمان . القاهرة، ١٩٩٥م.

. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، (د.ط)، دار الرشيد . بغداد، ١٩٨٠م.

ـ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن القاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ، أشراف: صدقي محمد جميل، (د.ط)، مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ـ حروف المعاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ(ت٣٤٠هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط١، دار الأمل . الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

. حقوق الإنسان عند الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، غسان السعد، ط٢، بغداد، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

ـ الحكمة الخالدة، ابن مسكويه(ت٤٢١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، دار الأندلس، (د.ت).

ـ الحكمة في الشعر العربي قبل الإسلام، إبراهيم علي شكر، ط١، مطبعة الطيف . بغداد، ٢٠٠٨م.

. الحكم والأمثال، حنّا الفاخوري، (د.ط)، دار المعارف، (د.ت).

ـ خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، ط١، دار ومكتبة الهلال . بيروت، ١٩٨٧م.

ـ الخصائص، ابن جني(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية ـ القاهرة، (د.ت).

ـ خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسيّ، (د.ط)، تونس، ١٩١٨هـ.

ـ الخطاب في نهج البلاغة، حسين العمريّ، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٢٠١٠م.

ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، ط٢، دار عمار ـ عمّان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ـ دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، عبدة الشمالي، ط٥، دار صادر ـ بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ـ دراسات في المعاني والبديع، عبد الفتاح عثمان، (د.ط)، مطبعة التقدم ـ القاهرة، ١٩٨٣م.

ـ دراسات منهجية في علم البديع، الشحات محمد أبو ستيت، ط١، دار الخانجي ـ القاهرة، ١٩٩٤م.

ـ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، (د.ط)، عالم الكتب ـ القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني ـ القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ـ الدلالة الزمنية في الجملة العربية، علي جابر المنصوريّ، ط١، مطبعة الجامعة ـ بغداد، ١٩٨٤م.

ـ دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن أطيمش، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد، ١٩٨٦م.

ـ رسائل الإمام عليّ (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية، كامل حسن البصير، ط١، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م.

ـ رسائل الكنديّ الفلسفية، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ(ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد عبد الهادي، ط٢، مطبعة حسّان ـ القاهرة، (د.ت).

. روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، ط٢، إيران، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ـ سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي الجندي، ومحمد يوسف المحجوب، (د.ط)، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ـ سرّ الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ (ت٤٦٦هـ)، تقديم: إبراهيم شمس الدين، ناشرون . بيروت، ٢٠١٠م.

. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينيّ(ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار الفكر ،(د.ت).

ـ سنن الترمذيّ، محمد بن عيسى الترمذيّ السلميّ(ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمدمحمد شاكر وآخرون، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، (د.ت).

. شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاويّ، تقديم: محمد عبد المعطي، تخريج: أحمد بن سالم المصري، (د.ط)، دار الكيان . الرياض، (د.ت).

ـ شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندرانيّ، ضبط وتصحيح: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث . بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ـ شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجّياني الأندلسيّ(ت٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط١، هاجر للطباعة والنشر. مصر، (د.ت).

. شرح التلخيص، كمال الدين بن محمد البابرتي(ت٧٨٦هـ)، تحقيق: محمد مصطفى رمضان صوفيه، (د.ط)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع . طرابلس، ١٣٩٢هـ/١٩٨٣م.

ـ شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي(٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

. صحيح مُسلم، مُسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيريّ النيسابوريّ(٢٦١هـ)، تحقيق: محمد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، (د.ت).

ـ الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله، ط١، دار الهلال . بيروت، ٢٠٠٨م.

ـ الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ط١، الشركة العالمية للنشر. مصر، ١٩٩٥م.

. الصورة الشعرية في شعر الأخطل، الدكتورأحمد مطلوب، (د.ط)، دار الفكر للنشر والتوزيع . عمّان، ١٩٨٥م.

. الصورة الفنية، عبد الله الصائغ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد، ١٩٨٧م.

ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر أحمد عصفور، دار الثقافة . القاهرة، ١٩٧٤م.

ـ الصورة الفنية في المثل القرآني، الدكتورمحمد حسين علي الصغير، ط١، دار الهادي . بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلويّ اليمنيّ(ت٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

. عبقرية الإمام عليّ، عباس محمود العقّاد، (د.ط)، دار التربية . بغداد، ٢٠٠١م.

. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ(ت٣٢٨هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (د.ط)، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

. علم الأصوات، كمال بشر، (د.ط)، دار غريب . القاهرة، ٢٠٠٠م.

. علم البديع، بسيوني عبد الفتاح، ط٣، مؤسسة المختار . القاهرة، ١٤١٣هـ/٢٠١٠م.

. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح، ط٢، مؤسسة المختار . القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة . بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

ـ علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، (د.ط)، مكتبة وهيبة . القاهرة، (د.ت).

ـ علوم البلاغة، احمد مصطفى المراغي، ط٣، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

. عليّ بن أبي طالب حاكمًا وفقيهًا، حامد جامع، (د.ط)، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

. عليّ سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، تحقيق وتعليق: صادق جعفر الروازق، ط١، الغدير للطباعة والنشر . قُم، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

. عليّ صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، ط١، دار المهدي . بيروت، ٢٠٠٤م.

ـ عليّ والفلسفة الإلهية، محمد حسين الطباطبائي، (د.ط)، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت، ١٩٥٦م.

ـ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ(ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة . إيران، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ــ عيون الحكمة، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا(ت٤٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط٢، دار القلم . بيروت، ١٩٨٠م.

. غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميميّ الآمديّ(ت٥٥٠هـ)، ترتيب وتدقيق: عبد الحسين دهيني، ط١، دار الهادي . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ــ الفاصلة في القرآن الكريم، محمد الحسناويّ، ط٢، دار عمار ــ عمّان، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.

. فتح الباري بشرح صحيح الإمام إبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محي الدين الخطيب، (د.ط)، دار المعرفة . بيروت، (د.ت).

ـ الفروق اللغوية، أبو هلال العسكريّ(ت٤٠٠هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (د.ط)، دار العلم . القاهرة، (د.ت).

ـ فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت٥٩٥هـ)، تحقيق: محمود القاسم، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م.

ـ فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، الدكتور رجاء عيد، ط١، منشأة المعارف . الاسكندرية، (د.ت).

. فلسفة الحكمة عند إمام الحكمة، علي النشمي، (د.ط)، بغداد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
ـ الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة، قاسم حبيب جابر، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
. فن البديع، عبد القادر حسين، ط١،دار الشروق . القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
ـ فن الجناس، علي الجندي، (د.ط)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ـ مصر، (د.ت).
ـ في بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، دار القلم . الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٢٨م.
. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ط٣، دار العلم . بيروت، ١٩٧٩م.
ـ في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزوميّ، ط٢، دار الرائد العربي . بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
ـ فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
ـ القاموس الإسلاميّ، أحمد عطية الله، ط١، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
ـ القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادي(ت٨١٧هـ)، ط٢، مصطفى البابي الحلبي واولاده . القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط٤، دار العلم . بيروت، ٢٠٠٧م.
ـ قواعد اللغة العربية، مبارك مبارك، ط٣، دار الكتاب العلمي . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
ـ الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، ط٤، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
ـ الكتاب (كتاب سيبويه)،أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه)(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ـ كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تقديم: عبد السلام هارون، ط١، دار إحياء الثراث العربي ـ بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزميّ(ت٥٣٨هـ)، (د.ط)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، ١٣٨٥هـ/١٩٩٦م.

ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر ـ بيروت، (د.ت).

ـ لسانيات النصّ، محمد الخطابيّ، ط٢، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠٠٦م.

ـ لغة الشعر الأندلسي في عصر الخلافة، صادق حسين المالكيّ، ط١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ـ بغداد، ١٤٢٩هـ/١٩٦٩م.

ـ اللغة في الدرس البلاغي، عدنان عبد الكريم جمعة، ط١، دار السياب ـ لندن، ٢٠٠٨م.

ـ لمسات بيانية في نصوص التنزيل، الدكتور فاضل السامرائيّ، ط٥، دار عمار ـ عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ـ اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: سميح أبو مغلي، (د.ط)، دار مجدلاوي ـ عمان، ١٩٨٨م.

ـ اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، (د.ط)، مكتبة الأنجلو ـ القاهرة، ٢٠٠٣م.

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد الحوفي، وبدوي طبانة، (د.ط)، دار النهضة ـ القاهرة، (د.ت).

ـ المجازات النبوية، الشريف الرضيّ، تحقيق: محمد الزيني، (د.ط)، إيران، (د.ت).

ـ مجمع البيان لعلوم القرآن، أبو الفضل بن الحسن الطبرسيّ(ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الهدى ـ إيران ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ(ت٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر، (د.ط)، مكتبة لبنان ـ بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ـ المختصر في أصوات اللغة، محمد حسن جبل، ط١، مكتبة الآداب ـ القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ـ مختصر المعاني، سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني(٧٩٢هـ)، (د.ط)، مؤسسة التاريخ الإسلامي . بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي . القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

. المدخل إلى الفلسفة، فتح الله خليف، (د.ط)، دار الجامعات المصرية . الإسكندرية، ١٩٨٢م.

ـ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، ط٣، دار الآثار الإسلامية . الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ـ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ط٢، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ـ مستقبل الشعر وقضايا نقدية، عناد غزوان، ط١، دار الشؤون الثقافية . بغداد، ١٩٩٤م.

ـ المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد، ٢٠٠٨م.

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن عليّ المقريّ الفيوميّ(٧٧٠هـ)، (د.ط)، المطبعة الميمنية . مصر، ١٣٢٥هـ.

. المطول، سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني(ت٧٩٢هـ)، تصحيح وتعليق: أحمد عزو، ط١، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

ـ معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائيّ، ط١، دار عمار ـ عمّان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ـ معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائيّ، شركة العاتك . القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتورأحمد مطلوب، (د.ط)، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان . بيروت، ١٩٨٤م.

. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل . بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجّار، ط٥، مؤسسة الصادق . طهران، (د.ط).

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاريّ(ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مؤسسة الصادق . إيران، (د.ت).

ـ مفتاح العلوم،أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكيّ(ت٦٢٦هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، ط١، دار الرسالة . بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانيّ(ت٣٥٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، ط٤، مؤسسة الأعلمي . بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ـ المقرّب، عليّ بن مؤمن الملقب بـ(ابن عصفور) (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

. ملامح من عبقرية الإمام عليّ(عليه السلام)، مهدي محبوبة، ط٢، مطبعة الإرشاد . بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت٥٩٥هـ)، تحقيق: محمود قاسم، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م.

. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، (د.ط)، مكتبة الشباب . القاهرة، ١٩٧٧م.

. المنهج السياسيّ عند الإمام عليّ(عليه السلام)، عبد الهادي عاصي، تقديم: محمد حسين فضل الله، ط١، دار الأمير . بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ـ موسوعة الإمام عليّ في الأخلاق، هادي المدرسيّ، ط١، دار الجيل . بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ـ موسوعة العقائد الإسلامية في الكتاب والسنة، محمد الرشيهري، بمساعدة رضا برنجكار، وعبد الهادي المسعودي، تعريب: خليل العاصي، ط١، دار الحديث . قُم، ١٤٢٥هـ.

. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، (د.ط)، دار القلم، (د.ت).
ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط٢، دار الكتب الإسلامية . طهران، ١٣٨٩هـ.
ـ نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ(ت٥٨١هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
. النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، دار المعارف . مصر، (د.ت).
ـ النظام الاجتماعيّ في الإسلام، هاشم الموسويّ، ط١، دار الصفوة . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
ـ النظام السياسيّ في الإسلام، باقر شريف القرشيّ، ط٢، دار التعارف . بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
ـ نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (د.ط)، دار الكتب العلمية . بيروت، (د.ت).
ـ نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية . بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
. نهج البلاغة، شرح ابن ميثم البحرانيّ،ط١، مطبعة وفا . إيران، ١٤٢٧هـ.
. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحموديّ، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي . إيران، ١٤١٨هـ.
ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطيّ(ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرَم، مؤسسة الرسالة . بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
ـ وجوه القرآن، أبو عبد الرحمن إسماعيل بن محمد النيسابوريّ(ت٤٣١هـ)، تحقيق: نجف عرشي، ط١، مشهد، ١٤٢٢هـ.

الرسائل الجامعية

ـ آيـات المغـازي فـي القـرآن الكـريم دراسـة دلاليـة، أحمـد صـابر الكنـانيّ، رسـالة ماجستير، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ٢٠١١هـ/١٤٣٢م.

. البنية الأسلوبية في التراكيب النحوية، مهدي حمد مصطفى، إطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ـ الترغيب والترهيب في القرآن الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الربيعيّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ـ شعر إيليا أبي ماضي دراسة لغوية، أحمد عيسى، رسالة ماجستير، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

. شعر مهيار الديلميّ دراسة بلاغية، صالح كاظم صكبان عباس العبوديّ، إطروحة دكتوراه، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ـ الصورة البيانية في شعر الراعي النميريّ، انتهاء عباس عليوي الجبوريّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية، (د.ت).

. الصورة الشعرية عند ذي الرمة، عهود عبد الواحد عبد الصاحب، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ـ الظواهر الفنية في شعر الموصل(١٩٦٨ . ١٩٨٠)، دراسة في المجاميع، عبد الغفار عبد الجبار الدليميّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

. المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية، عبد الهادي عبد الرحمن الشاويّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

. المناجاة وأدعية الأيام عند الإمام زين العابدين(عليه السلام) دراسة أسلوبية، إدريس طارق حسين، رسالة ماجستير، كلية التربية/ جامعة بابل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

ـ النون في العربية دراسة صوتية، مشتاق عباس معن علي، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

الدوريات

ـ البديع بين الصنعة والخيال، عبد القادر الرباعيّ، مجلة ابحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد٣، العدد٢، المطبعة الوطنية . الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

ـ التصوير الاستعاريّ في الشعر، عدنان قاسم، مجلة الثقافة العربية، العدد٧، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة، ١٩٤٨م.

ـ الصورة الشعرية، مجيد عبد الحميد ناجي، مجلة الأقلام، العدد٨، دائرة الشؤون الثقافية . بغداد، ١٩٨٤م.

. منزلة المتلقي في نظرية الجرجاني النقدية، حاتم صكر، مجلة المورد، العدد٢، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية . بغداد، ١٩٩٠م.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Presidency of Al-Mustansriya University
College of Education \Department of Arabic
Postgraduate studies

Short Wisdoms AL-Imam Ali Bin Abe Talib
Analytical study

A thesis Submitted By

Meethaq Hashim Hussein Ali AL-myahi

To The Council Of College of Education in Al-Mustansriya University – in Partial Fulfillments For The Requirements To Award Master of Arts in *Arabic and literature*

Supervised by

Prof. Dr. BUSHRA MOHAMMED TAHA AL-BASHEER

2012 A.C. 1433 A.H.

Abstract

The wisdom has taken an undeniable place in the poetry and other arts in heritage of Arabic literature , but it represent a landmark in the mottos those said by (Al-Imam Ali Bin Abe Talib) especially his short mottos, because they been said by the most fine Arabic talker after the holy profit of god Mohammed Ibin Abdullah and because of all the knowledge included in his (wisdom) that the (wisdom) in the age before Islam was lacking , it based on respective scientific base inspired by the holy Quran and the legacy of the profit of god Mohammed ,therefore the (wisdom) of Al-Imam Ali Bin Abu Talib represent the real beginning of the Islamic philosophy , it breaks the limit of individual experience to the general view, it represent god and his commands to the humanity and everything related to Islam and the prophecy of the great profit Mohammed , he used his wisdom to build the base of the Islamic religion in it's two dimensions the religious one and the life one in every time and place through it's various causes.

This subject that shows a great amount of goodness ,appeal ,fine images, that represent the ultimate bounties of the human mind , and yet it never been researched before that's why the researcher has chosen it for her analytical study.

The research plan has been divided into four units , with a prologue of for sections the first one included(the definition of the wisdom in the language and as an expression) ;the second one was about (wisdom in the age before Islam and the age of Islam) the third one is (wisdom of Imam Ali) ,the forth one (the judgment as an independent expression)

The first unit was is dedicated for (the meaning level) and it consisted three parts as (the religious meaning, social meaning, human meaning) .

The second unit was about (the sonic level) which was consisted of for sections (rhyme, repeating, matching, bring back the backs on the chests).

The third one is about (the structural level) which has four sections (verbal sentence, the constructional sentence, the conditional sentence, the structural events in Al-Imam Ali short mottos).

The forth one is dedicated for (the image level) which is lays in four sections (the imitating, the virtual meanings, naming, matching and corresponding).

The research epologue included the most important results the researcher has found , then a list of references , and the research of abstract in english.